

كتاب تاريخ قداماء المصريين المسمى

قائمة اهل العصر من خلاصة

تاريخ مصر

٢

تأليف

اوغسطس مارييت بك ناظر مصلحة الاتيقيه خانه المصرية

ترجمه

بالعناية الخديوية من اللغة الفرنسية الى العربية عبيد الله أبو السعود
افندي المترجم بقلم الترجمة بيدوان المدارس المصرية

طبعة اولي

بالمطبعة الخديوية الكائنة بيولا ق مصر المحمية

سنة ١٢٨١

* (فهرست الكتاب) *

صفحة	
٢	خطبة الكتاب
١٦	صورة ترجمة افادة حضرة محمد شريف باشا لمدير المدارس المصرية الى آخره
١٨	ترجمة رسالة عنونة الكتاب باسم سعادة صاحب مصر
٢٠	مقدمة الكتاب
٢٦	تنبيه (يتعلق باعداد السنين المذكورة في هذا الكتاب
٢٧	خلاصة تاريخ مصر فيما يتعلق بعمدة الجاهلية
٣٢	الباب الاول فيما يتعلق بدولة مصر القديمة أى عصر الجاهلية المصرية الاولى
٤٠	الباب الثانى فيما يتعلق بالدولة المصرية المتوسطة أو عصر الجاهلية الوسطى
٥٧	الباب الثالث فيما يتعلق بالدولة المصرية الحادثة أو عصر الجاهلية الاخيرة
١٠٣	الباب الرابع فيما يتعلق بعصر اليونانيين بمصر وهو عبارة عن مدق العائلتين الملوكتين الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين
١٠٨	الباب الخامس فيما يتعلق بعصر الرومانيين بمصر وهو عبارة عن العائلة الملوكية الرابعة والثلاثين
١١٥	الكلام على ما يتعلق بعمدة النصرانية
١٢٣	(تذييل)

محتوى

- ١٢٤ الفصل الاول فيما يتعلق بتاريخ مصر للقبس ما يتنون المؤرخ
المصرى
- ١٢٦ جدول بيان العائلات الملوكية المصرية حسبما اورد القس
ما يتنون فى تاريخ مصر الذى ألفه
- ١٣٢ الفصل الثانى فيما يتعلق بالآثار والعمارات المصرية القديمة
- ١٤٠ ما يتعلق بالعائلات الثلاث الاولى
- ١٤١ ما يتعلق بالعائلتين الملوكتين الرابعة والخامسة
- ١٤٤ ما يتعلق بالعائلة الملوكية السادسة
- ١٤٩ ما يتعلق بالعائلات الملوكية السابعة والثامنة والتاسعة والعاشر
- ١٥٠ ما يتعلق بالعائلة الملوكية الحادية عشرة
- ١٥٣ ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثانية عشرة
- ١٥٦ ما يتعلق بالعائلتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة
- ١٥٨ ما يتعلق بالعائلتين الملوكتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة
- ١٥٩ ما يتعلق بالعائلة الملوكية السابعة عشرة
- ١٥٣ ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثامنة عشرة
- ١٧٢ ما يتعلق بالعائلة الملوكية التاسعة عشرة
- ١٧٦ ما يتعلق بالعائلة المتبعة للعشرين
- ١٧٨ ما يتعلق بالعائلة الملوكية الحادية والعشرين
- ١٧٩ ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثانية والعشرين
- ١٧٩ ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثالثة والعشرين

صفحة

- ١٨١ ما يتعلق بالعائلة المملوكية الرابعة والعشرين
١٨١ ما يتعلق بالعائلة المملوكية الخامسة والعشرين
١٨٢ ما يتعلق بالعائلة المملوكية السادسة والعشرين
١٨٥ ما يتعلق بالعائلة المملوكية السابعة والعشرين
١٨٦ ما يتعلق بالعائلات المملوكية الثامنة والعشرين والتاسعة
والعشرين والثلاثين
١٨٧ ما يتعلق بالعائلة المملوكية الحادية والثلاثين
١٨٧ ما يتعلق بالعائلة المملوكية الثانية والثلاثين
١٨٨ ما يتعلق بالعائلة المملوكية الثالثة والثلاثين
١٩٤ ما يتعلق بالعائلة المملوكية الرابعة والثلاثين

(التبصير على ما وجد بالطبع في هذه الطبعة الاولى من الخط المهم وما عداه
ضرب عنه صفحا لكونه مما لا يقف دونه الفهم)

صفحة	سطر	خط	صواب
١١	٢١	تستيقظ	تستيقظ
٤٠	١٦	وقعة	وقفة
٥٠	١٩	وقعة كبرى	وقفة كبرى
٥٢	٠٤	باقطع وصف	باقطع وصف
٥٢	٠٥	ملوكها الاهليين وفي	ملوكها الاهليين أوفي
٥٩	٠٣	بعائلة	بغائلة
٦٢	١٦	ويقشعرا	ويقشعز
٨١	٠٩	مما من ان	من ان
١٧١	٠٩	مرآة	مرآة

بسم الله الرحمن الرحيم

ان ما يجب أن يكون مقدمة كل مقال عال أودع في أسطر نقول
 المؤرخين وفاقحة كل أمر ذي بال ابتدع من جوهر عقول المؤلفين
 هو ذكر الله سبحانه الذي دلت آثار صنعته على ما أثر قدرته وبرهنت
 دلائل حكمته على قضية وحدانيته في العالمين وذكر نبيه محمد أول
 داع لآحياء موات الدنيا والدين وأفضل ساع في ابقاء سمات التائيس
 والتقدين بل أكمل انموذج لاصلاح أمرى المعاش والمعاد وأجل
 فيروذج تحلى به جيد السداد في الاولين والآخرين يليه ذكر آله
 وأصحابه منبع احسان الحضارة الذين شادوا منها أعلى قصر مشيد
 ومشرع اتقان العمارة الذين سادوا فيها وأجادوا فوق كل مجيد
 وكانوا لآثار الخير في عصرهم أبداع مبددين وأصنع معيدين احسنوا
 السيرة واعتنوا باخلاص السريرة حتى تخلد بالمدح الجزيل ذكرهم
 وتأبد بالتناء الجميل عصرهم في دقات روائح الدول والسلطين
 ويتخلد بجميل الذكر ممتد العمر حضرة خديو مصر القائم باعباء
 الامر في هذا العصر من بعده هؤلاء السلف الصالحين ألا هو حضرة
 أفندينا الامير الجليل الذي هو من ذرية المرحوم محمد على باشا أجد
 سليل اسماعيل بن ابراهيم ذي المقام النبيل والمجد الاثيل جميعهم
 كانوا من خير أولياء امور المسلمين

هم المحسنون الكثر في حومة الوغى * وأحسن منه فككزهم في المكارم
ولاسيما أقندينا صاحب الوقت اذ هو فريد عقدهم وخيرولى لعهدهم
بما هو مجتهد فيه من منذ تقلد الامر من احياء رسوم مصر بين
الدول باعتناء حسن ترتيب الدواوين الميرية والمجالس السياسية
المنصوبة لنشر العدالة في الرعية وانشاء المصالح النافعة العمومية
واعلاء درجة العلوم فيها كأكظم المال بإعادة المدارس المصرية
الخصوصية والتجهيزية والمكاتب الابتدائية بمصرو سائر البنادر على
دائرة أوسع مما كانت عليه في عهد اسلافه الشهيرين وبما تعلقته به
عنايته وحققته بالفعل ارادته خصوصا من تحسين احوال المصريين
والاغداق على العلماء الاسلاميين وترقيته سائر الطوائف بالديار المصرية
على العموم من جنات التمدن الى أعلى عليين أخلد الله بالعز
والتوفيق للأعمال الخيرية ايامه وأبد بتحقيق هذه الآمال العالية
اعلامه آمين

وبعد فيقول الفقير عبد الله أبو السعود ابن الشيخ عبد الله
أبو السعود المصرى هذه خدمة وطنية صغيرة سمح بها الدهر لمصر من
بعض نبيها وفرصة أدبية يسيرة ربما اصبح بها خامل الذكر نبيها وكان
عند الله وجيها بترجمة خلاصة تاريخ مصر من منذ الاعصار الخالية
الى أن افتتحها المسلمون الذى ألقه بأمر سعادة خديو مصر ليقرأ
في المدارس المصرية الخصوصية العالم الفاضل وصاحب العرفان
الشامل مارييت بك الفرنساوى الاصل الوافد على الديار المصرية
في أواخر سنة ١٢٦٦ من الهجرة المحمدية وكان أولا حضر باسم



موسيو ماريت (أى السيد ماريت) مبعوثا من طرف الدولة
الفرنساوية لاستكشاف الهيكل المسمى بالسيرايسية (أى معبد
الصنم المسمى سيرايس بمدينة منف أو منفيس وهى مدينة مصر
العتيقة وكان يعبد اليونان وأهل مصر فى عهد الملوك البطالسة)
المنصوص عليه بكتب توارىخ اليونان وذلك حسبما تعلقت به رغبة
طائفة العلماء الفرنسية وبعد ان أقام نحو أربع سنوات يدير أعمال
الحفر بنواحى ميت رهينه وسقاره وما جاورهما بنفقة حكومته
استدل بسعة خبرته على محل المعبد المطلوب بالجبل الغربى على
القرب من ناحية سقاره حسب المرغوب ونظر فى أثناء هذه العملية
التي أجراها لذمة الدولة الفرنسية ببعض أشياء نفيسة من الآثار
القرعونية التي يستدل بها على حقيقة الاحوال القديمة المصرية
عاد بها الى بلاده ظافرا بمراده وحفظت فى جملة المحفوظات بخزانة
التحف والمستغربات السلطانية الفرنسية الكائنة بقصر لوره
بمدينة باريس كرسى دولة الفرنسيين وفى سنة ١٢٧٤ تحركت من
الحكومة المصرية همتها واهتزت أريجيتها لاجراء عملية حفر بالجهات
العتيقة المصرية على ذمتها وانشاء خزانة آثار قديمة بمدينة القاهرة
بنفقة خزيتها على منوال ما يوجد من هذا القبيل بأعظم مدن
الاوريا حيث لم يكن لذلك بمصر من مثيل فطلبت موسيو ماريت
من لدن سلطان الفرنسيين بالخصوص والاسم المنصوص لتكون
ادارة هذه الاعمال بمقرته وتطارة خزانة الآثار المصرية منوطة
لعهدته وبحضوره ترتب معه من الرجال والانتفاع العمال ما لزم لهذه

المأمورية



للأمورية العلمية والمصلحة الاهلية ولما استحصل على المواد الكافية
وبعض الاشياء المستخرجة من أعمال الحفر الجارية التي هي لتأسيس
المصلحة المذكورة وافية أنشئت في سنة ١٢٧٦ بجهة بولاق على
ضفة النيل اليمنى بالجهة المعروفة برصيف المرور خزانة الآثار
المصرية المعروفة بالاتيقة خانه الخديوية يحفظ بها نفائس الآثار
العتيقة ويوقف منها في تواريح الديار المصرية على الحقيقة حسب
الجاري بأعظم الدول والممالك اذ الديار المصرية هي معدن ذلك وأولى
بسلوك هذه المسالك ومن ذلك الوقت أجريت على موسيو ماريت
من طرف الحكومة المصرية النعم الوافرة والاحسانات المتصككة
وصار بأمر حكومته لحكومة مصر من بعض المستخدمين وعلى
جريدة خزيتها من الممكن ثم أنعم عليه بالرتبة الثانية الملكية
وتلقب من وقتئذ بماريت بك بين أرباب الوظائف الرسمية ولما
صار الى يد حضرة أفندينا اسماعيل باشا في سنة ١٢٧٩ زمام
الحكومة المصرية كانت هذه المصلحة الخيرية من جملة ما فاز ببعض
عناياته وحاز بعض لطيفات من حسن التفاتاته حتى صارت بما هي
عليه من حسن النظام وما تحصل بها من الآثار المصرية العظام تزدري
بأقرانها الموجودة بأعظم المدائن حيث فاقت عليها بكثير من المحاسن
يهرع اليها للتفرج عليها السياحون ويسرع للاستفادة منها العلماء
الاجنيون ولم تزل بالامداد من أعمال الحفر التي لم تزل جارية في كثير
من النواحي والبلاد في ازدياد ومن آمال حضرة خديو مصر العالية
ومقاصده الجميلة التي ستصير ان شاء الله في المستقبل لما تحقق من

ذلك تالية أنه اعتد للاتبقة خاتمة الخديوية موضعاً أليق لها في رسم
 العمارة الجديدة المصمم على انشائها باسم الاسماعيلية بين بولاق
 والقاهرة على دائر ميدان الازبكية حقق الله آماله ووفق لطريق
 الخيرات أعماله وقد أمر جناب مارييت بك من لدن سعاده اظهارة
 لنتيجة اشغاله أيضاً على أهل البلاد المصريين واستحضاراً لقائدة
 أعماله على عامة المسلمين بتأليف خلاصة تاريخ مصر في العصر
 الحالي ليتفجع بتعلمه تلامذة المدارس الخصوصية ويستمع بتفهيمه
 الخاصة والعامة من سائر الطوائف البلدية حيث كان من ألام
 اللزوم لكل أحد أن لا يجهل تاريخ موطنه وأن يميز عند ذكر القوم
 السابقين عليه في بلده قبيحه من حسنه ولم يوجد لغاية الآن من
 المؤرخين المسلمين بل وغير المسلمين من وقف في تحرير تواريخ مصر
 القديمة على الحقيقة أو اهتدى فيها بالأدلة الصحيحة والبراهين القطعية
 الرجحة بلجادة الطريقة وانما في ضمن كتب التواريخ التي قرأناها
 والتصانيف التي تيسر لنا أن رأيناها يعثر على التزم من بعض الكلام
 على الاهرام وبعض أسماء للفراعنة القدام والتكلم فيهم ببعض
 الاوهام التي لا يليق بها التصديق من غير تحقيق ولا تدقيق مع
 التخليط في الأزمنة والامكنة والتضييق في الاقوال الغير الممكنة فهذا
 ابن خلدون مثلاً مع جلالة قدره ونباهة ذكره واشتهاره بأعلى مرتبة
 في الفضل ودقة التحري وصحة النقل وحسن ارتباط تسلسل الحوادث
 التاريخية التي أوردها في تاريخه المشهور دون سائر المؤرخين
 الاسلاميين حتى عند العلماء الاورباويين انما ألت من تواريخ مصر

القديمة ببعض حوادث غامضة وحكايات متناقضة من المعروف لغاية عصره ونقله عن هروشيوش ٢ مؤرخ الروم المترجم في منتصف القرن الرابع بقرطبة للحكم المستنصر أخذ خلفاء بني أمية الاندلسيين وسرد بعض أسماء فراعنة من ملوك مصر الاقدمين والعرب العمالقة الذين ملكوا الديار المصرية في ذلك العهد وتعب عنهم في هذا المختصر بطائفة الهيكسوسيين مع الاقرار بعدم الرسيان على الحقيقة في شيء من ذلك وعدم ضبط أسمائهم الاجمعية لتقدم العهد فيما هنالك والعدوله حيث لم يكن قد تيسر في عصره الحصول على الاستكشافات الجديدة ونصوص الآثار العديدة التي تيجت عن امكان قراءة القلم المصرى القديم المسمى بالهيريوجليفيه من عين الآثار القديمة المصرية وترتب عليه الآن العدول عن الخطا في كثير من الروايات المستغربة والخرافات المخترعة المحشوة عن مصر العتيقة في كتب الاقدمين من

(٢) قوله هروشيوش هو بحسب الظن القوى أوريوس المغرب هروشيوش المعروف عند علماء الاور وباوين باسم بولص أوريوس من مؤرخى علماء النصارى الاقدمين قال فى كتاب معجم البلدان ومشاهير أبناء الزمان للمؤلف بوليت من علماء الفرنساوية المتأخرين بولص أوريوس المؤرخ ولد فى أواخر القرن الرابع بعد الميلاد بمدينة تارا جونه أوتاراكو باقليم قتلونيا من بلاد اسبانيا (الاندلس) على سواحل البحر الابيض المتوسط اشتهر بكتابة التاريخ العام الذى ذكر فيه تواريخ الامم الاقدمين من عهد آدم الى سنة ٣١٦ من ميلاد المسيح وهو محشو بكثير من حكايات العوام التى ينبغى التيقظ للنظر فيها ومعرفة قيمتها مع ذلك انتهى مترجما باختصار

اليونانيين والرومانيين ولولا خوف التثقيب وتحميل هذا المختصر المحدث للتعليم بالمدارس ما لا يحتمله من التطويل لا ثبت هنا بعض ما يظهر بمجرد مقابله بما تحقق في هذه الخلاصة من خلل كتابة ابن خلدون ومن كتب على مصر في العصر الحالي من المؤرخين وحيث كان ما قصناه من سيرة انشاء الاتيقة خانة المصرية واعتناء حضرة خديو مصر باستخراج هذا المختصر منها معقدا على شهادة محفوظاتها الاثرية ومستندا الى منقولات سنداتها القوية هو من جملة الوقائع التاريخية التي تستحق أن تكون في بطون دفاتر السير ما تورة وبعض الحوادث الادبية الجديرة بأن تكون في سجلات التواريخ مسطورة رأينا أن نستعمل بها الخطاب ونجعلها موضوع خطبة الكتاب لعل يلتفت لهذه المادة من أهل بلادنا نظري بعض أولى الالباب وتنجذب قلوبهم اليها ولو بعض انجذاب الاغراب ويعلمون أنها من الامور ذوات البال ويفهمون أنها من المهمات التي تتعلق بها هم الرجال قال الحكيم المحقق والعالم الاسلامي المدقق الشيخ عبداللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي نزيل مصر في أواخر القرن السادس من الهجرة في اول مختصر اخبار مصر المطبوع مع ترجمته باللغة اللاطينية بمدينة اوكسفورد التي هي مدينة العلم ببلاد انكلترة في سنة ١٨٠٠ مسيحية وترجمه أيضا الى اللغة الفرنسية في سنة ١٨١٠ البارون ساوستر دساي الفرنسي حيث اقتضه بما نصه ان مصر من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الاخبار ثم قال في اول الفصل الرابع من المقالة الاولى

أما ما يوجد بمصر من الآثار القديمة فلم أر ولم أسمع بمثلها في غيرها
فأقتصر على أعجب ما شاهدته الخ

ثم بعد وصف شيء منها وصف الحاذق والتأمل فيه بالنظر الصادق
والخط على بعض الولاة الجهمية والمواعظ السفلة الذين تعدت أيديهم
لهذه الآثار بالأتلاف والعوار قال قريبا من آخر الفصل المذكور
مانعه وما زالت الملوك تراعى بقايا هذه الآثار وتمنع من العبث فيها
واللعب بها وإن كانوا أعداء لأربابها وكانوا يفعلون ذلك لصالح منها
لتبقى تاريخا يتنبه به على الاحقاب ومنها أن تكون شاهدة للكتب
المنزلة فإن القرآن العظيم ذكرها وذكر أهلها ففى رؤيتها خبرا لخبر
وتصديق الاثر ومنها انها مذكرة بالمصير ومنبهة على المال ومنها انها
تدل على شيء من أحوال من سلف وسيرتهم وتوفر علومهم وصفاء
فكرهم وغير ذلك وهذا كله مما تشاق النفس الى معرفته وتؤثر
الاطلاع عليه وأما فى زمننا هذا الخ

ثم استطرد بالتبكي بقلم الافاضل على ذوى الاطماع الجاهلين الذين
يتصدون لنهب هذه القبور على ظن ما تحتويه من الكنوز والتكسبات
بلسان الرجل الكامل على بعض الدجالين الذين يدعون معرفة
ما يتوصل به لقمعها من الطلاس والرموز الى أن قال فى ذلك
ومن كان من هؤلاء له مال أضاعه فى ذلك ومن كان فقيرا قصد بعض
المياسير وقوى طمعه وقرب أملة بايمان يحلفها له وعلوم يزعم انه استأثر
بها دونه وعلامات يدعى انه شاهدتها حتى يخسر ذلك عقله وماله وما
أقبح بعد ذلك ماله ومما يقوى اطماعهم ويديم اصرارهم أنهم يجدون

فواويس تحت الارض فسيمة الارباء محسنة البناء وفيها من
 موقى القدماء الجمل الغفير والعدد الكبير قد لقوا بأكفان من ثياب
 القنب لعله يكون على الميت منها زهاء ألف ذراع وقد كفن كل عضو
 على انفراده كاليد والرجل والاصبع في قط دقاق ثم بعد ذلك تلقف
 جثة الميت بجله حتى ترجع كاللحم العظيم ومن كان يتبع هذه
 النواويس من الاعراب وأهل الريف وغيرهم يأخذ هذه الاكفان
 لها وجد فيها تماسكا اتخذه ثيابا أو باعه للوراقين يعملون منه ورق
 العطارين الى آخر ما أطال الشيخ عبد اللطيف البغدادي به محمدا
 تسأم النفس منه وكنت أود لو سقت هنا الفصل الرابع المذكور
 بتمامه لولما أخشى من تطويل خطبة هذا المختصر فوق مقامه حتى
 يعلم من أبناء وطني من لم يكن يعلم ويفهم كل من اتخذ الديار المصرية
 موطناً ولم يكن يفهم أن ما يعتنيه الآن حضرة خديو مصر أطال الله
 مدة عمره وزاد بهجة عصره من ترتيب مصلحة مخصوصة للمحافظة
 على الآثار المصرية القديمة والاستخراج منها للفوائد العظيمة هو
 غرض صحيح شريف كجانبه عليه الحاذق عبد اللطيف مما يتعلق به
 عنايت الملوك ويتحقق به حسن الثناء عليهم بأحسن السلوك لما فيه
 كما أوضحه آلاء من الفوائد الجلية والمصلحة العامة المهمة
 وكأني بمتغال جاهل أو حسود متغافل يعترض فيما أطنبت به بعض
 الاطناب على ويتطرشز رابعين الجهل أو الحسد الى يقول مالنا ولكان
 وكان وقال القسيس ونقل المطران وما بالناس حديث فرعون وهامان
 تلك أمة قد خلت وجاهلية انقضت عنا وانقضت وما يرى ان بعض

قصصهم فصلت في القرآن واعتنى بحديثهم أولو الالباب بجميع
البلدان في سائر الأزمان لما يوجد من جليل المصلحة في رواية الاخبار
ودراية الآثار وفي الماضي لمن حضرا اعتبار واذا كانت معرفة
أحوال ديارنا في القديم والحديث مما تتعلق به أعالي الهم من أهالي
أجانب الامم فضلا عن أرباب دولهم وأعيان ملهم يتنافس
في اقتنائه منهم المتنافسون ويعمل في اعتنائه العاملون ويرحلون
لمشاهدته المراحل الطوال ويبدلون على حيازته نفائس النفوس
والاموال ويعلمونه لاطفالهم فضلا عن كونه من ضروريات
شيوخهم ورجالهم مع أنه منا غير بعيد وأقرب الينا من جبل الوريد
فلعمري نحن بذلك كما قال مؤلف الاصل أحق وأحرى وصاحب
الدار يقتضى أن يكون باحوالها أدري ولذلك تنظن خديو مصر
حفظه الله للدقيقة وتيقن في هذه المادة الحقيقة وأعطى القوس
باريها وأجرى الامور في مجاريها حيث أمر هذا العالم الذي هو
أهله وانحصر في هذا المعنى من منذ نحو خمس عشرة سنة شغله
بتأليف هذا المختصر الذي هو على ما تحقق بالادلة القطعية والسندات
الاثرية مقتصر وصدر الامر من حضرة محمد شريف بشا مدير المدارس
المصرية وناظر الامور الخارجية بترجيته بمعرفة العبد الفقير من اللغة
الفرنساوية للعربية تحصيلها لتمام الثمرة وتسهيلها لما كان يصعب
على أهل مصر في هذه المادة من النتيجة المتعذرة والافيدون ذلك
كانت لائتم فائدته لأهل الوطن ولا يتحقق قصد خديو مصر الحسن
فانه أبقاه الله انما أراد بذلك أن تستيقظ من سنة الغفلة ونلاحظ المعنى

الظاهر من هذه الجملة اذا وقفنا من أحوال أسلافنا في هذه الديار على حقيقة الاخبار فنستب عار ذاتهم ونكتسب فخار فضائلهم وتعاون في سبيل حب أوطاننا على البر والتقوى وتهاون من ملوك طريق الشهوات وحب الاستبداد بالامور دون اخواتنا بما عمت به البلوى واذا أمرنا بخدمة مما تستفيد منه بلادنا يقتضى أن نعرف قيمتها ونؤتيها على أمانيها أو نؤتيها بنعمة بين أقراننا يجب علينا أن نراها حق رعايتها ونجتهد في أن يتحد لضعفنا ويحنو قلوبنا على ضعفنا حنو الممرضعات على الفطيم ونجتهد بقلوبنا حول ولي أمورنا كبنى العلات على الأب الرحيم ولا ينظر بعضنا لبعض إلا بعين الوطنية الحقيقية وصفة المصرية حتى ترجع هذه الديار لما كانت عليه في تلك الاعصار من أصل مرتبتها وتعوز كما هو أمل حضرة خديو مصر الآن بين البلدان لحقيقة منزلتها ونعلم أن حب الاوطان الذى هو من الايمان وشأن النفوس الكريمة والطباع المستقيمة ليس هو التعلق بالحيطان بل هو السعى فى النفع والاحسان بقدر الامكان للسكان واعتبارهم كالأخوان

وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا
بل هو بذل جميع ما كفى البلدة المال والنفس فى تحسين أحوال
بلدتيهم والذب عنهم بقطع النظر عن اختلاف الاصل والجنس بحيث
يجعلون تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة نصب أعينهم وكما
نطق به أدب القرآن الكريم يؤثرون على أنفسهم وإذا لم يكن من أهل
مصر الاصليين من توفرت فيه لهذا التأليف الشروط ولا تسمرت له
الاسباب

الاسباب لان يكون بهذا الامر منوط فلا أقل من أن يكون فيهم من يحسن ترجمته ونقله ويتقن أصله وفصله ولا ينكر فضله ويؤديه لابناء بلده كما علمه بأمانته على حقيقته وأى بأس في أخذ العلم عن أربابه والاعتماد في روايته على أصحابه اذ كانوا يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وفاقوا فيه علينا للدرجة العليا وماذا ينقص قدر العاقل والرجل الكامل اذا اعترف بما في غيره من الفضائل كما قال القائل شعر وهل أثبت الانسان في الناس فضله * بمنل اعتبار الفضل في كل فاضل

(وقال آخر)

خذ العلوم ولا تنظر لقاتلها * من أين كان فان العلم ممدوح قال الاستاذ ابن خلدون وأما الخبر عن الوقعات المستندة الى الحسن فخير الواحد كاف فيه اذا غلب على الظن صحته انتهى من الجزء الثاني في ضمن مقدمة الكلام على آخر دولة بنى اسرائيل المترجم له بالخبر عن عمارة بيت المقدس بعد الخراب الاول واذا كان لابد لكل شئ من قاذح ومادح على حسب اختلاف الشهوات والقرائح وقد فاز هذا المختصر لذي خديو مصر بالقبول ووجد وفق المأمول عند ذوى العقول فلا عبرة بمن تعد للطعن بالمرصاد ولم يفهم المعنى المراد

وكم من عائب قول لا صحيا * وآفته من الفهم السقيم ولكن تأخذا الاذهان منه * على قدر القرائح والفهوم ومن الحكم الدهرية والكلم الصادقة التي هي بالاراد في هذا المقام حرية ما أصعب الفن على بنيه * وأقرب الطعن لمن يعنيه وبالجمله فقد تمت ترجمة هذا المختصر في ظل أنندينا أمد الله ظلاله وأدام

ابجلاله وجاءت في أقل من ثلاثين يوماً كأنها البدر التمام ودخل هذا المختصر أيضاً بهمة في دائرة الاسلام وها هو الكتاب منصوباً هداً لا عين النظارة في حومة الميدان من حيث جاء به المؤلف والمترجم كلانا كفرنسي رهان ولعل الترجمة تفوز كاصلها بالقبول ويحوز الانتفاع بها الخاص والعام من أهل بلادنا كما هو المأمول

وحيثما كنا نرى إلى غرض * فخذنا ناضل منا ومنضول
وقد رأينا أن نضم إليه على سبيل الختم ضحيتين أحدهما فهرست المسائل التاريخية الواردة به على صورة السؤال ليوضع ما يتعلق بذلك بكل باب عند الطبع في آخر باب تمريننا للتعلم وتبييننا للمعلم حيث كان هذا المختصر معداً في المدارس للتعليم النائية فهرست أسماء الاعلام الغربية الواردة فيه مضبوطة بالحروف ضبطاً خفيفاً على ترتيب حروف المعجم ليسهل على من ليس له خبرة بأصلها من أهل بلادنا النطق بها على حقيقتها والوقوف على صحة صيغتها حتى لا يحصل لها التحريف ولا يعتريها التحفيف ويتم بهذه الترجمة لأهل بلادنا النفع ويشنف منها إن شاء الله لدى الجميع السمع ولما كان هذا الكتاب في أصله الفرتساوي بالنسبة لأهل بلادنا كالغنيمة الشاردة والثمرة المتباعدة وها هو قد صار بالترجمة للمتناول من يده إلى فيه أقرب وربما كان باستخراجه في طلاوة عبارتنا الخفيفة وبامتزاجه بجلاوة لغتنا الشريفة أعذب وأطرب وقد لقبه مؤلفه بماء معناه خلاصة تاريخ مصر سميت هذه الترجمة أيضاً قناسة أهل العصر في خلاصة تاريخ مصر وهذا أو أن الشروع فيها محتومة بأحسن خاتمة صدرت بصورة افادة محضرة مدير المدارس التي هي عن الحدق والصدق في القوة النظرية من رجال

❖ ١٥ ❖

رجال الحكومة المصرية معلمة بما هو في ضمنها من فصل ومجمل وعلى حكمة
المرسل يستدل بجنكة المرسل

تلك آثار تاتل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

صورة

ترجمة افادة حضرة محمد شريف باا مديرو المدارس المصرية وناظر الامور
الخارجية خطابا الى حضرة وكيل ديوان المدارس منسوخة من أصلها
باللغة التركية الى العربية المؤرخ في ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٢٨١
وورودها في ٢٦ منه

حيث ان التاريخ الذي ألفه جناب مارييت بك فرنساوى العبارة مطلوب
حضرة الخديو ترجمته الى اللغة العربية واللغة التركية وان أبو السعود
أفندى من أرباب قلم الترجمة معلوم استعداده ودقته فى اللغة العربية فكما
انه استنسب احالة افراغ الآثار النافذة الممالة لهذا الى اللسان العربى
انقصيح البيان بصورة سهلة المأخذ على عهده فبالمثل بحسب رسوخ
مصطفى صفوت أفندى من خوجات المدارس ومهارته فى اللغة التركية
أيضا استنسب احالة الترجمة الى اللغة التركية على الموصى اليه فبناء عليه
يصير احضارهما الى طرف حضرتكم ويعطى لكل منهما نسخة من نسختى
التاريخ المبعوثين ل حضرتكم على هذا وتفهيمهما مؤدى افادتنا هذه مع
توصيتهما أيضا بحصول الهمة منهما على قدر الامكان لعدم تأخير اشغالهما
العادية فى مدة الاشتغال بالترجمة المذكورة وبهذا لزم الاشعار

اطلعت على هذه الترجمة وفهمت مضمونها واستلمت احدى النسختين
المذكورتين بها للترجمة الى اللغة العربية منها حسبما توضع اعلاه فى ٢٦
ربيع الآخر سنة ١٢٨١

كاتبه

أبو السعود

١٧

ترجمة

خلاصة تكملة شرح خضر

من منذ الاعصار الخالية الى ان اقتحمها المسلمون

تأليف

العالم القرنساوى اوغسطوس مارييت بك ناظر مصلحة حفظ الآثار
المصرية القديمة المعروفة بالاتيقة خانه المصرية

مختصرة

من طرف المؤلف باسم حضرة أفندينا اسمعيل باشا ابن المرجوم ابراهيم
باشا صاحب الديار المصرية لتقرأ بالمدارس الخصوصية المصرية

بج

١٢

ترجمة رسالة عنونة الكتاب باسم سعادة صاحب مصر

الى منسرة الادوار الاعظم والقدور الاكرم ائندنيا اسميل
باشا صاحب الديار المصرية ايد الله ايامه
وايد بالعلوم اعلامه

ينهى العبد للاعتاب الكريمة انه اذا كان تاريخ مصر يجب أن يكون
معلوما عند كل انسان في بلدة من البلدان فان نفس الديار المصرية هي
الاحق بذلك الشأن ولقد علم لدى حضرتكم العلية وتقرر في مدرككم
الذكية ما ذكره فضلتكم على عبدكم باصدار الامر اليه والاعتماد عليه
في تأليف نبذة في هذا المعنى بأسهل عبارة واخصرها ولاغروا وسعادتكم
أول من أشار بانشاء خزنة الآثار المصرية القديمة (المعروفة بالاتيقيخانه
المصرية) التي هي من أجل شيء يؤثر ومن أفضل ما يذكر حيث يجد فيها
أهل المعرفة بالآثار القديمة المصرية من المواد النفيسة ما ييل غليلهم
ويشفي عليهم وسعادتكم أيضا هو الذي وتب على القواعد المتينة وأسس
على الاساسات المتكينة مصلحة الكشف والتفحص عن الآثار القديمة
بالجهات المصرية التي هي مطمح آمال العلماء ببلاد الاوربا فاذا شرع القلم
في كتابة أول صحيفة من هذا الكتاب لا يسعه الا ان يفتتح باسم حضرتكم
تعميما للتشكر واشهارا للثناء الجليل الواجب لحضرة الامير الجليل الذي

اثبت

اثبت بالدليل انه هو أولى أهل عصره بأن يكون أول منم للعصول على
 ما يتعلق بعلم أحوال مصره
 من العبد الضعيف
 او غس طوس
 مارييت بك

مقدمة الكتاب

ذكر المؤرخون أن مصر محدودة من جهة الشمال بالبحر الأبيض المتوسط ومن جهة الجنوب بشلال اسوان ولم يلتفتوا في التصديق على هذا الوجه لما يظهر من الدلالات المتخذة من علم الجغرافيا ولا من النظر في مقابلة أحوال أنواع العالم بعضهم مع بعض فانه من علم الجغرافيا يعلم انه يوجد على الشمال الشرقى من قارة افريقية فيما بين البحر الملح الى دائرة خط الاستواء منطقة متسعة من الارض متكوّنة كمصر من نهر النيل تكسب خصوصتها منه لا من سبب آخر مثلها وبالنظر في مقابلة أحوال أنواع العالم بعضهم مع بعض يرى أن على شواطئ هذا النهر من تلك الجهات أقواما متنوعين متوحشين لا قدرة لهم على سيادة أنفسهم بأنفسهم مع ان بهذه الجهة من دائرة الانقلاب أمة متمدنة تعجب الناظر وتسرا الخاطر بما حوته من الفخروا كتسبته من أنواع الصنائع وسائر أسباب التمدن والتأنس الذى اشتملت عليه وحيث ذك كان يقتضى للمؤرخين في تحديد مصر أن يقولوا انها عبارة عما يرويه النيل من الارض فهى تستحق الاستيلاء على سائر الاراضى التى يسقىها هذا النهر من جهة الجنوب ولو بلغت ما بلغت من تلك الجهة

ومن المعلوم ان مصر بلدة ممتازة على سائر البلدان يسكنها قوم أهل طاعة وانقياد لولى أمرهم أسرع للخير وأسهل للتعايم وأقرب للتقدم قد أبعد الله عنهم بالكلية تقريرا كلاً من غائلقى البرد والجوع بما منح أرضهم من الخصوبة الطبيعية التى يضرب بها المثل ولطافة هواء اقليمها بخلاف

ماعداهما من الاقطار التي لم تكرم بمثل ما أنعم الله به على مصر فات هاتين الغابتين عند غيرهم ينشأ عنهما الفتن السياسية والمحن الاهلية التي هي أمراض حقيقية في جثمان التأنس والعمارية وأمانه النيل (٣) فإذا يقال فيه غير أنه ملك سائر الانهار فانه في موسمه المعتاد تقريبا من كل عام يتحرك من مأواه ويخرج عن مجراه ويرى ما تهدله من الاراضي بما يحصل فيه من الزيادة الناشئة عن السيول والامطار النازلة ببعض الاقطار من بلاد السودان ولا يرجع الى محله الا اذا أودع الارض طينة هي عين خيراتہ وأثر انعاماته بخلاف ماعداء مصر من الاقطار فان فيضان الانهار فيها هو مصيبة عامة وداية طامة أما النيل فبدلا عن أن يكون لمصر عدا وتخشى صياله وتديم قتاله هولها تم المحبوب بمنحها بما تقربه العيون وتطمئن له القلوب حيث كان بما يسدى اليها من الحصوبة والقوة يورثها الغنى والثروة

واذا نظرنا الى أهل مصر من حيث انها أمة من الامم فالتناجد أنها لا زالت بالنظر جدية وبالالتفات الباهرية غير حقيرة ونرى لها على عمر الازمان في وقائع العالم الوظيفة العظمى والمدخل الاقوى وذلك أنها لتقاربها بمسافة واحدة تقريبا من كل من قسم أوروبا واسيا وافريقية لا يكاد يحصل حادثة مهمة من حوادث الحدثنان في بلدة من البلدان الا ولمصر

(٣) أحسن ما قيل في نيل مصر قول أبي الحسين المعروف بابن الوزير شعر

أرى أبدا كثيرا من قليل * ويدرا في الحقيقة من هلال

فلا تعجب فكل خليج ماء * بمصر مسبب لخليج مال

زيادة اصبع في كل يوم * زيادة أذرع في حسن حال

فيها يد بضرورة الاحوال بل وبهذه الخاصية يتميز تاريخها على تواريخ
سائر جهات العالم فان من تأمل في أحوال هذه الديار على عمار الاعصار
اتضح له أنها امتازت بكونها لم يضي مضيا بها ولا بدا صباها بعض
لمنظرات من الزمان ثم حجب بديرها وكذب بجرها فهوت في هاوية
الظلمات مدة ماقليلة أو كثيرة ككثير من البلدان بل لم تزل على حالها
العجيب وبجتها الغريب تحتفظ عملها وتستمر شغلها مدة سبعين قرنا
من الزمن وفي جميع هذه المدة المستطيلة لم يزل لها مآثر وتأثير ظاهر
في كل عصر من الاعصار على بعض الاقطار من جهات العالم ألا ترى
الى مصر في الاعصار الخالية العرعونية فانها تظهر لك في مبادئ الدنيا
كأنها جدة سائر الامم (٤) ويبدو لك أحد ملوكها الفراعنة الاولين
المسمى كيوبس يبنى المباني المتقنة ويشيد العمارات المستحسنة
التي لم تيسر لاهل الصناعة من المتأخرين الآن مع ما بلغوه من درجة
الاتقان أن يعملوا أحسن منها وكان ذلك في وقت لم يكن يوجد فيه
في سائر جهات الدنيا من له تاريخ يذكر ولا خبر يؤثر (٥) وتجد الملك
نوتيس والملك امونوفيس ورمسيس الأكبر المعروف أيضا بالملك

(٤) قوله جدة سائر الامم هو قريب مما اشتهر على السنة العوام من انهم
يقولون ان مصر هي أم الدنيا انتهى

(٥) قوله وتجد الملك نوتيس والملك امونوفيس الخ كلامهم جار في عربته
الملوكية جميع الامم الخ اشارة لماسيد كر بعد في اثناء هذا الكتاب وتحقق
بالادلة من زيادة سطوة الفراعنة الاقدمين على سائر الامم في تلك الاعصار
وسعة فتوحاتهم الى اقصى بلاد اسيا كما سيأتي تفصيله انتهى

سفر وستريس كلاً منهم جازاً في عريته الملوكية جميع الأمم المعروفة في ذلك الوقت مسلمين بسلاسل الحديد وكذلك لما صارت مصر إلى دولة اليونانيين والرومانيين لم يزل لها السلطان على ما سواها من البلدان بقوة العلوم كما كان لها البطش عليهم بقوة الاسلحة والاعلام أوليس ان المذاهب الفلسفية الناشئة بمدينة الاسكندرية في ذلك العصر الذي بلغت فيه درجة الضنك للغاية هي التي أمدت الحركة الفكرية العظيمة وأرشدت الهمة العقلية الجسيمة التي تولدت عنها نتيجة ما وصل اليه الآن الأمم المتأخرون من درجة الصكمال وحسن الأحوال وفي أثناء العصر المتوسطة أيضاً كان لمصر الفضل بما تشأبهم في مدة دولة العرب المسلمين من تجويد الفنون والصنائع التي نتج عنها بمدينة القاهرة العجايب التي لا تقهر لها وفي مدة حروب الصليب تجدد الملك (٨) سنلويس ملك الفرنسيس مأسورا

(٨) وواقعة الملك سنلويس بمصر هزمه في المجاهدة الصليبية السابعة من مغازي نصارى بلاد الاورب بالبلاد الاسلام المعروفة في مكتب التواريخ بحروب الصليب (راجع كتاب قظم اللاكي في السلوك فيمن حكم قرانسا من الملوك صحيفة ٨٥ من طبعة سنة ١٢٥٧م ترجمة العبد الفقير المطبوعة في مدة المرحوم محمد علي بإشارته الله انتهى)

بمدينة المنصورة (٩) وفي أول هذا القرن تجديبها السلطان نابليون بونابarte مع ما حضر به من عساكر الاغارة الفرنسية التي كانت ذات بهجة وان كان قد خاطر بها وفي أيامنا هذه ترى فيها عائلة المرحوم الحاج محمد علي باشا السبت ترعيهم شعائر القطن تنشر على شواطئ النيل وترى مصر في عهدهم ساعية مسرعة في طريق التقدم بحيث تلتفت اليها سائر الاقطار من جميع الاقطار واذا علمت ذلك فقد ثبت أن مصر جديدة بالنظر اليها من حيث

(٩) وفي أول هذا القرن تجديبها السلطان نابليون بونابarte الخ يشير بذلك المواقعة دخول الفرنسية الى الاخير على الديار المصرية في أول سنة ١٢١٠ هـ وخروجهم منها في أول سنة ١٢١٣ هـ وهذه غير واقعة الملك سنوليس المشار اليها قبل ذلك انتهى

تاريخها أكثر من استحقاقها لذلك ادعى خصوصيتها حكى الحكيم افلاطون
أن سولون الفيلسوف لما وفد على الديار المصرية في عصره قالت له قسوس
مدينة سيس (وهي قرية صا الحجر من قرى اقليم الغربية) مامعنا يا سولون
ياسولون انما أنتم معاشر اليونان بالنسبة اليينا اطفال ليس فيكم شيخ يعتد
في الرجال الى اخر ما ذكر وفي الواقع بما أن المصريين هم الذين قصوا السائر
الامم طريق التمدن التي كانوا فيها هم السابقين وغيرهم لهم لاحقين فقد
حازت مصر بذلك نخر السبق الذي لازالت تحتل به من منذ ألفين وخمسمائة
عام لغاية الآن ولا يتفك عنها فيما بعد على ممر الازمان

ثم ان تاريخ مصر العام من منذ الاعصار الخالية الى وقتنا هذا يصح أن
ينقسم من حيث أنواع التمدنات التي اتخذوها على التعاقب الى ثلاث ميده
أصلية

الاولى مدة الجاهلية

الثانية مدة النصرانية

الثالثة مدة الاسلام

فأما مدة الجاهلية فهي عبارة عن مسافة الزمن التي مكثت مصر فيها تدين
بينها الاول ولستعمل الكتابة القديمة واللغة الاصلية بدون انقطاع لما
أن هذه الامور الثلاثة هي عبارة عما به قوام طريقة التمدن المصرية القديمة
التي بقيت منها الا آثار العديدة على شواطئ النيل لغاية الآن وتبتدى
هذه المدة بمغنا الملك في مصر وتمكث مسافة خمسة آلاف وثلاثمائة وخمس
وثمانين سنة ثم تنتهي حيث أمر طيودوسيس ملك الروم قبل الهجرة
المحمدية بمائتين واحد واربعين سنة برفض الآلهة المصرية القديمة
وجعل دين النصرانية هو الدين المعول عليه رسمًا بتلك البلاد

وأما مدة النصرانية فابتدأوا من تاريخ اشهار أمر الملك طيودوسيس
المذكور وتنتهي حين ما دخل أصحاب محمد (عليه الصلاة والسلام) الديار
المصرية وكفوا أهلها بديانة الاسلام سنة ١٨ من الهجرة وفي مسافة هذه
المدة التي لم تمكث الا مائتين وتسعا وخمسين سنة كانت مصر تابعة لدولة
ملوك الروم المستقرة بمدينة القسطنطينية

وأما مدة الاسلام فبدأ دخول الاسلام بمصر ولم تزل مستقرة الى يومنا هذا

(تقريب)

لا سائد التي اعقدنا عليها في نقل اعداد السنين المذكورة في هذا الكتاب
لا تعد سنوها الا بالسنة الشمسية التي هي ثلثمائة وخمسة وستون يوما

ولم

ولم يتيسر لنا احتساب التواريخ بطريقتة أخرى فاذا قلنا اتباعا للنقول المذكورة ان مسافة المملكة المصرية الاولى كانت ٥٣٨٥ سنة فنحن بذلك كالاصول التي نقلنا منها السنين الشمسية التي تبلغ على حسب طريقة العرب في تعداد سنهم ٥٥٤٧ سنة قرية بما قدر كل سنة منها ثلاثمائة وأربعة وخسون يوما وكذلك ما ذكره من التواريخ قبل الهجرة هو على حسب السنين الشمسية فاذا قلنا مثلا قبل الهجرة بأربعمائة سنة فرادنا بها الشمسية نعلم بذلك أربعمائة سنة شمسية قبل تاريخ الستمائة واثنين وعشرين سنة من الميلاد المسيحي الذي هو مبدأ تاريخ الاسلام وانما غرضنا في مختصر تاريخ مصر هذا ان نورد تاريخ المذتين الاوليين فقط أي نزول تاريخ مصر من أول أمرها الى ان ظهر الاسلام بظهور ملة العرب على شواطئ النيل وهذا أو ان الشروع في المقصود

خلاصة تاريخ مصر فيما يتعلق بمدة الجاهلية

اعلم ان العدة العديدة من الملوك الذين تناوبوا الجلوس على كرسى مملكة مصر في قديم الزمان بمدة الجاهلية ينقسمون الى عدة طوائف تسمى بالعائلات الملوكية فان كانت العائلة الملوكية منهم بلدية تسمت باسم المدينة التي كانت تحت الملك حينذاك فيقال العائلة الملوكية المنفية نسبة الى مدينة منف أو منفيس التي هي قرية ميت رهينة الآن (باقليم الجيزة) والعائلة الملوكية الطيبة نسبة الى مدينة طيبة التي هي الآن الناحية المسماة بمدينة أبو (باقليم قنا) والعائلة الايلفتينية نسبة الى جزيرة

ايلقستين وهى جزيرة أسوان (بأقليم اسنا) والعائلة الثانية نسبة الى مدينة
 تان أو تانيس وهى ناحية سان (بأقليم الشرقية) وان كانت للعائلة اجنبية
 اعنى وردت على الديار المصرية من الخارج وتحكمت عليها بطريق الفتح
 والغلبة اتسبت الى الملة المتغلبة فيقال العائلة الملوكية الايتوية (يعنى
 الزنجية) أو العائلة الملوكية الفارسية أو اليونانية أو الرومية وبجمله
 العائلات الملوكية التى حكمت المملكة المصرية من منذ منتهى الى غاية
 هذه الاعصر القريية العهد من اربع وثلاثون طائفة واذا تقرر ذلك
 فيقتضى أن يكون مبنى ترتيب كل من وصف الآثار المصرية القديمة ومبنى
 كلام كل من أراد أن يتكلم على مدة الجاهلية المصرية من المؤرخين هو
 فريق الملوكة المصريين الى أربع وثلاثين فرقة كبيرة ترجع كل منها الى عائلة
 ملوكية وتتميز عما واهابا لا تنساب الى المدينة المتخذة تحت المملكة المصرية
 فى مدة حكمها

وقبل الشروع فى ذكر تاريخ العائلات الملوكية المذكورة فلا بأس بالإيماء
 لبيان المواد التى استخرجنا منها احياء تاريخ مدة اجاهلية المصرية وهى
 عبارة عن ثلاث المائة الاولى والاحق بالتقديم على ما عداها فطر الماهو قائم
 بها من علو طبقة الاعتمدية وتواتر العدد هى خمس الآثار المصرية القديمة
 من الهياكل والقصور والقبور والنمايل والاحصنام والتقييدات المسطورة
 عليها بالقلم القديم المسمى بطريقة الكتابة الهيروغليفية وغير ذلك (راجع
 ما أوضحناء من التفاصيل مما يتعلق بالآثار المصرية الاصلية فى تذييل هذا
 الكتاب) ولا سند أقوى من هذا لما ان الآثار المحكى عنها لها فضل كونها
 للعوائد التى تروىها شهود اعدوا ولا لتقبل التعبير مع فيها فهم من قبل مدة

ليست بعيدة العهد منا كانت الآثار المصرية المذكورة عارية عن درجة الوثوق التي هي متصلة بها الآن فان سر الأسكتابات المسطورة عليهم بالقلم القديم كن قد ضاع في زوايا النسيان وصار كانه معجز الانسان وكانت هذه الآثار لا تظهر لعين الرائي الا بصورة جسم بلا روح وجماد على الارض مطروح فلا تفيد معنى ولا تروقه حسنا حتى ظهر من منذ نحو أربعين سنة رجل ذو قريحة ناقبة وقراءة صائبة فازال بقوة تفرسه عن ظلمات الكتابة المصرية القديمة الحجاب بما لم يكن في الحساب ألا وهو العالم الفاضل والرجل الكامل شامبوليون الفرنسي فانا ازال عن وجه مصر القناع وأنطق صم آثارها القديمة حتى ملأت الاسماع وبدأت لنا مصر العتيقة بهمة على ما كانت عليه في الف الا زمان من الحكمة البالغة وعظم الشأن وصارت الآثار المصرية القديمة الآن لا تظهر لعين الرائي مجرد اطلال يتعلق بها مجرد التشوق لرويتها والتشوف لظاھر هيئتها بل تحقق أنها انما هي صحف القوم السالفين منقوشة في صلب الاحجار واساطير الاولين محفوظة في عين الآثار نقرأ فيها الآن قراءة نعرفها ونطالع فيها من غير وقفة نقفها وقائع تاريخية كانت هذه الجادات الناطقة من معاصريها بحيث لا ريب ولا شبهة فيها

وبلى شهادة الآثار المصرية القديمة في الرتبة تاريخ مصر الذي ألفه باللغة اليونانية قبل الهجرة بنحو ٨٧٢ سنة (٢٥٠ قبل الميلاد) القسيس المصري المسمى مانيتون (راجع في التذييل جدول بيان العائلات المالوكية المصرية حسبا أوردته مانيتون) وفي الحقيقة لو كان قد وصل اليها هذا الكتاب على حاله فلا كان يوجد لمن يتعنى معرفة أحوال الديار المصرية

من شذاً وثق منه فان هذا الرجل كان مصري المولد قسيساً لم يقتصر فضله على معرفة اسرار دينه فقط بل كان له خبرة بأداب الامم الاجانب حيث كان حائزاً لمعرفة اللغة اليونانية فلقد كان ما يتون هذا حقيقة أهلاً لان يكتب تاريخ وطنه على أتم وجه وكان هذا الكتاب لو بقي لنا كتر حقيقياً لا يفنى ومعدنا نقيس به عن كل ما سواه يستغنى ولكن صالت عليه يد الدهر الصائل واغتالت به القوائل نفخ في زمرة ما خفي من كتب الاولين وآداب الامم السالفين ولم يصل الينامنه البعض قطع رواها بعض المؤرخين الذين جاؤا بعده وهو على ما صار اليه من سوء الحال وتطرقه من غائلة الاختلال لم يزل لغاية الآن عمدة يعتمد عليه وثقة ككثيرا ما يرجع اليه ولقد صدق المؤرخون حينما بالمؤرخ الاهلي في نقلهم عنه يعبرون ويعقب تاريخ مصر للقسيس ما يتون والآن تاريخ المصرية القديمة ما يوجد من القوائد التبعية والاستدلالات التاريخية التي صار العثور عليهم متفرقة بخصوص مصر في كتب التواريخ اليونانية واللاتينية فمن ذلك أولا المؤرخ هيرودوت وأهيرودوتس وهورجل من المؤرخين اليونانيين وفد على الديار المصرية قبل الهجرة بنحو ١٠٧٢ سنة (٤٥٠ قبل الميلاد) وترك لنا في تاريخه ألفه وصفاً لهذه الديار لا بأس به

ثانياً المؤرخ ديودور الصقلي وهو رجل سياح من اليونان أيضاً وفد على مصر وساح على شواطئ النيل في سنة ٦٣ قبل الهجرة (٨٠ سنين قبل الميلاد) واقرء باباً مخصوصاً بالكلام على مصر في كتاب ألفه كما فعل المؤرخ هيرودوت

ثالثاً استرابون وهو من علماء الجغرافيا اليونانيين كان لديودور الصقلي المذكور

المتذكور قبله تقريرا من المعاصرين ولقد أفادنا فيما يتعلق بجغرافية
وادي مصر بأن تقع الفوائد وأعاد علينا من معلوماته في هذا الصدد أخصيه
العوائد

رابعاً المؤلف بلوتارك الذي ألف في سنة ٥٣٢ قبل الهجرة (٩٠ سنة
بعد الميلاد) رسالته باللغة اليونانية المتعلقة بإيضاح مادة ما كان قد ما
المصريين يعبدونه من الالهين الكبيرين المعروفين باسم اوزيريس واوزيريس
ولقد أودع هذه الرسالة مما يتعلق بديانة المصريين القديمة ما حقق المحققون
من علماء المتأخرين أنه هو بعينه ما كان يتناقله سلف المصريون جيلاً بعد
جيل من الأحاديث

إذا علمت هذه الفوائد التي أوردناها لك ليتحقق عندك قوة الذاكرة التي إليها
استندنا ودرجة الاعتمادية التي عليها اعتمدنا فيما نسطر من خلاصة تاريخ
مصر ونحترز من نتيجة أحوالها السابقة ما غلبنا أن نقسم جملة العائلات
الملوكية المصرية التي هي أربع وثلاثون طائفة إلى خمسة أعصار كبيرة
الأول الدولة القديمة أو عصر الجاهلية الأولى ويستغرق من العائلة
الملوكية الأولى إلى الحادية عشرة

الثاني الدولة المتوسطة أو عصر الجاهلية الوسطى ويستغرق من العائلة
الملوكية الحادية عشرة إلى الثامنة عشرة

الثالث الدولة الحادية أو عصر الجاهلية الأخيرة ويستغرق من العائلة
الملوكية الثامنة عشرة إلى الحادية والثلاثين

الرابع عصر اليونانيين بمصر وهو عبارة عن مدة العائلتين الملوكيتين
الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين

الخامس عصر الرومانيين بمصر وهو عبارة عن مدة العائلة الملوكية
الرابعة والثلاثين ولنفتح خلاصة تاريخ مصر مدة الجاهلية بتاريخ
الدولة القديمة أى عصر الجاهلية الأولى فنقول

(الباب الاول)

فما يتعلق بدولة مصر القديمة أى عصر الجاهلية المصرية

الأولى وهو عبارة عن تاريخ مصر من اول العائلة

الملوكية الأولى الى الحادية عشرة

مبدأ الدولة المصرية القديمة هو من وقت انشاء الحكومة الملكية بمصر
وذلك في سنة ٥٦٢٦ قبل الهجرة (٥٠٠٤ قبل الميلاد) وتنتهى
بانتهاى مدة العائلة الملوكية الحادية عشرة وقدمت ١٩٤٠ سنة
ولما كان أول عهد انشاء الحكومة الملوكية بمصر بعيدا عنا جدا كان
تاريخ ذلك العصر مستغرقا في بحر التطلعات هاويا في هاوية الجهالات
وانما بواسطة تقدم العلوم والمعارف واستنادا الى بعض وقائع نظرية
لاريب في صحتها وملاحظا أدبية لاشك في قوتها حقوق أهل التحقيق من
العلماء ان أصل منشأ التمدن المصرى في المدة القديمة قبل أن يعلم لها تاريخ
ورد اليها من بلاد آسيا لامن جهة الجنوب ولكن في أى وقت استوطن
بها أهلها المقيمون بها الفاية الآن وكيف اتسعت مائة هذا التمدن الذى بلغ

لهذه

لهذه الدرجة العجيبة والمرتبة الغريبة هذه مسائل مشكلة بحسب
 التخصيص لا يمكن انحلالها وعقد عضلة لا يتفك عضالها أبدا وعلى كل حال
 فقد اتفقت سائر النقول وأجعت جميع لاصول على أن الملك مينيس
 هو أول ملوك العائلة الملوكية المصرية الأولى ولكن هل سبقه ملوك
 آخرون كانوا ملوك طوطم بمصر من قبله وكان هو الذي جمع الديار المصرية
 في قبضة ملك واحد كما زعم بعض المؤرخين أم لا هذه أيضا مسئلة لا يمكن
 القول فيها بالاثبات لما نهادعوى لادليل عليها وانما المحقق هو أن فرعون
 مصر الأول المسمى مينيس هذا الذي كان أول مؤسس للمملكة المصرية
 في قديم الزمان لم يكن وجوده من قبيل الخرافات وإن كان بعيد العهد
 مساجدا ولا يترأى لنا الأمن وراء حجاب الأعصار الخالصة بحيث يظهر أن
 وجوده انما كان في دور طفولية الجنس البشرى وعلى حسب ما ذكره
 القسيس ما يتون تكون الثلاثة عائلات الملوكية الأولى قد حكمت
 مدة ٧٦٩ سنة والآثار الباقية لنا من عهدهم ليست بكثيرة وبالتأمل
 فيها يرى عليها من علامات الغلط والتوحش وعدم الثبات في الطريق
 المستقيم من الفن ما يدل على أن مصر في الوقت الذي صار فيه انشاء
 هذه الآثار كانت على حالة البداوة الأولى لم تهتد الى الطريق ولم ترشد
 لسبيل التحقيق فعهد العائلات الثلاثة المذكورة كان بالنسبة لمصر هو
 عهد التفريخ لا قول الذي لا بد وأن يمر به جميع المال في مبادئ أمرهم
 وأما بظهور العائلة الملوكية المصرية الرابعة في سنة ٤٨٥٧ قبل
 الهجرة (٤٢٣٥ قبل الميلاد) فإن تاريخ مصر قد اخذ في الاستهلال
 وبرز من كساء الظلام الذي كان به في الاشغال لغاية ذلك العهد وصار

العثور لهذا العصر على آثار أكثر من آثار العصر السابق تأذن للمؤرخ بضبط وقائع تاريخية وقعت فيه ورواية حوادث جليلة مما تحتويه وكان الملك الظاهر على هذا العصر هو الذي يسميه المؤرخ هيرودوت بالملك كيوبس ويسمى في نصوص القيودات المسطرة على الآثار بذلك العصر باسم الملك خوفو والظاهر أن الملك كيوبس المذكور كان ملكا مجاهداً فاته مصور في النقوش الموجودة بوادي المغارة (في بحيت جزيرة الطور) على شكل مقاتل يجمع طائفة بني اون وهم قبيلة من عرب البوادي الذين كانوا موجودين بتلك النواحي في ذلك العصر وكان يحصل منهم التعدي على الحدود الشرقية من الجهة البحرية من وادي مصر وكان الملك كيوبس أيضاً مشغولاً خصوصاً بحب مادة لبناء المباني وتشيد العمارات فان أعظم الاهرام الموجودة بالديار المصرية وأشهرها كانت قبر هذا الملك وعلى ما قيل ان مائة ألف عامل كانوا يتناوبون العمل في كل ثلاثة أشهر يستبدلون بغيرهم بأشروا ببناء هذه العمارة الجسيمة التي امر بإنشائها الملك المذكور في مسافة ثلاثين سنة وفي الحقيقة ليس فوق طاقة ارباب الصناعة المتأخرين ان يعملوا نظيرها وانما الذي يصعب ولو في أيامنا هذه هو أن يبنى في داخلها حجرات بطرقات تصل بعضها ببعض ومع ما هو محمول عليها من الأثقال الجسيمة تمكث مدة ستين قرناً من الزمن على أتم حال بدون أن يعتريها أدنى اختلال

وأما مرتبة العائلة الملكية الرابعة بالنسبة لباقي العائلات المتداولة على كرسى مملكة مصر في مدة الدولة القديمة فلا شك انها تحل منها الذروة العليا والدرجة القصوى فانتارى أنه من أول عهد هاجرت في مائة

التمدن بمصر على حين غفلة حركة عجيبه وسرت فيها نسمة غربية وزالت
عن مصر الموانع وبدأ بها أسعد الطوالع من عجائب التمدن التي لم يكن
لها نظير في ذلك الوقت في جميع بلاد العالم وانتظمت بها الجمعية التأسيسية
انتظاما تاما والتأم أمر العمارة فيها التاماعا فترى الفنون
والصنائع قد بلغت فيها في ذلك العصر من الاتساع وارتقت بها من
الارتفاع الى درجة لم يفقهها أبهج الاعصار التي تسرت للديار المصرية
فيما بعد الابشئ يسير جدا واختطت المدن وتأسست القرى وازدجت
الارياض بالمنازل الزراعية العديدة والدور الفلاحية الجديدة واعتنت
الاهالي بتربية الدواب التي لا تحصى فيها واقتنت الغزلان وطير الكركي
والاواك والوحشي في الحالة الاهلية لديها وامتلات الارض بالمزارع
الجيدة الغزيرة وجاءت بالمحصولات المخدمومة الكثيرة وتحسنت المساكن
الاهلية وزينت المواطن البلدية باتقان فن الهندسة والعمارات
واحسان البناءات فترى رب الدار مقيما بها محببا الى أهله وذويه محترما
لدى اتباعه وبنيه تارة يزرع بها الازهار وطورا يتمتع بالتفرج على أنواع
لعب ورقص تفعل امامه بحضرة الزوار وتارة يشتغل باقتناص الطيور
والوحوش من الصحارى والبادى واخرى يصطاد الاسماك من الترع
والخجان المنتشرة في ساحة الوادى وترى كثيرا من السفن الكبيرة ذات
الشراعات المربعة تخطر على وجه ماء النيل من أجله موسومة بمواد
تجارة تظهر لعين الراى من غير تشكك ولا ترديد شديدة الحركة كثيرة
البركة بما الاعليه من مزيد وبالجمله فهيشة مصر تظهر للراى في ذلك العصر
من سائر الوجوه بصورة شاب يمتلى عنفوانا وقوة ويتلألؤ بنخوة وفتوة

كيف لا وان ثمال الملك كسرين العجيب الموجود بجزانة الآثار المصرية
التي احسن بانثائها على أهل العلم حضرة أفندينا اسماعيل باشا صاحب
مصر وهو أنقن ضنعة وأحسن قطعة أبرزتها يد صناعة التصوير
في الحجر مصر ولم يزل على حاله وهيئة كماله بعدمضي ستين قرنا من الزمن
عليه هو من أعمال هذه العائلة الملوكية الرابعة أو ما علمت ان الاهرام
التي استحدثت عند السلطنة أن تحسب في ضمن عجائب الدنيا السبع هي من
آثار ذلك العصر أيضا

وكان تحت المملكة المصرية في عهد العائلتين الملوكيتين الاولى والثانية
تارة مدينة تينيس (المعروفة الآن بخرابات المدفونة باقليم جرجا) وتارة
مدينة منف أو منفيس التي هي قرية ميت رهينه (باقليم البحيرة) وأما
في مدة العائلة الملوكية الخامسة فكان تحت المملكة جزيرة ايلندنتين
(وهي جزيرة اسوان) ولم يحصل في عهد هذه العائلة الملوكية حادثة
تاريخية مهمة تقتضى الالتفات اليها وانما لها بعض آثار في جلة الآثار
المصرية القديمة منها مسطبة فرعون الموجودة بجهة سقارة (من اقليم
البحيرة) ومنها عدة مقابر في ضمن مقابر تلك الجهة في غاية من الاتقان
والحفظ صارا استكشافها في المدة الاخيرة بواسطة الكشف واتفحص
الجاري عن الآثار المصرية القديمة لصياتها في خزينة الآثار المصرية
الكائنة بيولاك

ولمات آخر ملوك العائلة الملوكية الخامسة استولت على كرسى
المملكة المصرية عائلة أخرى قال القسيس ما يتنون ان أصلها من مدينة
منف وأشهر ملوكها اثنان الملكة نيتوكريس والملك ايايوس فاما الملكة
نيتوكريس

فيتمكريس المورد الخدين كما وصفها بذلك مايتون في تاريخه فقد كانت على ما قيل أشهر أهل عصرها من صبا وجمالا وأظهروهم فضلا وكالا ويحكى عنها أنه كان لها أخ قتله بعض الناس وأرادت أن تنتقم ممن قتله فحذبت المذنبين إلى سرداب تحت الأرض واعتدت لهم وليمة فيه فلما انتهوا في لذات المأكول والمشرب أجرت عليهم ماء النيل فأغرقهم جميعا

وأما الملك إيايوس فإنه كان ملكا مغازيا كالملك كيوبس ولم تكن شلالات النيل حينذاك مانعة من سير المراكب كالآن (خصوصا شلال وادي حلقة) وكانت حدود مصر من جهة الجنوب غير ذات منعة مفتوحة للاغارة عليها من الطائفة المسماة في ذلك الوقت باسم هوهور وهي طائفة من الزنوج المؤذين بتلك الجهات فسمى الملك المذكور لقتال هذه الطائفة وأدخلها تحت الطاعة وكذلك أطاع للدولة المصرية قبيلة غير معلومة من عرب البوادي تسمى بنى هيروثة وكان جماعة من المصريين يعملون في استخراج معادن النحاس في بحيت جزيرة الطور فكدر عليهم أقوام من القبائل الموحدين بتلك النواحي فعاقبهم الملك إيايوس بما فعلوا أيضا ويكثر اسم الملك إيايوس هذا في الكتابات المسطرة على الآثار المصرية القديمة فيوجد وارد بالآثار الموجودة بجهة اسوان وجهة الكاب (باقليم اسنا) وناحية قصر الصياد (باقليم قنا) وناحية لشينج سعيد وزاوية الميتين (باقليم المنيا) وفي جهة سقارة (باقليم الجيزة) وفي ناحية سان (باقليم الشرقية) ويوجد مصورا في البخور الكائنة بوادي المغارة وفي محطة القوافل المسماة بالجمامات من طريق قنا إلى القصير

ولما كان مدلول لفظ إيايوس باللغة المصرية القديمة طويل الغامة كان

ذلك بحسب الظن أصل ما يتناقل من حديث أن الملك أبابوس المحكي عنه كان طوله سبعة أذرع ويقال أنه حكم مصر مائة سنة ثم أنه من آخر عهد العائلة الملوكية السادسة إلى أول عهد الحادية عشرة انقضت مدة فترة من الآثار المصرية تبلغ ٤٣٦ سنة لم يعثر فيها على عمارات تستنطق عن الوقائع التاريخية التي وقعت فيها فيا ليت شعري هل كان قد حصل في أثناء تلك المدة على بلاد مصر اغارة من بعض أقوام أجانب لم يباغ خبرهم أهل التواريخ بعد والقسيس ما يتون سككت عن ذكرهم في تاريخه ولم ينظر إلا للعائلات الملوكية الحقيقية الذين كانوا لم يزل لهم الدولة على الديار المصرية في ذلك الوقت وإن كانوا محصورين في داخل مدنتهم أم كيف كان الحال نعم لاشك في ذلك فإنه متى ذكرت مصر فالمتبادر للذهن والأقرب للصواب هو قبول القول بشئ الغارة عليها من بعض الأعراب وذلك أن هذه البلدة الطيبة والبقعة المباركة لا داعي مانعها الله سبحانه من أنواع الخيرات وكثرة الثمرات فقط بل أيضا لأسباب حسن موقعها الجغرافي وجمال موضعها الوافي بين سائر الاقطار لازالت تشخص لها الأحاسيس وترمقها الابصار على الدوام والاستمرار ومن أسباب نفورها المستقر على عمارات زمان وسعدها المستقر منها في كل مكان بل ومن موجبات شقاوتها ومقتضيات سوء أحوالها من مبدئها إلى نهايتها أنها لازالت تتحرك إليها الشهوات وتردحس عليها الرغبات وتقمع دونها الاخطار وتعلق بها الاطماع في كل عصر من الأعصار ولكن حيث كان ليس لسابرها أن قاطع فن باب الجراءة أن نجزم بأن ما اعتري الديار المصرية على حين غفلة من الفترة في مادة العمارات

الاهلية ووقوف حركة المنشآت الاثرية من بعد العائلة السادسة
الملوكية انما هو نائى عن أحد أمرين اما عن بعض أحوال القصور
واعراض الغشيان التي قد تعرض لارواح الملل في بعض الازمان كما قد
يحصل في القوى الحيوية لبعض الافراد من الناس في بعض الاحيان وأما
عن جهلنا بالجهات التي توجد بها آثار العائلات الملوكية الاربع التي نحن
الآن بصددنا فنحاول كشف الغطاء عن أحوال مددها حتى كأنه نهدى
اليها ونستدل بها عليها ولعل هذا الامر الاخير هو الطرف الرابع
والوجه الانجح وهذه كما لا تخفى هي احدى المسائل التي تتكفل بوظيفة
حلها وتقوم ان شاء الله للعالم العلمى بإزالة جهلها مصلحة لكشف
والتحصن عن الآثار القديمة المصرية الجارى فيها الآن بمصر العملية
وهنا تنتهى مدة التسعة عشر قرنا من الزمن التي عبرنا عنها بمدة الدولة
المصرية القديمة أو عصر الجاهلية الاولى وفيها بلغت مصر من التمدن الى
مقام كبير هو بالاعتبار والالتفات اليه جدير فانه بوقت أن كانت سائر
جهات الارض مغمورة في ظلمات الجهل وأشهر الامم الذين صار لهم
فيما بعد اليد الطولى والتصرف الاعلى في أحوال العالمين لم يزلوا على
حالة التوحش عاكفين كان بشواطئ النيل قوم أولو حكمة وكال وفضل
من التمدن وافضال يلى أمرهم ويسوس حلهم وعقدتهم حكومة
ملكية محترمة يخدمها طوائف مهابة منتظمة من أرباب الوظائف
العمومية والمستخدمين الميرية
وبالجملة فان التمدن المصرى القديم من أول وهنته وابتداء طلعتة يظهر
لعين الرائي من خلال تلك الاعصار الخالصة والمدد الطويلة الماضية

بلوغه لدرجة الكمال وأتم أحوال بحيث يكاد أن لا تفيد شياً جديداً
الاعصار التالية في أمر من الأمور ولو بلغت ما بلغت على عمر الدهور بل
ربما صح أن يقال أن مصر من بعض الوجوه قد تنازلت عن درجتها
وسقطت عن رتبها حيث لم تيسر لها فيما بعد ذلك بناء مثل هذه الأهرام
الجليلة وإنشاء نظير هذه الآثار الجميلة

الباب الثاني

فيما يتعلق بالدولة المصرية المتوسطة أو عصر الجاهلية الوسطى

وهو عبارة عن تاريخ مصر من مبدأ العائلة الملوكية الحادية عشرة إلى
الثامنة عشرة

تبدأ الدولة المصرية المتوسطة أي عصر الجاهلية الوسطى من العائلة
الملوكية الحادية عشرة في سنة ٣٦٦ قبل الهجرة (سنة ٣٠٦٤ قبل الميلاد)
وتنتهي بالثامنة عشرة وتلك ١٣٦١ سنة

إذا تقرر في ذلك ما ألقناه آنفاً من سنة الحال التي كانت عليها الديار
المصرية حين ما انقرضت العائلة الملوكية السادسة بانقراض كل من الملك
إيوس والملكة نيتوكريس فـألم أنه بذلك الوقت اعترى سير الجمعية المدنية
المصرية على حين غفلة وقعة لم تكن على البال وعرض على قواها
التأنيسية فترة كـأنما غشي عليها في الحال فتعطلت حركتها وبطلت قوتها
وبقيت مصر مسافة ٤٣٦ سنة أعني من بعد العائلة الملوكية السادسة
إلى الحادية عشرة فاترة الهم كأن لم تعد في عداد الأمم

فلما جاءها كل من طائفتي الملوكة الاتيفيين والملوك المتوهوتيين اللتين هما من ملوك العائلة الملوكة الحادية عشرة هبت من فودتها الطويلة واستيقظت من غفلتها الويلة كأنما نشطت من عقال أو انطلقت من سلاسل وأغلال وآلت بها الحال الى أحسن المآل واتسيت الاحاديث القديمة واتسخت بالكلية تلك الحال الوخيمة حتى تغير في هذا العهد الجديد ما كان معتادا بين الاهالى من أسماء العائلات والعشائر والالقب الرسمية والعناوين التي كانت معهودة في المدة السابقة لارباب الوظائف العمومية وسائر المستخدمين وحتى تبدلت كيفية الكتابة وشعار الدين وكأنما انقلبت الديار المصرية من جميع الوجوه في قالب مستجد او خلقت خلقا آخر للصلاح مستعد وفي هذه المدة الثانية لم يكن تحت المملكة المصرية مدينة تينيس ولا جزيرة ايلفتين ومدينة منف أو منفيس بل انتقلت مرتبة تحت الملك الى مدينة طيبة (وهي الناحية المسماة بمدينة آيواقليم قنا) وهو أول مرة عهد لهذه المدينة هذا المنصب وخرجت في هذا العهد عن يد الدولة المصرية حصة جسيمة من أرض مصر التي كانت في حوزتها ولم يبق في طاعة ملوكها الحقيقيين غير ولاية صغيرة من أقاليم الصعيد والذي دل على هذه الفوائد العامة وحققها وأثبت صحتها وصدقها هو ما نتج من النظر في الآثار المصرية القديمة التي استكشفناها أخيرا بمصلحة الكشف والتفحص عن الآثار المصرية وآثار هذا العصر يرى عليها علامات الغلظ والبداوة وربما كانت من الشعث والخشونة بمكان وبمجرد النظر إليها يرى أن مصر في مدة العائلة الملوكة الحادية عشرة كأنما عادت لسن الطفولية الاول الذي

كان قدمر عليها في عهد العائلة الملوكية الثالثة

ولما انقرضت هذه العائلة الملوكية الحادية عشرة بمن جاءت به من الملوك
الخاملين أعقبتها العائلة الثانية عشرة بأمثال الملوك الاوزور تازانين
والملوك الاموتهم قتلوا تاج المملكة المصرية من بعدهم وبظهور
العائلة الملوكية الثانية عشرة هذه تظهر الدولة المصرية ثانيا على حين
غفلة بمظهر عصر من أبهج الاعصار التاريخية المصرية قترى مصر من مبدا
عهد الملك أوزور تازان الاول قد استردت ما كان قد خرج عن قبضتها
في العهد السابق من أراضيها واسترجعت حدودها الاصلية الطبيعية
من جهة الشمال أعنى لغاية البحر الابيض المتوسط والى حد بحيث جزيرة
الطور وكذلك من جهة الجنوب أخذت تقاتل من ذلك الوقت عن الطريق
التدبيرى العظيم الشأن والمسلك السياسى العالى المكان الذى لم يزل
مطمح نظرها فيما بعد ذلك مدة ثلاثين قرنا من الزمن على الدوام ونصب
تحديق بصرها على عمر اللحظات والايام من تطلب وضع اليد على سائر
الاراضى التى يسقيها النيل بوجه الحق والاستحقاق ولو حصل لها
ما حصل فى جنب ذلك من المشاق وذلك انه كان يوجد فى ذلك العصر فيما
بين أول جنادل النيل الى قريب من أقصى بلاد الحبشة دولة من الدول
القديمة كانت بالنسبة الى دولة مصر فى سالف الزمان كـ كمدارية
السودان بالنسبة للحكومة المصرية الآن وهى بلاد الايتوية أى
بلاد الزنج المعبر عنها باللسان المصرى فى ذلك الوقت ببلاد الكوش وهذه
الولاية وان لم يكن لها حدود متعينة مربوطة ولا ثغور مخصوصة
مضبوطة بل ولا اتحادا مرتجع فى سياسة ملكها اليه ولا بيان قدر

من الاراضى تحت يدها يعقد عليه كانت معمورة بطوائف عديدة من
الناس مختلفى الاصول والانواع وأكثرهم عددا طائفة الكوش وهم
قوم من بنى سام ولد نوح وردوا من بلاد آسيا يونغاز باب المنسب
واستوطنوا شواطئ أعلى النيل فى وقت مجهول لادى المؤرخين غاية
هذا الحيز

والظاهر أن طائفة الكوش المذكورين كانوا فى ذلك الوقت بالنسبة
للمصريين هم العدو والازرق والخصم الذى بتوجيه همته اليه أحق فاق
جميع القوى الاهلية والعساكر الجهادية المصرية كنت متجهة الى تلك
الجهة فى ذلك الوقت ولأجل مقاومة هؤلاء الاقوام المتغلبيين صار انشاء
قلعتى كمنه وسمنه على طرفى النيل فيما وراء الشلال الاول ومن ذلك
يؤخذ أن المملكة الفرعونية كانت حين ذاك الى ذلك الحد منتهية من
الجهة الجنوبية وعلى أى حال فرضت سائر أقسام الارض فى ذلك العصر
من أحوال التدبير وسياسة الامور فان دولة مصر فى مدة العائلة الثانية
عشرة لم تكن تعدت شواطئ نيلها المبارك ومع ما حصل فى الخارج من
الوفائع الحربية مما اكتسب به اسم كل من الملوك الاوزور تازاتين والملوك
الاموتيين ملابس الفخار التى لم تبلى على ممر الاعصار كانت مصر لم تزل
مجتهدة فى داخلها غاية الاجتهاد فى الحصول على ما يقوى شوكتها ويعضد
قوتها بمساعدة سائر فروع التمدن والعمارة ونشر أسباب التهذيب
والحضارة نعم قد دهم الديار المصرية فى أثناء تلك المدة غارة عامة ترتب
عليها ازالة جميع العمارات الاثرية الكبيرة التى كانت قد انشئت بمصر
فى ذلك العصر من أصلها وستكلم عليها قريبا ولم نعثر عمليدا لنا على حقيقة

حال آثار مئة العائلة الملوكية المصرية الثانية عشرة على غير بعض اهرام
متفرقة ومسلة المطرية بالقرب من القاهرة ولكننا وان لم نجد من آثار
تلك المدة قصورا ملوكية ولا هياكل دينية فقد اهتمدنا في جملة النواويس
(أى القبور الكفرية) الموجودة بالجهة المعروفة بناحية بنى حسن (بأقليم
المنيا) مما ثبت لنا هذه الدعوى التى ادعيناها والحقيقة التى أبديناها
لما لاحاجة لنا معه الى ما عداها فقد رأينا فى جملة الاشياء المتنوعة
المرسومة مع غاية الاتقان ونهاية الابتداع والاحسان على عدة من
حيطان المتابر بتلك الجهة ما يدل دليلا صريحا وبرهاننا راجحا لا مرجوحا
على أن عصر العائلة الملوكية الثانية عشرة كان على الديار المصرية أتم
صلاح ونجاح وأعم رفاهية وفلاحة من عصر العائلة الملوكية اربعة
فمن ذلك ما هو مسطور على قبر رجل من أعيان ذلك الزمان يسمى آمونى كان
من قواد الجنود ومدير الاقليم الذى كانت ناحية بنى حسن من ضمنه
فى عصره ولعمري لهذه النقوش بما احتوت عليه من الفوائد التاريخية
الجلية وحسن السيرة هى بالذکر هنا جديرة حيثما بالنظر فيها
ومصادفة النظر اليها يتصور للفهم كأنما مصر مختلس أخذ بفعلته وقبض
عليه بذنبه فى وقت مباشرته وللمع بشئ مما تضمنته هذه الرسوم فنقول انك
اذا نظرت الى هذه الرسوم العجيبة والنقوش الغريبة من جهة ترى تارة
صورة دواب تخدم بقصد تسمينها وتارة هيئة أرض تهرث بمحاريث على
منوال المحاريث الجارية بها العمل لغاية الآن بنواحى مصر ومرة أخرى
تشاهد منظر مزرعة من الارض يحصد بها القمح أو شكل مجرنة يدرس بها
أنواع من الغلال والحبوب تدوسها الدواب بجوافرها وترى من جهة
أخرى

أخرى كيفية السفر على النيل في ذلك الوقت قرى سفائن كبيرة تنشأ
وأخرى تشحن وترى أصنافا عديدة من الامتعة المتزلية المتقنة الصنعة
وأثاث البيت المستحسن البدعة متخذ من أنواع الاخشاب النفيسة
وأنواعا من الملابس تجهز وتخطا وغير ذلك ثم ترى في زاوية من القبرذات
الامير آمون يقص قصة حياته بلسانه ويحكى سيرة مناقبه بنفسه يقول
مامعناه انه بوظيفة قائد عسكر قاد الجنود لقتال طوائف الزنوج في واقعة
بيلاد السودان وكان أمير قافلة جابت الذهب المستخرج من معادن
جبل آتوكى الى مدينة قفط (بالقلم قنا) يحوطها تحت قيادته أربع مائة
رجل من الجنود المصرية وبوظيفة مدير اقليم من الاقاليم المصرية أحسن
السيرة في الاهالى المنوطين لاماته حتى استحق حسن الثناء عليه
والالتفات اليه من مولاه وولى نعمته بحسن ادارته ومعنى نص
عبارته في هذا المقام يقول كانت جميع الاراضى في مدة ادارتي بسائر
أطراف الاقليم المنوط لاماتي محروثة مخدومة مزروعة منظومة
بسائر أنواع الحبوب من الشمال للجنوب ولم يسرق شئ مما تحت يدي من
المابل ولم أقهر صبيا ولا ضربت في مدة ولايتي أرملة من الارامل
وويت في العطاء بين المتزوجة والارملة وعدلت في أحكامي بين الصغير
والكبير والحقير والخطير انتهى

ولنا دليل آخر أشهر من أن يذكر وأكبر من أن يشهر يدل لنا الدلالة
الواضحة على ما كانت عليه الديار المصرية من القوة الاهلية الداخلية
والشوكة الملكية في أيام الملوك الاوزور تازانين والملوك الاموتيين من
ملوك العائلة الملوكية الثانية عشرة المذكورة وهو بحيرة مورييس فانه

لا يفتنى على أحد أمر النيل بالنسبة لوادى مصر من حيث أنه اذا نقصت
 زيادته عن عاداتها بقيت بعض الاراضى الزراعية من غيرى وصارت
 بالضرورة غير منزرعة وان كان فيضانه يغرقون قطع الجسور وأغرق
 القرى وأساء حال الاراضى بدلا عن أن يخصصها وبهذه المثابة ترى مصر
 على الدوام تتردد منه بين آفتين مهولتين على حد سواء احدهما خشية
 نقصه عن العادة والاخرى خوف المبالغة فى الزيادة ولما عرف منه هذه
 المضار فرعون مصر المسمى أموتها الثالث أحد ملوك العائلة الملوكية
 الثانية عشرة أراد أن يتداركها فعول فى ذلك على عملية جسيمة أجرى
 عملها وذلك أنه يوجد بالصحرى فى جهة الغرب من مصر بادية عظيمة من
 الاراضى القابلة للزراعة (وهى الفيوم) ضائعة فى وسط الصحارى تتصل
 بوادى النيل الاصلى بقطعة من الارض كالبرزخ وفى وسطه سهل مستو
 مرتفع متسع يضاهى عموم سطحه فى الاستواء سطح الاراضى المصرية مع
 أن فى غربيه أرضا منخفضة جدا يتكون عنها واد تغمر مياه بحيرة طبيعية
 هناك طولها أكثر من عشرة فراسخ (وهى المعروفة ببركة فارون) فأمر
 الملك أموتها الثالث بحفر بركة صناعية أخرى فى وسط السهل المذكور
 تبلغ مساحة سطحها عشرة ملايين من الامتار المربعة فان كانت زيادة النيل
 ضعيفة قحت البركة المذكورة فيخرج من المياه المخزونة بها ما يكتفى لسقى
 مزارع بادية الفيوم بل وسائر اراضى الجانب الايسر من النيل الى البحر
 الابيض وان كان فيضان النيل بحيث يخشى منه افساد الجسور انصرف
 القدر الزائد عن المنافع الضرورية الى تلك البركة الصناعية فان طغمت
 فيها المياه أيضا انصرف ما زاد عنها الى بحيرة فارون بواسطة قنطرة تسد وتفتح

بحسب الحاجة

وبالجملة فإن كلامنا من انطلي موريس والفيوم المعبر بهما في مصر من منذ ذلك العهد عن هذه البدعة الحسنة التي اقترحها الملك أموتها الثالث قد بقيت على تمام الازمان لغاية الآن ينطق بها كل لسان أما الفظة موريس فإن أصلها ميرى (بأماله الميم بعدها راء مكسورة يليها ياء تحتية) ومعناها بحيرة فحولها اليونانيون الى كلمة موريس وقالوا بحيرة موريس زاعمين أن موريس اسم لاحد الفراعنة المصريين وليس بشئ وأما الفظة الفيوم فأصلها يوم (ياء موحدة مكسورة أوله يليها ياء تحتية خفيفة فواو فيم)

ومعناها أيضا البحر في لغة المصريين القديمة ثم عرّبها العرب فقالوا الفيوم على نفس الاقليم تسمية للارض باسم الماء الذي أخصبها باقتراح الملك أموتها المذكور وبما توضح يعلم ما يوجد من جليل الفائدة في ذكر العائلة الملوكية التي ينسب اليها بنو أوزور تازان ويمكن أن يقال من غير تكبر أن العائلة الملوكية المصرية النهائية عشرة هي من أشهر العائلات الملوكية التي تناوبت دولة الفراعنة ومن أفضلها وانها بالنسبة للدولة المتوسطة في مرتبة أمثال الملك كيوبس والملك كثرين المذكورين آتفا بالنسبة للدولة القديمة

ثم جاءت العائلة الملوكية الثالثة عشرة وأشهر ملوكها أيضا الملوك النوفر يهوتيبون والملوك السيبكيهوتيبون ولا علم لنا بحال هذه العائلة الابعادلت عليه الآثار المصرية القديمة والذي ذكره القديس مايتون بخصوصها هو فقط أن عدة ملوكها كانوا استين ملكا وأن مجموع مدتهم

كانت ٤٦٣ سنة ولم يتعرض لذكر أسمائهم ولم يصل اليئاشي من آثارهم
وانما استنبطنا من تماثيل وألواح حجرية استكشفناها بناحية سان
ومدينة أيدوس (وهي خرابات المدفونة وخرابات المدفونة يعرف بها
أيضا محل مدينة ينيس كما تقدم) أن الديار المصرية في مدة حكم ملوك
العائلة الثالثة عشرة لم تزل باقية على حالها من التذن القديم والعمار
المستقيم وأما بخصوص الوقائع الحربية التي يقال انها حصلت في ذلك
العصر فلا سييل للغوص فيها الا بطريق الحدس والتخمين ومع ذلك فالذي
يؤخذ من استكشافتنا بناحية سان ومن تماثيل هائل صار العنور عليه
في جزيرة بالقرب من دلتا يقال لها جزيرة أرجو من آثار العائلة الملوكية
الثالثة عشرة المذكورة هو أن المملكة المصرية امتدت حدودها في عهد
العائلة الملوكية الثالثة عشرة عما كانت عليه في مدة الثانية عشرة
وهي حادثة غريبة مما يتعلق بهذه المدة تستحق الذكر وتستوجب
أعمال الفكر وهي أنه يوجد فيما فوق وادي حلفه على القرب من القرية
المسماة سمحه مخور وعرة المرقق رئيسية الوضع على حرف النيل يوجد
عليها كتابات بالقلم المصري القديم منقوشة على ارتفاع سبعة أمتار فوق
أعلى ما تبلغه المياه اذا وصلت لأعلى درجة من الزيادة الآن ومن ترجمته يعلم
أن النيل كان في عصر العائلة الملوكية الثانية عشرة والثالثة عشرة
اذا بلغ أقصى زيادته يصل الى موضع النقش من تلك العصور واذا صح ذلك
فإن النيل كان قبل هذا العصر بأربعين قرنا من الزمن يبلغ عند الشلال
الثاني الى أكثر مما يبلغه في عصرنا هذا من الارتفاع بسبعة أمتار
وهذه مسألة غريبة انخير تقتضى امعان النظر ولم يصل حلها العلم لغاية
الآن .

الآن ولعل السبب في اختلاف ارتفاع مياه النيل هو ما اعتنى بعمله فراعنة الدولة المتوسطة من الاعمال الجسمية في ماء النيل بقصد الامتناع من غائلته والارتفاع بزيادته أو لتحصن من غارات أعدائهم الذين كانوا يتهمون عليهم من السودان يجعل هذا الشلال حصنا طبيعيا وما نعاقويا من نزول سفنهم اليهم وشن الغارة عليهم ولكن هذا قول ينبغي أن نقف لديه ولا تصارى عليه

وأما العائلة الملو كينة المصرية الرابعة عشرة فلا علم لنا بحالها مطلقا وزعم بعض المتأخرين انها كانت معاصرة للعائلة الثالثة عشرة وانها كانت مستولية على الاقاليم البصرية من مصر حين كانت العائلة الثالثة عشرة المذكورة تلى اقاليم الصعيد ويناقض هذا القول ما يظهر من تماثيل ملوك العائلة الثالثة عشرة التي وجدت بناحية سان وحفطت بحفرانه الآثار المصرية الكائنة بيولاقي

ودليل ذلك كما لا يخفى على كل ذى نظر انه لو كان ملوك العائلة الثالثة عشرة منحصرين في اقاليم الصعيد لما صح انهم يضعون تماثيلهم في معابد الوجه البصرى ويزيتون بصورا انفسهم هياكل جهة أخرى خارجة عن أيديهم الى قبضة دولة هي أشد أعدائهم وألد أخصامهم

وقد حكى الاسقف اوزيب أحد المختصرين لتاريخ مصر تأليف القسيس ما يتنون ان العائلتين الملو كيتين التاليتين وهما الخامسة عشرة والسادسة عشرة أصلهما من مدينة طيبة بجهة الصعيد وبوقت ان كانت ملوك هاتين العائلتين جاعين مقر ملكهم بهذه المدينة حصل بجهة الشمال من مصر حادثة من أبشع الحوادث التاريخية بل محنة من أشنع المحن التي ابتليت بها

الديار المصرية وبقي ذكرها بما على عجز الاحقاب وهي انه بينما كانت مصنعة
 القنن تترقى وتتكامل بمصر في عهد العائلة الرابعة عشرة وكانت تتعلق سائر
 الآمال بحسب جميع قرائن الاحوال بان الجمعية التأسيسية المصرية لا تزال
 آخذة في أسباب التقدم والاتقان مع غاية الامان والاطمئنان واذا باقوام
 لا يجد لهم ولا تهذيب عندهم نزولاً من جهة آسيا على نفور الديار المصرية
 من الجهة البحرية (المسماة عند اليونان بالديلتا وهي البصرة) واغاروا على
 حين فجأة على تلك النواحي يقتلون الاهالي ويسلبون أمتعة الهياكل
 ويستولون بالقهر والغلبة على جميع الاقاليم البحرية من المملكة المصرية
 ومكنت مصر مسافة أربعة قرون من الزمن تقاسي شداً د عشهم وتعاني
 انتقال ظلمهم وملوكها الحقيقيون منحصرون باقاليم الصعيد مجاورهم هؤلاء
 الطغاة الذين يسميهم القسيس مانيتون في كتابه باسم الهيكسوس أى الملوك
 الرعاة وربما كان لهم عليهم اليد والدولة وكانوا فوقهم في الحقيقة هم المالكين
 لا مجرد مجاورين ولا سبيل لنا لمعرفة ما حصل في مصر في ذلك العصر من سوء
 الانقلابات والوقوف على ما عتراها بظهور هؤلاء الاجانب من شر
 الحركات وانما المحقق من ذلك هو أنه لم يصل اليانام آثار هذه المدة مطلقاً
 شئ يدلنا كيف كانت حقيقة حال مصر في عهد القراعنة الهيكسوسين
 المذكورين ولا الى أى مآل آلت بهجة مصر القديمة في اثناء تلك المدة
 الذميمة واذا كان الحال كما ذكر فهذه المدة هي مدة فترة أخرى اعترت قوة
 جسم القنن المصري القديم ووقعة كبرى عرضت ثانی مرة على حركة تأنس
 هذه البلدة بعد ان كانت سائرة في الطريق المستقيم فاختلفت قوى المملكة
 على حين غفلة بها وان كان قد أسسها الملوك الاوزورثا زانوفن ومن يليهم على

اساسات متينة في الحقيقة وانحلت عرى الجمعية المصرية في هذه المدة على
القبالة وان كانت وثيقة وانقطع تسلسل الآثار الالهية واعتري مصر
سكتة تفصح بمفردها عما كانت مغمورة فيه من المصائب وتوضح وحدها عما
تابها انذال من النوائب

وأما المدة التي تلى هذه المدة فالطريق الموصل لمعرفة حالها التي كانت عليه
كما ينبغي هو النظر في الآثار الموجودة بخزانة الآثار المصرية ببولاق
والذي يتضح منها هو أن الديار المصرية في عهد العائلة الملوكية السابعة
عشرة كانت متوزعة بين عدة ملوك طوائف متعددين وفيما بينهم متعادي
كما كانت كذلك في عهد العائلتين الملوكيتين الخامسة عشرة والسادسة
عشرة السابقتين إلا أن غياها بالجهل التي كانت مغيبة على أحوال هذه
البلاد مدة مديدة وظلمات الظلم التي كانت متعمكة فيها على العباد عدة
سنوات عديدة أعقبها في هذه المدة الجديدة أيام عديدة ودلائل تاريخية
مفيدة وذلك اتنا بجهة الصعيد مع زيادة البحث والتحرى واستقصاء النقص
في كثير من المحلات التي هي بوجود آثار العائلتين المذكورتين من المنظمات
لم تنظر لهما على أثر ولم نقف من حالهما على خبر بخلاف العائلة السابعة
عشرة فانتا وجدنا من آثارها في بجلة الأعيان المدفونين بمقابر جهة القرنة
جماعة مرتبة ودرجات بعضها فوق بعض من أرباب الوظائف العمومية
والمستخدمين الميرية تدل على أنه كان موجودا في ذلك العهد بتلك الجهة
من الديار المصرية مملكة تامة ودولة منتظمة وكذلك كان يوجد بمدينة
تانيس (وهي مدينة .ان) من الأقاليم البحرية عائلة ملوكية أخرى من
ضمن دولة الملوك الرعاة وهم فرقة حضرت الى مصر من الاقوام الذين يقلل

لهم خيتاس (٤) المتوطنين بالسهول القرية من جبل كورين المعروف عند القدماء بجبل طوروس أى جبل الثور فى مملكة ارمنيه ببلاد آرميا الصغرى وكانوا يعبدون الصنم المسمى سوتيج ولم تكن هذه العائلة الملوكية كباقي ملوك الهيكسوس الذين وصفهم لنا المؤرخ مايتون باقطع وصف يخربون البلاد ويدقون العباد بل عثرنا من آثارهم على ما هو محفوظ بخزانة الآثار المصرية ببولاق مما يشهد بأن ملوك هذه الفرقة وان كانوا نزلاء على الديار المصرية واستولوا عليها بطريق القهر والغلبة الا انهم باستقرارهم بها غلبت عليهم حضارة القوم المغلوبين لهم وتعدينا بتمتدثهم وأثرت الديار المصرية بما فيها من الفنون والصنائع والدين وماله من المجد والمفاخر على عقل هؤلاء الطغاة والملوك الرعاة فاجبرتهم على ان اتخذوا لانفسهم تماثيل هائلة كالمصنعة للفراعنة المصريين السالفين ووضعوها على سبل الزينة بهياكل مدينة سان التى هى مقر ملكهم وأحوجتهم الى ان اتبعوا طريق الكتابة بالقلم القديم المخصوص بها ولا زالت تترجمهم شياً فشيأ حتى صاروا من المصريين والفراعنة الحقيقيين وتلقبوا مثلهم ببناء الشمس وفى الحقيقة كانت العائلة الملوكية السابعة عشرة من طوائف الملوك الرعاة وان كانوا قد جعلوا مدينة سان التى هى مقر ملكهم مدينة صنمهم المسمى سوتيج الحقيقية ووضعوا معبودهم هذا على رأس المعبودات

(٤) وهذا الاسم قريب من جديس أحد أسماء قبائل عرب الجاهلية الاولى وهم عاد وثمود وجرهم الاولى وطسم وجديس الدين قال المؤرخون من المسلمين انهم اقترضوا ولم يصل اليه من أخبارهم ولا بقى له من أخبارهم غير ما ذكر بالقرآن الشريف ٥١

المصرية المجمولة في هياكلهم الا انهم حيث لم يخفوا امر تبة المعبودات
 المصرية الاصلية ولا القوهم الى الارض ولا ابطوا شاعر الديانة الالهية
 وكانوا يشاركون المصريين في عبادة أصنامهم فلا وجه لان يرى في مادة
 اعلاء صحتهم فوق سائر الاصنام الا ما جرت به العادة من أن مثل هؤلاء
 الاقوام الاجانب لما تمصروا وبحضارة الملة الاصلية تحضروا أرادوا بذلك
 ان يعطوا المرتبة العليا الصنم اجدادهم ومعبود بلادهم ترقية لمقامه
 وزيادة في احترامه

واذا تقرر ذلك فقد علم ان ما تحدثت به الاعصار وتواترت به الاخبار من
 السيرة الخبيثة والمسالك القبيحة التي تروى عن ملوك العائلتين الملوكتين
 الخامسة عشرة والسادسة عشرة قد انقطع لمسالكها بما تحقق من محاسن
 الآثار وأحسن الاخبار المنسوبة للعائلة السابعة عشرة هذه فان الديار
 المصرية في ايامهم رأت من ايام السعد ما رواه القسيس ما يتون من جهة
 واثبتته الآثار الواصلة اليها عن عهدهم من جهة أخرى مما يستوجب
 حسن الثناء عليهم وبقاء الخبر الطيب عنهم فيما بعد وقد وصل اليها من كل
 من الطرفين المذكورين أسماء هؤلاء الملوك محاطين بحسن الذكر منوطين
 بما آثر عنهم من ما آثر الفخر وأقوى دليلا من ذلك على حسن سيرتهم وعلو
 منقبتهم هو أن فرعون مصر الاكبر رمسيس الثاني الذي هو في التواريخ
 باسم سيزوستريس الاكبر أشهر كما سيذكر فيما بعد وهو من أعظم الملوك
 الفاتحين والفراعنة المصريين السالفين بعد ان عقد مشاركة هدنة مع
 طائفة الخيتاس المذكورين هنا الذين منهم أصل العائلة الملوكية السابعة
 عشرة هذه بعد مضي أربع مائة سنة من تاريخ دخولهم الديار المصرية

ابرى بمدينة سان من اسم عيد عام بمناسبة عود رابع موسم قرني من يوم تلك
العائلة المالوكية السابعة عشرة المذكورة ومن قبيل التلطف واجراء
الشعائر الرسمية بين الدول اعطى الى الملك سايتيس الذي هو اول ملوك هذه
العائلة بمصر لقب جد طائفته وسماه في مسطور عقد الصلح المذكور سيد
قومه وبالجمله فان الديار المصرية في هذه المدة سواء كانت تحت ولايته ملوكها
الاهلين وفي قبضة هؤلاء الاقوام المتغلبين الذين كانوا من جهة بلاد آسيا
عليها وافدين قد انتشت من مطبق غفلتها واستيقظت من طول نومتها
وامتلات شواطئ النيل من الجانبين في اثناء تلك المدة من أنواع العمارات
وأصناف الآثار والبيات ما يدل على ما كانت عليه البلاد حيثئذ من
الرفاهية والتدين وان كان لا زال يظهر عليه علامات غلبة المتغلبين
وشعائر فتح الفاتحين

قد علمت ما قرناه لك قريبا من ان الملك رمسيس الثاني بعد أربع مائة سنة
من تاريخ ولاية ملوك طائفة الخيتاس على مملكة مصر اعادة عمارة مدينة سان
التي هي مدينة الصنم المسمى سوتيج من جديد وما أبداه هذا الملك من
التلطف والمراعاة لاول ملوك هذه الطائفة ولاول من أحدث عبادة الصنم
المذكور بقطر مصر وأما ملوك مصر المنصورون بجهة الصعيد المعاصرون
للعائلة المالوكية السابعة عشرة فلا يخفى انه لا يوافق طبيعتهم مداراتهم
ولا يليق بحالتهم مراعاتهم بحسب ما لا بد منه من معاداتهم والحقدهم عليهم
الناشي من مناجاتهم لهم على مملكتهم وشن الغارة على بلدتهم ولذلك
لم يبطئ أن وقعت بين الفريقين وقائع حربية غير طويلة المدة وان كانت من
أشد الوقائع كانت فيها الهزيمة على طائفة الرعاة وكان بها زوال مملكتهم

وتعريق أسطام سلكهم وذلك انه قد اتدب لقتالهم وحاصرهم في داخل
تحت عملهم ملك مصر المسعى بالفرعون هميس او اموزيس وكان أشهر
فراعنة دولة الصعيد في ذلك الوقت فغلبت القوم الآسيون وكانوا من قبل
هم المتغلبين وانتقل أكثرهم الى ما وراء البرزخ الكائن بين البحرين ببحر
القلزم والبحر الابيض المتوسط وارتحلوا الى بلاد آسيا لاوطانهم الاصلية
وبقي بعضهم ببعض الجهات المصرية فاقطعهم الملك اموزيس بعض
الاراضي التي كانت بأيدي اسلافهم ليزرعوها ويتعيشوا من ثمراتها وبزوال
ملكهم انتهت مدة الضنك التي لم يزل ذكرها على الديار المصرية يعود بالحزن
والألم ولا زالت تكتب في صحف تواريخها باسطر الدم وبصورة الملك
اموزيس عاكرسي المملكة الذي كان قد أسسه في سالف الزمان الملك مينيس
الى حوزة ذويه ورجع الى يد مستحقه ولما خرجت طائفة الملوك الرعاة
من مصر لم يرجعوا اليها ولا تلاقوا مع المصريين ثانی مرة الا في الوقائع التي
شهدوها مع طائفة الخيتاس فيما بعد في اثناء محارباتهم معهم وأما بقايا هذه
الطائفة الذين تخلفوا بتدبير الملك اموزيس في بعض الجهات المصرية فقد
تكونت منهم قبيلة تزلت بشرق الاقاليم البصرية من مصر وأقاموا بتلك
الجهة نظير بني اسرائيل الا انه لم يكن لهم تطير ما في التوراة من سفر الهجرة
الاسرائيلية ولا شك انهم هم طائفة الاغراب الساكنون لغاية عصرنا هذا
على جوانب بحيرة المترلة ويعرفون بما امتازوا به عن غيرهم من قوة الاعضاء
وهيبة الوجوه واستطالتها ولا ينبغي لنا أن نغفل هنا عن ذكر أن يوسف بن
يعقوب أحد أنبياء بني اسرائيل أعابى به الى الديار المصرية بحسب الظن
القوى والضمين الجلى في عصر الملوك الرعاة المذكورين وأن قصة رحلته

المطرية وسيرة أقامته بمصر المحجة المقصورة في ضمن سفر الخليفة من التوراة انما كان مكان وأقمتهم مملكة أحد هؤلاء الملوكة وميدان حصولها إحدى هاتيك الدول الأجنبية التي كانت متغلبة في ذلك العصر على بعض الاقطار المصرية فلم يكن يوسف بن يعقوب وزير الاحد القراعنة الاصلين ولا فاز بالقبول لدى أحد الملوكة الاهلين بل انما تلقاه والى أعلى المراتب رفاة ملك من الملوكة الرعاة الذي هو من ابناء سام ولد نوح مثله وكلاهما من جنس واحد أصله وفصله

وهذا آخر عهد الدولة المتوسطة أو عصر الجاهلية الوسطى وفي ظرف هذه المدة البالغة ١٣٦١ سنة التي مكثها هذا العصر وذكرنا تاريخها بوجه الاختصار قد توالى على الديار المصرية وقائع عديدة واما ما قبلت على أحوالها انقلابات شديدة ومحصل ما حصل لها في اثناء تلك المدة ان الدولة المتوسطة المذكورة التي بدأ مطالعها واستهلت مطالعها بظهور العائلة الملوكية الحادية عشرة ترمينا مصر في مرآة الحوادث في ابتداء هذه المدة حائرة مترددة ومحتملة النظام متقلقلة كما نمتا خرجت من اغارة أجنبية اعترتها وكذلك في اخرها كانت مصابة باغارة أجنبية أخرى محققة ولكن ما أثر عن هذه المدة المذكورة من الآثار الماثورة كبحيرة مورييس ونواويس جهتي بني حسن وأسيوط والقمايل الهائلة الموجودة بمدينتي سان وإيسدوس ومسلات ناحيتي المطرية وبجيج (باقليم الفيوم) كل ذلك يدل على انه فيما بين طرفي هذه المدة اللذين كانت مصر فيهما في حالة الاختلال مرت عليها كذلك أيام آخر من العظم الحقيقي وحسن الحال أسعد طالعا وأبهيح مطالعا

(الباب الثالث)

فيما يتعلق بالدولة المصرية الحاكمة او عصر الجاهلية اللاحقة

وهو عبارة عن تاريخ مصر من أول عهد العائلة الملوكية الثامنة عشرة إلى الحادية والثلاثين مجرد أن تم طرد طائفة الملوك الرعاة من الديار المصرية واذابها ظهرت من أول عهد العائلة الملوكية الثامنة عشرة بأقوى مظهر واقتصرت أعلى منظر بمالم يتفق لها فيما بعد على ممر الاغصان (وذلك في سنة ٢٣٢٥ قبل الهجرة اعني سنة ١٧٠٣ قبل الميلاد) وهذه هي المزية التي امتاز بها هذا العصر عما سواه وفضيلة السبق التي فاق بها على ما عداه فان مصر في ظرف بعض سنوات قلائل جبرت خلل تغلب طائفة الهيكسوس عليها وتلافت ما جنته يد المصائب في تلك المدة عليها فترى في هذه المدة الجديدة جوانب النيل قد امتلأت ثانيا بالهياكل الدينية والعمارات الاثرية من ابتداء البصر الايض المتوسط الى حد جبل البرقل واعتصمت طرقات حادته للتجارة وبلغت الزراعة والفنون والصناعة الى درجة عالية ومرتبعة سامية وحلت دولة مصر السياسية في ذلك العصر بالنسبة لسائر الدول الموجودة في الدنيا المنزلة القصوى وانفردت من الشوكة الملكية والسطوة الاهلية بالمنصة العليا فاستولت على الاقطار السودانية ومن طرفها أرسلت اليها الولاة واستعملت عليها العمال وكذلك من جهة الشمال امتلكت سائر الجهات وتجهزت الجيوش المصرية في بلاد الميزوبوتاميا (وهي ما يعرف الآن بالجزيرة) بين دجلة والفرات وبقيت منها في القلاع

والحصون الجنود المصريون عليها يحافظون ولها يضبطون
وقد ذكرنا فيما سلف اسم أول ملوك هذه العائلة الملوكية الشهيرة والدولة
الكبيرة وهو الملك اموزيس وبعض ما حصل بهيمته من انقاذ الديار المصرية
من يد الظلمة المتغلبين عليها واخراجهم منها من غير رجوع اليها وفي الواقع
ونفس الامر ما بلغت مصر في هذه المدة من درجة الشوكه التي لا مزيد عليها
ومرتبة الفخر التي لم يتفوق لدولة من الدول ان ترقى اليها قد بدت بشائره
وظهرت مطالعه من أول حكم هذا الملك فانه لم يقتصر على تطهير أوطانه من
دناسه هؤلاء الاقوام الاجانب فقط بل جدد في المسيروراءهم واخترق بعسكره
داخل اقليم فلسطين وكذلك من جهة الجنوب تعمق بجنوده الى داخل بلاد
النوبة ومع ذلك اعتنى بتعمير الهياكل الدينية التي كانت قد تخربت
وانشأها من جديد بل زاد عليها بما أحدثه بالانشاء والتجديد احياء لشعائر
الدين واعتناء بالالهة اجداده السالفين

وتتضح قضية ما أجزته الدولة المصرية حينئذ في علاج جروح البلاد من
تجهيل الاتهام وسرعة الالتئام بما ظفروا به في عملية الكشف والتقصص
عن الآثار المصرية القديمة من الحلى والمصاغات البديعة التي أمر بصياغتها
الملك اموزيس المذكور لتصلية جثة والدته الملكة عاهوتيب بعد موتها
ووجدت داخل تابوت مع جثتها المصبرة في جمل الجثث المصرية القديمة
المصبرة المعروفة بالموميات وحفظت بخزانة الآثار المصرية القديمة ببولاق
فلم يكن في ضمن الاشياء النفيسة الموجودة بهما من الآثار ما هو أبعد صنعة
ولا أرفع برهاناً على تقدم الفنون والصنائع بمصر في وقتها منها غن جلتها
سلسلة طويلة من الذهب وقلادة صدرية مثقبة وتاج عليه تمثالان من
الذهب

الذهب وسيف مسقط محلي بحلية من الذهب ومن اطلع على هذه الامتعة
التفيسة صعب عليه أن يصدق أنه بوقت ان خرجت من معامل الصياغة
بمدينة طيبة كانت الديار المصرية قرية عهد بعائلته أجنبية أودت بها
ونازلة قطيعة نزلت عليها

والذى خلف الملك اموزيس المذكور على سرير المملكة المصرية هو الملك
آمونوفيس الاول وفي مدته كانت مصر لم تزل أيضا تميل لتوسيع دائرة
حدودها من جهتي الشمال والجنوب فان الآثاردلت على ان الملك
آمونوفيس المذكور رحل بجنوده الى الشام وبلاد السودان

ثم خلف الملك آمونوفيس الملك توتيمس الاول وفي عصره لم تزل اطماع مصر
متجهة لحيازة بلاد الايتوية (بلاد الزنج) فان الملك توتيمس الاول المذكور
سار اليها مغازيا بجنوده ورجع منها منصورا وكذلك اشتهر هذا الملك بغزوة
أخرى هي أخطر وأغرم من الاولى وذلك انه كان يوجد في ذلك العصر فيما
وراء اقليم فلسطين وأرض كنعان في وسط السهول السكاكنة بين دجلة
والفرات طوائف من الملل متخالفون يسمى مجموعهم في الكتابات التي بقيت
في ضمن الآثار المصرية القديمة باسم الروتونو وما أفدناه فيما تقدم
بخصوص طائفة الكوش السالفة الذكر يقال هنا في حق طائفة الروتونو من
انه لم يكن لهم أراض محدودة ولا اتحاد كلمة لدولة تسوس أمورهم معلومة
وانما كان بأيديهم بعض مداثر منيعة كمدينة تينوى ومدينة بابل وكان كثير
من قبائلهم مع ذلك هائمين في جهات حدود بلادهم الغير المعلومة حتى انه
لم يكن لتلك البلاد اسم ظاهر يتميزه عن غيرها فانها وان كانت عبارة عن مجموع
بلاد الميزوبوتاميا (أي الجزيرة بين دجلة والفرات) وعن اقليم بابل وبلاد

الأنور (وهي بلاد كرديستان الآن) كان يعبر عنها بطريق التعميم باسم هذا
 الإقليم الأخير فان قلت ما الذي حمل الملك توتيس الأول على ان اخترق
 بجنوده العشارى الفارقة بين وادى مصر وبلاد العراق قلت لا أدري وانما
 المحقق لنا ولا بد هو أن كلام من وادى العراق وأقطار السودان قد تأثر بما
 أنقل الجنود المصرية ببديسل ما وجد بنواحي الفرات وجهات أعلى النيل
 من الألواح الحجرية التى تركها هنالك الملك توتيس الأول منقوشة بالقلم
 المصرى القديم دلالة على ما حازه من النصر وتذكارا لما فاز به من الفخر
 بوقت وجوده فى تلك الجهات واذا كان الامر كما نوضع فقد ظهر أن عصر
 الملك توتيس الأول هذا كان عصر تقدم وحث للبلاد على السبق فى طريق
 الجداى كانت قد أخذت تسير فيها من قبله فان مصر من أول عهد هذا الملك
 أخذت فى الترقى بأعلى همتها والطيران فى جوار التقدم بأقوى أجنتها وبعد
 أن كانت يطعم فيها الأجانب فيه تصونها ويتغلبون عليها صارت فى هذا العصر
 ذات سطوة تفتح هى بها الاقطار وتشن الغارة على غيرها من الامصار

وحكم الملك توتيس الأول احدى وعشرين سنة ومات فترك سرير الملك
 لولده توتيس الثانى وفى مدة حكمه تم للمملكة المصرية دخول الاقطار
 السودانية تحت طاعتها كما يستدل على ذلك بما قرأ على العصور بجهة اسوان
 من الكتابات بالقلم المصرى القديم من أسماء الامراء ولا اقطارا الجنوبية
 من طريف الدولة المصرية وهكذا كان فى ذلك الوقت لقب العمال الذين
 كانوا يتولون حكومة ما وراء الشلالات بالنسابة عن الفراعنة السالفين
 والظاهر أن الملك توتيس الثانى لم يكن فيما عدا ذلك من الملوك المجاهدين
 والمجبات الملك توتيس الثانى قولى المملكة من بعده أخوه توتيس الثالث

وكان بحسب الظن بولت توليته طفلا صغيرا فكففته أخته المسماة هاتازو
 وصيكت لها تنبث بالتداخل في مواد الحل والعقد بالملكة في عهد الملك
 السابق وكانت مدة مباشرتها لإدارة المملكة بطريق الكفالة من باب التعدي
 الحقيقي فانها أقامت قسبة بالملك دون أخيهام مدة سبع عشرة سنة وكانت مدة
 حكمها في الجملة ذات بهجة ظاهرة ومن الكليات الاستقصائية التي
 لا منقضة فيها والقواعد التاريخية التي لا استثناء لها انه متى وجد للديار
 المصرية ملك علا شأنه في العالم بالفتوحات وارتقت مرتبة دولته بين الدول
 بما صار له عليها من التأثيرات فانه لابد وأن يكون له آثار جليلة من
 العمارات وما ترجيلة من المباني والتشييدات تدل على ميله للفنون
 الطريفة والصنائع اللطيفة وقد كانت الملكة هاتازو من هذا القبيل
 فان من جملة آثارها الشهيرة كلام من المستنيرين الموجودين باطلال جهة
 الكرنك ولم تزل احدهما قائمة على حالها لغاية الآن وقد دلتنا الكتابات
 المسطرة عليهما بالظلم المصري القديم على ان الملكة هاتازو انشأت هاتين
 المستنيرتين لبقاء ذكر والدها الملك توميس الاول

ومن النقوش الانقضية المثبتة على أسفل المسلة القائمة بمحلها من جواتبها
 الاربعة يوقف على بعض نوادر لا بأس بذكرها منها ان رأس كل من المستنيرتين
 المذكورتين كان متوجا باكليل لطيف هرمي الشكل من الذهب المختنم على
 الاعداء ومنها ان مدة انشاء كل أثر من هذين الاثرين من حين الشروع
 في استخراج حجره من جبل اسوان الى أن تم عمله كانت سبعة أشهر وبالوقوف
 على هذه الدقائق يعلم ما حصل من المشقة في نقل هذا الجسم العظيم من
 معدنه واقامته منقصباً في موضعه وهو يبلغ ثلاثين مترا ارتفاعا

و ٣٧٤٠٠٠ كيلوجرام وزنا (والكيلوجرام ٣٢٠ درهما تقريبا)
ومن اثار الملكة هاتازو المذكورة أيضا الهيكل المعروف بالدير البصرى
بمدينة طيبة الذى يوجد على حيطانه ذكر الغزوات والوقائع الحربية التى
حصلت منها فى مدة ولايتها منقوشة بالقلم القديم المصرى فان عليها تصاوير
عظيمة القدر بدیعة الصنعة عجیبة الافراغ يظهر منها للمطلع عليها صورة سائر
الهیآت والاحوال التى حصلت عليها غزوة توجهت بعزم هذه الملكة الى
بلاد يقال لها بلاد البونت من جنوب جزيرة العرب ولكن عرض على هذه
العمارة الاثرية فى بعض مواضع منها بعض اتلاف وتعویر هو بالتحصير عليه
على الدوام جدير ولهذا المانع لم يتيسر لنا الوقوف على حقيقة تعيين
الوقائع التى ظهرت فيها شجاعة الجنود المصرية من هذه الغزوة وانما المعلوم
من التصاویر التى نطفرنا بها مصورة على حيطان حجرتين صارا استكشافهما
أخيرا هو ان النصر فى هذه الغزوة كانت للعساكر المصريين فانه يوجد بها
صورة قائد الجيوش المصرية يمثل بحضرته قائد جيش العدو فى هيئة
التضرع والخشوع وصفته أغبر اللون ذو ضفائر من الشعر طويله تنزل
على كتفيه وهو أعزل لاسلح عليه ومن خلفه زوجته وابنته كلتا هما
فى صورة شنيعة وحالة بشيعة وهيئة ذميمة جدا ينفر منها النظر ويقشعرا
منها الشعر قد اعتنى المصور المصرى الذى صورها بافراغها فى قالب من
الفرن فى معناه حسن وأبدى فى ابتداعها من الخدق والمهارة ما لا يظن فانك
تشاهد فى ذات الصورة من كل واحدة منهما عضلاتها مسترخية وانفاذها
متورمة وقد اضاف اليها خدق المصور فى بعض مواضع من الجسم بعض
زوائد قبيحة المنظر تفصح عن انطواء الجسم على مرض منفر ثم ترى
فى

في ناحية أخرى تصاوير ثمانية بها أشكال سفائن من السفن البحرية المصرية
يشتمل رجال من القوم المغلوبين بأنواع الاسلاب التي سلبت بوقت الحرب
عنهم وأصناف الغنائم التي أخذت من بعد القتال منهم فترى في إحدى
الجهات يوسق بالسفن من الحيوانات الغريبة كالزرافات والقردة والتمور
وفي جهة ثانية من أنواع الاسلحة وسبائك النحاس وحلقات الذهب وفي
أخرى يحمل إلى السفن أشجار تامة الخلقة والثمار محفوظة الجذور في داخل
صناديق ممتلئة طينا ولعلها من أنواع الاشجار النادرة الوجود وأغرب من
ذلك وأعجب وأولى بالتأمل فيه وتحديد النظر إليه هو ذات السفن فانها
تظهر لنا طر كسيرة العجم عظمة الجرم متينة التركيب والعمارة تتحرك تارة
بواسطة الشراعات وأخرى بالمجاديف وعلى سطحها طوائف كثيرة من
الانفار البحرية ولله در المصور المصري الذي صاغ جسمها وافرغ في قالب
الصناعة رسمها حيث ابان عن هيئة وضع صواربها وشراعاتها وأوضع
حتى عن كيفية عقد العراوى في جبالها الجامعة لاجزائها بعضها ببعض مع
زيادة عددها وكثرة عددها حتى أعلننا علما تاما كيف كانت في تلك الاعصار
قبل أربعة آلاف سنة هيئة السفن البحرية وحالة الاساطيل البحرية
المصرية وفي حجرة أخرى من حجرات الهيكل المذكور ترى من التصاوير
ما هو ليس دون ذلك أهمية ولا اقل منه فائدة ولا جاذبية من أشكال فرق
العساكر المصرية آية من السفرية تسير من أنواع السير الجهادية يقدم
الهرولة العسكرية داخله مدينة طيبة وعليها بشائر الانتصار وشعائر
الاقطار من بعد طول الغيبة وفي قبضة كل عسكري منهم يمينه امارع
أوبلطة وبشماله فرع نخلة اخضر اشارة للانتصار وشعار الاقطار يقدمهم

طائفة أرباب الفن يدقون أمامهم التوبة الجهادية الخامسة من مجموع الصفافير الطبول والمزامير بجانب الضباط العسكرية على منابهم الاعلام المصرية مكتوباً على أعلاها اسم الملكة كفيلة الملك في ذلك العصر يحضر المنتهى إليها أمر النصر والفخر وبالجملة فإن الملكة هاتان المذكورتان بجديرة بمرتبة الاختية لأعيان عائلتها التوتومية مستحقة أن تحسب في جملة أكابر فراعنة الدولة المصرية فإن منزلتها لم تكن دون منزلتهم ولا درجتها تحت درجتهم فيما أثر بالديار المصرية عن ملوك العائلة الثامنة عشرة من المائتين الحيدة ولم يزل ذكره منتشر في سائر جهاتها من المفاخر العديدة التي تمكن بها ذكرها وتخلد بها أثرها وقد ذكرنا فيما تقدم أنها استبدت بالشوكة الملكية واختصت بالتصرف في الدولة المصرية مدة سبع عشرة سنة ولم تتأخر عن ذلك بتقليد أخيها توتمس الثالث بالولاية الفرعونية بل لم تزل تلي مواعيد الحل والعقد وتوجه إليها توجيهاً السعد في ذلك العهد كما كانت كذلك من قبل في عهد أخيها الأول توتمس الثاني إلى أن ماتت وتركت سرير الملك خالياً لأخيها توتمس الثالث الذي كانت قد تعدت فيه عليه وسبقته وإن كان في الحقيقة حقه إليه

والأقرب للعق وأقبل للعقل هو أن الملك توتمس الثالث أيضاً كان أولى بأن يلقب بلقب الأكبر من كل من ولي دولة مصر من الفراعنة السابقين وقاد الديار المصرية لطريق الجسد والفخر والنصر من الملوك الأولين فإن مصر في أيامه قد بلغت من الشوكة أعلى درجة الحظوة وانتهت لأقصى أوج السطوة فكان في داخلها قوة عسكرية من أهلها منتظمة التراتيب متبصرة في العواقب قصوى تقدمها وتضبط أمرها وتحفظ فيها الأمان العام وتلاحظ

وتلاحظ دوام الاطمئنان والانتظام وذلك أنشئ بها في ذلك العصر من
الآثار العظيمة والعمارات الفخيمة شئ كثير بوادي المغارة ومدينة
هليوبوليس (ناحية المطرية على القرب من القاهرة) وفي مدينتي منفيس
وطيبة ومدينة أومبو (ناحية كوم أومبو باقليم اسنا) وبجزيرة
ايلقنين وبلاد النوبة وفي الخارج صارت دولة مصريين الدول الاجنبية
بمحازته من الظفر بسائر الملل البعيدة والقرية هي الحكم الذي يرضى
كل أحد بحكومته والقاضي الاعلى الذي يذعن كل خصم لقضيته
وازدادت فتوحاتها في ذلك العصر ببلاد السودان وامتدت ولايتها هنالك
الى أقصى مكان والذي يدل لهذه الدعوى الاخيرة هو ما في يدنا من
صيفة تشتمل على بيان عدة عديدة من الولاة الذين كان لهم التصرف
والسيد العليا في أمور هذه البلاد بالنيابة عن الملك توميس في مدة دولته
وكذلك في أثناء تلك المدة توجهت من مصر السفن الحربية والاساطيل
المصرية الى جزيرة قبرص فاستولت عليها واسقرت الغزوات وتسلسلت
التجريدات بعضها وراء بعض مدة ثمانى عشرة سنة الى بلاد آسيا حتى
أدخل الملك توميس تحت طاعته بعد تلك المدة سائر بلاد آسيا الغربية
وفي مدة حكم هذا الملك الفاخر صدق على حال الديار المصرية ما عبر به
بعض شعراء ذلك العصر من العبارة الشعرية حيث قال مامعناه (وساغ لمصر
في هذا العصر أن تضع حدودها حيث شاءت) انتهى وفي الحقيقة كانت قد
امتدت سلطنتها واشتملت مملكتها في ذلك العصر على البلاد المعروفة
ببلاد الحبشة الآن وبلاد النوبة والسودان وديار مصر الاصلية
والشام والجزيرة بين دجلة والفرات وبلاد العراق العربي وكرستان

وأرمنيه وبعد أن حكم توتيس الثالث متقن سبع وأربعين سنة
يستعدها من تاريخ موت أخيه توتيس الثاني أدركته الوفاة فترك
دست المملكة المصرية لحفيده الملك امونوفيس الثاني على حالة من السطوة
وتفوذ الكلمة بين الدول ودرجة من الشوكة والمهابة بين الملل لم تعهد
لها فيما سبق قط وقد خافه على ملك مصر الملك امونوفيس الثاني فأقام
فيه عشر سنين ثم الملك توتيس الرابع فأقام فيه إحدى وثلاثين سنة
وكلاهما كانت همته متجهة لحفظ ما تركه له سلفه الفاضل من الفتوحات
الجميمة وطريق تدبيره وسياسته سالكة نحو ضبط تلك المملكة
المتسعة العظيمة ولقد نجح كل منهما في الحصول على هذا الغرض الجزيل
واستحق أن يثني عليه بذلك في التاريخ الثناء الجميل وأما الملك امونوفيس
الثالث الذي جاء من بعدهما فلم ييسر له نظير سعهما بل كان عصره
عصر الفتن العديدة والمقاومات الشديدة كما يستدل على ذلك بما هو
منقوش ولا زال يقرأ واضحا لغاية عصرنا هذا على تاج هيكل الناحية
المعروفة بالأقصر واشتهرت أيضا بلقصر بجبهة الصعيد من مدح هذا
الملك نفسه بنفسه حيث يقول ما معناه انه هو الاله الكبير المسمى هوروس
(الذي هو عبارة عندهم عن شمس الربيع بين الشموس) وانه هو الثورديد
البطش الذي دقخ بالسيف طوائف المتوحشين وملك بلادهم وفرق
شملهم وأبادهم ألا وهو ملك القطرين وولى أمر المصريين البحيرة
والصعيد والسيد المالك المطلق التصرف وابن الشمس وضارب رقاب
ولاة الأمور الكبار ورؤساء الاقوام في الاقطار لا بلدة من البلدان
قاومته ولا دولة من الدول صبرت أمامه بل سار في سائر الاقطار جامعا

شمل الانتصار كلاله هوروس ولد الالهة ايزيس وكالشمس في جو
 السماء بذل مصونهم وخرّب قلاعهم وحصونهم وكف جميع الملل
 بتأدية الجزية لمصر بشجاعته ألا وهو سلطان البرين وأمير العالمين (آسيا
 وأفريقه) وابن الشمس انتهى وسيقول أهل التاريخ إذا اتفحت لهم
 سيرة هذا الملك غاية الوضوح أن هذا المدح لم يكن من باب المبالغات فإن الملك
 امونوفيس الثالث هذا كان في الواقع ونفس الامر ملكا ذا وقار ومهابة
 في زمن الحرب صاحب بصيرة وحسن سياسة في زمن الصلح لم تتنازل دولة
 مصر في أيامه عن عالي منزلتها ولم ينقطع أدنى شعاع من أشعة شهرتها
 ولا انطفأ شئ من أنوار بهجة جنودها وقوتها وبرهان ذلك ما عثرنا عليه
 مما هو مسطور على دائرة بعض تماثيل جعلانات كبيرة الحجم
 من الآثار المصرية القديمة المحفوظة بمخزاة بولاق صورة منها
 تصرّح بأن دولة الفراعنة في عهد الملك امونوفيس الثالث المذكور
 كانت ممتدة الحدود من الجزيرة (بين دجلة والفرات) الى
 نهاية بلاد الكارو من مملكة الحبشة وفي أثناء ما كان الملك
 امونوفيس الثالث يثبت اقدامه فيما أورثوه من الملك اسلافه الذين
 سبقوه ملاجوانب النيل أيضا بالآثار الممتازة بين نظائرها بالنقاسة
 والشهامة واتقان صنعة التصوير التي هي متخلية بها ومحتوية عليها
 فنها ما يوجد ببلاد السودان من هيكل جبيل البرقل الذي هو من حسن
 صنعته وكذلك الهيكل الموجود بشاحية سوليب بالتراب من الشلال
 الثالث حيث هو أيضا من غريب بدعته ويوجد كذلك من آثاره الدالة
 على حسن تدككاره بجهة اسوان وجزيرة ايلفتين وجبل السلسلة

(بأقليم اسنا) وفي ناحية الكاب (بجهة طره على القرب من القاهرة) وفي الهيكل المعروف بالنيراييسية (أى معبد الاله سيرايس) بمدينة منفيس وبجهة سربوت القديم (بجيث جزيرة جبل طورسينا) وهو الذى زاد الزادات العديدة من العمارات الجديدة الى هيكل الكرنك وأحدث الجزء المضاف الى هيكل الاقصر عما هو الآن مدفون تحت أسفل دور القرية التى لم تزل معروفة الى الآن بناحية الاقصر واشتهرت بلقصر وأبو الجلاج ويقال أيضا انه هو الذى أنشأ على شاطئ النيل الايسر قجاء ناحية الاقصر العمارة الدينية التى يذكر أنها كانت من أعظم الآثار القديمة المصرية وقد تخربت الآن بأسباب لا معرفة لنسبها ولم يبق من آثارها الا صورتان المهورتان اللتان كانتا موضوعتين كما يقال احدهما على عین الداخل من باب هذا المعبد والاخرى على يساره وتعرفان الآن عند أهل مصر المتأخرين بالصنمات ولغاية سنة ٥٩٥ قبل الهجرة (سنة ٢٧ بعد الميلاد) كان هذان التمثالان العظيمان اللذان هما فى الحقيقة عبارة عن صورة الملك امونوفيس الثالث المذكور لم يلتفت اليهما انظر الواردين والمترددین كسائر الآثار المصرية القديمة والعمارات الاثرية العظيمة المنتشرة بتلك الجهات الى ان اتفق ان حصلت زلزلة فى الارض بذلك الوقت فأسقطت أعلى احدهما وبقيت قاعدتها قائمة فى محلها ولو حظ ان قاعدتها هذه لم تبت بالندى الساقط عليها فى صيعة النهار سمع منها صوت مستطيل عند شروق الشمس وكان يفد على وادى النيل فى ذلك العصر كثير من السياح اليونانيين والرومانيين فقصوا منها المنجب لهذا السبب وتوهموا فى الحال ان صورة الملك امونوفيس هذه

هي صورة ممنون أحد موضوعات عباداتهم الاهلية وبعض أشخاص
معبوداتهم الخرافية يهدى عند شروق الشمس السلام ويدي التحيّة
والأكرام على حسب زعمهم الناسد وتوهمهم الكاسد الى والدته
الالهة المسماة أورور أي الفجر (من جملة آلهتهم الوهمية ومعبوداتهم
الصنمية أيضا) ولهذه الآثار الخيالية والواقعة الاتفاقية يرجع
سرّ ما يوجد على سيقان هذين التمثالين من الكتابات العديدة والاساطير
القديمة الكثيرة الموجودة عليهما بالقلم اليوناني والخط اللاطيني
الروماني وقد علمت حقيقة الحال فلا موقع للتشبث بالحال

وقد خلف امونوفيس الثالث ولده المسمى امونوفيس الرابع وسار أيضا على
سيرة اسلافه الاولين واقتدى بقدوة آباءه السالفين ويتضح أمر هذه
المادة كذلك بما يرى في مقبرة ملّ العمارنة (باقليم المنيا) من النقوش
المصوّرة والرسوم الظاهرة بتلك الناحية حيث يشاهد فيها صورة الملك
امونوفيس الرابع هذا قائما على عربته يليه بناته السبع يقاتلن معه وكلهم
يدوس تحت سنابك خيله أجسام رجال من أهل آسيا المغاويين لهم
في بعض وقائعهم الحربية غير أن الملك امونوفيس الرابع المذكور لم يمنحه الله
سبحانه من حسن السياسة والتدبير بما يضاهاى رفيع مكائده من الشجاعة
فانه كان قائما به من حجة الدين وعمى البصيرة واليقين حاجله في كثير من
الاحوال على ان جاء بما لا يليق فغير ديانة آباءه السالفين وكان بحسب
الظن أول من تجارى على ذلك من الفراعنة السابقين فقد رفض ديانة
الصنم المسمى آمون وكان أعلى المعبودين بمدينة طيبة عند قدماء
المصريين لم يزل محترما فيها مدة مديدة ومعهود العبادة للعامة من منذ

سنوات عديدة واستبدله بالمعبود المسى اذان (أى الكوكب
 الساطع) قال بعضهم وأظنه أقرب للصواب أنه هو أشبه بمعبود اليهود
 وسائر آرباب الديانات من بنى سلام بن نوح ييلاد أسيا المسى آدونائى
 (بتشديد الياء الاخيرة منه) أى المولى المعبر عنه عندهم بعبارة أخرى من
 الاسماء المقدسة بيا هو أيضا وتصلب هذا الملك فى تنفيذ أغراضه بهذا
 الخصوص حتى أنه غير اسم نفسه فبعد أن كان يثبت اسمه على الآثار بلفظ
 امونوفيس الذى مدلوله الحقيقى فى أصل اللغة المصرية القديمة رجة آمون
 صار لا يذكر الا بلفظ خوانادان (ومعناه حرفيا بهجة الكوكب) وكانت
 عاقبة هذه الجريمة فى مادة الديانة المصرية وتبديل العقائد الاهلية
 مشؤمة الطالع على الديار المصرية حيث ترتب على ذلك ان اعترت
 عوارض التلف والافساد لبعض مواضع من الهياكل القديمة
 والعمارات السالفة ولما أراد الملك امونوفيس المذكور أن يحيط مدينة
 جديدة (وهى الكائنة بموضع تل العمارنة) لتكون تحتها مستجدا للدولة
 المصرية بدل مدينة طيبة زال بعض بهجة مدينة طيبة المذكورة ونقصت
 عما كانت فيه من العظمة القديمة والظاهرات أم خوانادان التى هى والدة
 فرعون امونوفيس المذكور وكانت لم تزل حية الذكر عزيزة القدر
 فى ذهنه مدة طويلة بعد وفاتها كما يدل على ذلك حال مقبرة ناحية تل العمارنة
 كان لها مدخل فيما حصل على النجاة من تبديل العقائد المصرية القديمة
 فى عهد ولدها وذلك ان هذه الملكة لم تكن مصرية الاصل فانها مصورة
 بناحية طيبة بجهة أبوجد وردية البدن كسواء بلاد الشمال ويوجد على
 صورة الجعلان المحفوظة بخزانة الآثار المصرية ببولاق السابقة الذكر

منصوصاً بأنهم تكن من ذرية الملوك وأن والديها من الاغراب حيث أن
 أسماءهم لم يوجد لها أصل اشتقاق في اللغة المصرية القديمة ولعل الملك
 امونوفيس الرابع المذكور انما اتخذ له الها غير المعهود لغاية ذلك الوقت
 في بلاده بدسيسة العرق وسريان الاصل السارى اليه من جهة أمته ففعل
 في حق اله اسلافه من جهة الام وهو الاله ادان ما كان قد فعله طائفة
 الهيكسوس من قبله بالنسبة لمعبود آبائهم المسعى سوتيج الذى تقدم ذكره
 وعما فعله فرعون امونوفيس المذكور من سوء التدبير بتبديل الديانة
 المصرية أخذ يظهر بمصر من ذلك العصر عصبية أجنبية تنافس
 الالهالى الاصلية ولعل بذلك تتأول قضية ما يوجد من التصاوير بناحية
 تل العمارنة من رسم هذا الملك على غير هيئة التقاطيع المصرية وحوله
 صور جماعات من أرباب المناصب يظهر أن المصورين من المصريين
 في عصرهم صوروها على هيات غريبة الشكل كهيئة ذات الملك ثم انه
 بعد أن تناوب كرسى المملكة المصرية من غيريت الملك عدة فراعنة
 معدودين في جملة ملوك العائلة الثامنة عشرة فناملى الذكر آثارهم ليست
 بعظيم شئ جاء الملك هوروس وبه عادت الملك ثانياً لمستحقه من أهل
 بيت الدولة وتوالى عليه من بعده افراد آخرون من أهله الا انه بظهوره على
 كرسى المملكة الفرعونية قامت بمصر بسبب تبديل الديانة الذى كان قد
 حصل في عهد الملك امونوفيس الرابع قيامات أهلية شديدة وانتقامات
 تعصية غير معهودة فترى الملوك الذين كانوا قد دخلوا عن كرسى المملكة
 قبل الملك هوروس أسماءهم من جميع الهياكل قد صحت وآثارهم قد
 هدمت وألقيت على الارض وأدهى من ذلك أن المدينة العظيمة التى

كانوا قد أحدثوها في موضع ناحية تل العمارنة لتكون كرسى مملكتهم
 تقترب بالكافية والجزئية من أقصى جدرانها ولم يبق منها حجر ولا جرة
 بمكانها ومع ما ذكر فإن الملك هوروس هذا كان ملكا حسن السياسة
 والتدبير ضبط أمور الديانة المصرية فبقيت في أيامه على ما كانت عليه
 قبل من درجة المجد والعز وحفظ لها ما كانت قد حازته من الحدود
 البعيدة والثغور العديدة من عهد الملك توتيمس الثالث وكانت قد بلغت
 في ذلك العصر كما هو عين نص النقوش المسطورة بمسلة القسطنطينية إلى
 أقصى حصون الجزيرة بين دجلة والفرات وبالجمل فإلى الملك هوروس هو
 آخر فرعون من ملوك العائلة الثامنة عشرة أبلغ الديار المصرية لأعلى
 درجة النخار وأرقاها إلى أقصى مرتبة العمار وقد أقامت على كرسى
 المملكة مدة ٢٤١ سنة

ثم جاءت بعدها العائلة الملوكية التاسعة عشرة وفي أيامها لم تزل مصر
 في الجمل ظاهرة بعض الظهور حاظفة لما تيسر من عزها المأثور إلا أنه
 من خلال بعض أشعة النور التي لمعت في أثناء هذا العصر يظهر ذلك
 أولى عزم واجتهاد وأصحاب غزو وجهاد أخذ البصر يلحظ بعض
 أعراض تدل على قرب تطرق الخلل والفساد إلى أحوال هذه البلاد
 وبعد أن كانت الديار المصرية على الدوام مهابة السطوة تاتية الخطوة
 تشق الغارة على الغير صارت من الآن فصاعدا في أكثر الأحيان بشن الغير
 الغارة عليها ويمتد الجسارة إليها

وأول هذه السلسلة الجديدة من الملوك هو الملك رمسيس الأول ومع اتنا
 لم نطفر لمدة حكمه على عظيم شيء من الآثار فمن المعلوم أنه غزا غزوة بجهة
 شمال

شمال الشام في الولاية المتسعة الموجودة هناك فيملين البطائب الابسر من
 نهر الفرات وجبل ككورين والبصر الملع وهي البلاد المعهورة بطائفة
 الخيتاس عبدة الصنم المسمى سوتيج السائق ذكره وهم أمة ذات منعة
 وتقدم على عدة طوائف متحالفين معهم من أهل اسيا كانت طائفة
 الروفونو كذلك واذا صح ما هو مكتوب بالقلم القديم المصري على بعض
 الآثار القديمة الموجودة بجهة الكرنك كان الملك رمسيس الاول المذكور
 هو اول من أقدم على ملاقات طائفة الخيتاس واخترق بلادهم الى شواطئ
 نهر الارونط (وهو نهر الامسى) ولم يحصل في مدة حكمه وقائع حربية
 تظهر عصره وتظهر ذكره غير ما ذكر والذي خلفه على سرير الملك هو
 الملك سيتي الاول وهو المعروف بالملك سيتوس عند اليونان

وقد ذكرنا في اسلف قريبا ما بلغت اليه المملكة الفرعونية بعزم الملك
 توتيس الثالث من الحدود البعيدة والثغور العديدة ومن نظر بجهة
 الكرنك في مادة الحروب التي اضطر الملك سيتي الاول للمداومة عليها علم انه
 غزا من الغزوات نظير ما فعل جده الماجد المذكور وأدخل تحت الطاعة
 المصرية ثمان مئة الفرقة المسماة سارو وأهالي بلاد البونت المذكورة
 قبلا وحارب جهة الشام وظهر بها أيضا وترك بقلاعها المحاطين من
 الجنود المصريين وجاهد كلا من قبيلتي الخيتاس والروفونو وغزا كلا
 من مدينة ينوى وبابل وقاد جنوده المنصورة الى أقصى بلاد أرمينية
 ومن ثم يظهر ان بلاد آسيا الغربية التي كانت تحت طاعة الدولة المصرية
 قد اخذت من أول عهد الملك الثاني من ملوك العائلة الملوكية المصرية
 التاسعة عشرة في القيام على دولة الزراعة والخروج عن طاعتها ولا يصعب

ان يفهم من طريق التفرس ان هؤلاء الامم المغلوبين والفرق التي كانت
تعاملهم مصر بمنزلة الاتباع العاصين متى بلغوا أشدهم واستدركوا
ولو قليلا عزمهم وجهدهم كانوا لدولة مصر هم أشد الأعداء وألد الأخصام
ولربما صاروا اذا أسعفتهم الاقدار عليها من المتغلبين وسعوا في البطش
بها ولو بعد حين ومع اشتغال الملك سيقى الاول المذكور بهذه الحروب
المتعددة الحاصلة بالجهات المتباعدة وكان يقودها بنفسه فلم يمنعه ذلك من
الاعتناء بما يناسب أوقات الصلح من الاعمال الاهلية والعمارات ال اثرية
فان الديار المصرية في أيامه لم تزل حافظة لما كانت عليه قبلا في امورها
الداخلية من درجة الفلاح والنجاح بانشاء بعض عمارات جيدة الصناعة
تسر الناظرين وتعجب من يتر عليها من السياحين فمن ذلك القاعة ذات
الاعمدة الموجودة بجهة الكرنك التي هي من أبدع بدائع فن العمارة
المصرية القديمة ومنها الهيكل الكبير بمدينة أيدوس الذي كشفنا
ما يحتويه من التصاوير العديدة النظير بواسطة اعمال الكشف والتفحص
عن الآثار القديمة الجارية بهمة الحكومة المصرية في هذا العصر الاخير
ومنها قبر الملك سيتوس المذكور أظهرناه أيضا بالجهة المسماة باب الملوك
(من ضمن مدينة طيبة) وهو اثر بديع موضوع تحت الارض كل من
اطلع عليه تعجب منه غاية العجب لانه حيث اتقان البناء وحسن التشييد
فقط بل من حيث انه لا تدرك العقول كيف تصور رسمه مهندسه
فضلا عن ابرازه في حيز الوجود ولا ينبغي لنا ان تغفل عن ذكر ان الملك
سيتوس الاول هذا هو اول من حفر الخليج لتوصيل ماء النيل الى بحر
الاقلام واول من فتح طريقا في الجبل للقوافل توصل من القرية المسماة

رداسيه (باقليم اسنا) الى معدن الذهب الموجود بجبل اتوكى
 باحداث عين صناعية هناك يتفجر منها الماء وقد خلف الملك سيتوس
 المذكور على سرير المملكة الملك رمسيس الثانى وهو المروف عند
 اليونان بالملك سيزوستريس كاسياتى وأقام فيه سبعا وستين سنة وخلف
 مائة وسبعين ولدا منهم تسعة وخسون ذكورا وهذا الملك هو سيد جميع
 الفراعنة المصريين من حيث تأثير الآثار وتعمير العمارات فانه يصح أن
 يقال من غير تكبرانه لا يكاد يوجد وادى النيل أثر من آثار الديار المصرية
 القديمة ولا بقايا من العمارات الفرعونية العتيقة الا وعليها اسمه أو فيها
 ذكره ورسمه ومن آثار الهيكلان العظيمان الموجودان بمدينة ايسنبول
 والتصر المسمى بالرمسيسية بمدينة طيبة والمعبد الصغير الموجود بمدينة
 ايدوس وله عمارات جسيمة كثيرة العدد بمدينة منفيس والقيوم
 وفي مدينة سان وسبب توفيقه لانشاء هذا المقدار الجسيم من
 العمارات هو انه كانت قد طالت مدته على كرسى المملكة وكان يستعمل
 حسبما جرت به عادة مصر في ذلك العصر في ابتناء العمارات العمومية
 بجاعات الاسراء العديدين الواردين اليه من وقائع الحرية ويتضم
 لذلك أيضا كثرة توارد قبائل كثيرين من الاغراب كانوا كثيرا ما يغدون
 لحسن تدبير الفراعنة السابقين من جهة سهول بلاد آسيا على شاطئ
 النيل وينجذبون للاستيطان بالديار المصرية لاسباب جودة خصوبتها
 وسهولة معيشتها فيستخدم منهم العمال فراغتها في تشييد الهياكل
 الالهية والمعابد الدينية واختطاط المدن وانشاء القناطر والجسور
 وتطهير الترع والخجان ونحوها وبذلك كان هؤلاء الاجانب يؤدون حق

ما كانت تقابلهم به مصر من الترحيب والتوسيع ويقابلون نعمة ضيافتها بالاستنفاع والتفجيع ومن هذا القبيل ما روى في التوراة من ان بنى اسرائيل استعملهم فرعون رمسيس هذا في ايتناء مدينة تسمى باسمه بشرقي الدلتا (البحيرة) ثم انه بالتأمل في حقيقة حال الحروب التي حصلت في عهد الملك رمسيس الثاني يتحقق ما تبادر اليه الفكر وأشير اليه فيما سبق بالذكر من سوء حالة مصر السياسية بالنسبة لباقي الملل الذين كان لها عليهم السطوة حسبا بدأ به الطالع من أقول عهد العائلة الملوكية التسعة عشرة وتوضح ذلك ان هذا العصر كان هو الاجل المظنون والوقت الذي كان اليه وقوع هذا الامر مرهون حيث أخذت من الآن فصاعدا دولة الفراعنة في أنها صارت بين الدول ينكر عليها قولتها ولا يصنى بين الملل لكلمتها بل قامت عليها بالضرورة من سائر الجهات القيامات وتحركت اليها حركات الانتقامات من جميع الاقطار التي كان قد أدخلها تحت الطاعة الفراعنة التوتيسون وسلاطين مصر الامونوفيسون المتقدمون من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب وتحركت الفتن أيضا بلاد السودان في ذلك الاوان بدليل ما وجد على كثير من حيطان الهياكل بتلك الجهة من تصاوير كيفيات النصرات العديدة والاقتضارات البليغة التي حازها في ذلك العصر ولاة الاقاليم الايتوبية من طرف الدولة الفرعونية على رؤساء الاقوام العاصين عليها بتلك الجهات وفي أثناء تلك المدة أيضا نزل على ديار مصر من البادية الكنانة على غربي الدلتا (البحيرة) اقوام كالجراد وقبائل كثيرة الاعداد زرق العيون شقر الشعور من الليبين وهم أهل جبال برقة وما يليها الى جهة الغرب وسقطوا

وسقطوا على قارة أفريقية من جزائر البحر الأبيض المتوسط فغشى
على الأقاليم الجنوبية منهم أن يوقعوا فيها الفساد ولم يدفعهم عنها الجنود
المصريون إلا بغاية المشقة والاجتهاد وتوافق أن حصل في تلك المدة أيضا
على الجنود المصريين من اقوام بلاد آسيام مثل هذه الحركة فمخالفت قبيلة
الختاس مع عشرين طائفة أخرى من القبائل القاطنين بتلك الجهات
وهم قوم أهل نخوة وشجاعة يحاربون على العربات وتحزبوا جميعا على الديار
المصرية وبقي الملك رمسيس الثاني يقاهاهم مدة ثمانى عشرة سنة ولم يالم تفد
محارباته معهم شيئا اضطر فرعون رمسيس المذكور بعد تلك المدة على أن
عقد مع هؤلاء القبائل الذين كان يحتقرهم بالامس ويدعوهم برعاع القوم
الاسافل مشاركة هدنة جمعت من العز والشرف ما فاز به الجانبان وحاز
به منزلة الصلح الدارفان وفي خلال بعض وقائع هذه الغزوة الطويلة المدة
أبدى رمسيس الثاني المذكور بمحض من سائر جنوده من براهين الشجاعة
الذاتية وجلادة الرجولية ما استوجب أن قال فيه بعض شعراء دولته
قصيدة مدحية تاريخية وجدت منقوشة على أحد حوائط جهة الكرنك
من الخارج وعلى الوجهة الشمالية من الباب الكبير المحصن المربع من
هيكل الاقصر وتعرف هذه المدحة عند أهل العلم باسم قصيدة بنتاوور
والذى أجاد ترجمتها من أصلها الى اللغة الفرنسية هو الأديب الفرنسي
المدعولوكنت دوروجه من أفاضل العلماء بأحوال البلاد المشرقية
الوافدين في هذه المدة الأخيرة على مصر من الاقطار الاورباوية وعنه
تنقل هنا أحسن عباراتها ومحاسن معانيها وأبياتها وتاريخها في شهر
اينى (ولعله أيب) أحد الشهور المصرية القديمة من السنة الخامسة

من حكم هذا الملك وبيان واقعتها ان الملك وجنوده كانوا يجتدون في السفر
نحو المدينة المسماة آتس فقايلهم جماعة من اعراب البوادي المقامين
في الطريق للتجسس على احوال الجيوش المصريين من طرف أمير قبيلة
الختاسيين أعداء المصريين فاضلوه عن الطريق المستقيمة ووقع فرعون
ومسيس وجنوده في ورطة كين وأحيط به على حين غفلة فيه بجيوش
الاحزاب من قبيلة خيتاس وأصحابهم من سائر الاقوام المتعصبين وفرت
من حوله جميع جيوشه هاربين فقد جنده وبقى هو بين أعدائه وحده
وفي ذلك يقول شاعره مامعناه بلسان الترجمة محلولاً بالنثر لا في لفظه
أدناه قال شاعر هناك وحين ذاك قام حضرة الملك وهو في غاية العزة
واعتدال المزاج ونهاية القوة والابتهاج كأنه الاله مونت وأخذ
زينة الحرب في الحال وتهايا للضرب والقتال وارسل عربته في وسط
الجوع المملومة واقدم على ابناء خيتاس المذمومة وهو منفرد بنفسه
لم يتقدم معه أحد من ابناء جنسه واقحم المعركة وحده أي اقحام بمشهد
من جميع الاتباع والخدام وقد أحاط به ألفان وخمسمائة عربية حربية
واكتنفته الفرسان من كل جانب من أشجع أبطال خيتاس الدنية وغيرهم
من رجال الاحزاب المتعصبين معهم من ارادوس ومازو وبتازة
وكسكاسة واولون وجازونان وشيروب واكتروا تس وراكة وعلى كل
عربة من عرباتهم ثلاثة رجال ولم يكن حضرة الملك معه أحد من أهل
عشيرته ولا من امراء دولته ولا من قواد عسكره ولا أحد من رؤساء جنده
الرماة ولا عساكر العربات ومن هذه القصيدة ما نظمها الشاعر على لسان
مخدومه يتوجه فيها الى أكبر عبودات المصريين ويستغيث به في وقت
الخطر

الخطير حيث يقول

تركني وحدي كل من جندی الرماة وعساكري الفرسان ولم يبق معي منهم
من يشد أزرى ولا يعضد ظهري فماذا يريد بي ربى وأبى الإله أمون
وباليت شعري أفهو والدين ~~كرو~~ ولده ويتركه وحده أم أنا ولد عاق
وللعقوبة أهل استحقاق أما صغيت لكلمتك واتبعت طريقتك يا أبى
يا أمون ألم يرشدني كلامك في غزواتي وهداني فك في توجيه تجريداتي ألم
أتجه حيث أمرت وانتصحت بما نصحت ألم أشهر لك المواسم الدينية
البهيجة وأقم لك الشعائر التعبدية العديدة وملأت بيتك من الغنائم
المأخوذة من الأعداء واجتمعت الدنيا بتمامها تقرب لجنابك القربانات
وتوذى لحضرتك أنواع التقربات وزدت في دائرة أملاكك وذبحت لك
ألف ثور من زينة من الزينة بأطيب الحشائش رائحة وسائر أنواع الطيب
الجيدة الفاتحة وشيدت لك الهياكل الجسمية بقطع من العنبر عظيمة
وأقت لجدة أشجارا مخملدة وأحضرت من جزيرة ايلقنتين لك المسلات
ونقلت لعزك الاجار الدائمات وبرت السفن في البحار ابتغاء مرضاتك
تحمل اليك أسلاب سائر الامم فهما أنا أدعوك يا ربى وأرجوك يا أبى وأنا
بين أقوام كثيرين لا أعرفهم وفي حضرتك وحدي لا أجد أحدا معي من
جندی تركني عساكر الرماة وفرعني هاربين فرسان العتاة دعوتهم
فلم يجيبوني واستغثت بهم فلم يفيثوني وأنت يا رب أولى بي من القدر
الكثير من الجنود الرماة والفرسان والعدد الغزير من الأبطال القتيان
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

رثميلي في القصيدة المذكورة هذه المناجاة الفصيحة من رب الملك

المذكور جواب نطق به الشاعر على لسانه لبي به دعاءه وأجاب رجاءه حيث قال مامعناه

قرع أسعنا يا رمسيس نذاك وسمعت آذانتنا من هرموتيس صدك
وأنا منك قريب ولك نعم الألب ونعم المجيب وأنا الشمس آخذ بيدك
وأقوم ببعذك خيرك من الآلاف العديدين من الناس ولو جاؤا
مجتعين ومتى كنت بين عربات القوم ولو كانوا ألفين وخمسمائة عربية
ذهبوا منهزمين وراحوا تحت سنابك أفراسك منكسرين وضعفت
كلوب أعدائك بين جوانحهم واسترخت أعضاؤهم بين جوانبهم فلا
يرمون بها سهما ولا يهزون بهارمحا وسأغرقهم في الماء كما ينغمس
التمساح فيقعون فيه بعضهم فوق بعض إلى حيث لا يستطيعون نهضا
ويقتل بعضهم بعضا ولقد تعلق ارادتي بأن لا يلتفت أحد منهم خلفه
ومن سقط منهم فلا يسود ومن هوى فلا يعود

ومن هذه القصيدة أيضا ما قاله الشاعر على لسان سائس ركاب الملك حيث
كلن بجانبه قائما ولركابه ملازما وقد رأى صفوف الأعداء متكاثفة
عليها موجهة همتها بكيتها اليها تخاطبه بقوله

يا سيدي العظيم وملكى الكريم وحامى حى مصر يوم التزال قد بقينا
وحدنا بين صفوف الأعداء فى وسط القتال فهلا مهلا والنجاة النجاة
بأنفاس أنفسنا وبأليت شعرى يا سيدي الأجل ماذا يكون العمل
قال الشاعر فأجابه الملك أشدد حيلك وقو قلبك أيها السائس فإني
سألتهم وأحل عليهم كما يحمل الباز العاوى على غنيتها فأخذلهم
واقتلهم حتى يلقوا فى التراب وأرسل رمسيس عليهم حينئذ عربته وحمل
عليهم

عليهم جلته ستعزات متواليات فقهر رجالهم وهزم أبطالهم في كل مرة
واجتمعت حوله قواد عسكري وفرسانه الذين لم يشهدوا الواقعة فجمع بهم شمله
وضمهم حوله وقال لهم لعمرى لقد احتد عليكم قلبي واشتد عليكم غضبي
هل منكم من ادى حق وطنه وحى حومة بلده ولولم يقم مولاكم هذا المقام
لادرگكم الاعدام بل قعدتم في مساكنكم وتخلفتم في قلاعكم ومحاصنكم
ولم ترسلوا بلندي خبرا ولا اوردتم عندي من احوالكم اثرا وانما ارسلت
كل احد منكم في قلعه وأوليته بولايته موصياله أن يرتقب وقت الجهاد
وها أنتم جميعا قد اخطأتم وأسأتم ولقد اقترف جنودى وفرسانى جنحة
كبيرة بل هى مما من ان يعبر عنها أكبر حيث أبديت وحدى شجاعى
وأظهرت جراتى ولا اسعفى انسان من العساكر الرماة ولا من الفرسان
واخلى العالم بتمامه الطريق لبطشة عضدى وكنت بفردى حيث لم يأخذ
أحديدى

وبلى ذلك من القصيدة المذكورة وصف ميدان الحرب وقت الغروب حين
رجعت جنود الملك رمسيس اليه من الهروب حيث قال الشاعر ما مغناه
وأبوا فوجدوا وجه الارض حيث ساروا امر تديا بالرّم مغمورا بالدم ولكثرة
القتلى به فلا يوجد فيه موضع للقلم نغاطبوا حضرة الملك يقولون لها أيها
السيد المقاتل والبطل الباسل وماحب القلب ذى الثبات لقد أغيت
بفردك عن جميع جنودك من فرسان ورماة وبما أنك ابن الاله قوم من
صلبه فقد محوت بسيفك المنصور قطرة طائفة الخيتاس من بين الاقطار وانما
أنت رب العظمة وملك القهر والقلبة ولا تفرق للتطير من سلطان قام
بدلا عن جنوده بوظيفة الحرب والجهاد في يوم الضرب والجلاد ولا غرو

أيها الملك ذو القلب الكبير إذ كنت أنت حيث التقى الجمعان أول مبارز
وكنت أمام جندك أول بارز والعالم يتمناه يتظر إليك حيث تعصب كله
عليك فأجابهم الملك بقوله لقد أخطأتم جميعاً خطأ شديداً حيث تركتموني
بين الأعداء فريداً فلا أخذ بيدي عشير ولا أسعفتني أمير ولا قام بناصري
مطلقاً نصير بل هزمت الأحزاب من سائر الملل وحدي وقاتلت دون
جندي وكان يحملني كل من الجوادين المدعوا أحدهما بالعظمة في الصعيد
والآخر بالسعادة في الملا الأعلى ولم تجد بيدي سواهما حين أحاط بي العدو
فأكرمهما وأغلفوهما في كل يوم بجديد الحب بحضرة الإله فرا إذا أويت إلى
قصورى المشيدة ذات الأعمدة العديدة قال الشاعر ما معناه فلما أصبح النهار
وأشرق الجوف في اليوم الثاني واستنار عاد الملك رمسيس ثانياً للقتال ورجع
على الأعداء بالصيال كأنه ثور نزل على أوز وعاد الشجعان من أصحابه
للمجد والعز فاتقوا معه على العدو في معركة كالبارز ظفر بفريسته
وقاتل معه الأسد الكبير الذي كان يسير بجوار جواده فاشتعلت جميع
جوارحه غضباً وصار كل من دنا منه سقط على الأرض ملق وظفر الملك
بالأعداء وقتلهم جميعاً فلم يترك منهم أحداً وداسهم تحت أرجل الخيل حتى
اندرست منهم الرمم وانهرست في الدم وصارت كلها قطعة واحدة انتهى
ما أردنا إirاده من هذه المدحة وفي آخر القصيدة المذكورة بعض أبيات
تمت بها هذه القصة الطويلة وحصلت وقعة حربية عاتية عادت على قبيلة
الخيتاس بشر الهزيمة وانعقد بين الطرفين عقد هدنة انقطعت بهامدة
الحرب وقتياً كما ذكرناه فيما تقدم وبما أردناه هنا مما اشتملت عليه هذه
القصيدة من البيانات المفصلة سابقاً تظهر بقدر الكفاية قضية منزلة الملك

رمسيس الثاني بين الفراعنة من بحيث الغزو والجهاد فانه يوجد في الواقع
 بالجهات من جبل البرقل الى غاية نهر الكلب بالقرب من بيروت تقييدات
 قديمة تشهد بعظمة هذا الملك الذي يسميه اليونان بالملك سيزوستريس
 وأشاعوا ذكره بكثرة الغزوات واشهروا اسمه عندهم بسعة الفتوحات
 والعصج الذي سيقول به المنتصفون من المؤرخين اذا اتضحت لهم حال هذا
 الملك بشهادة الآثار والعمارات من هذه الحيثية هو ان ما اشتهر به فرعون
 سيزوستريس المذكور من كثرة الغزوات وسعة الفتوحات لا يتخلو عن
 مبالغة وان المؤلفين المتقدمين الذين اتخذهم الناس قدوة في هذا المذهب
 انما نسبوا الى الملك رمسيس الثاني وحده كل ما حصل في الحقيقة من الوقائع
 الحربية من كل من الملك نوتيمس الثالث والملك سيتوس الاول والملك
 رمسيس الثالث الذين لم يكونوا دونه في الشهرة والفخر ونباهة الذكر
 والذي خلف الملك رمسيس الثاني على سرير الملك هو ثالث عشر اولاده
 المذكور المسمى مينفتا حسبما هو وارد بالآثار والعمارات المصرية القديمة
 وفي مدة حكمه كان خروج بني اسرائيل من الديار المصرية يقودهم موسى
 (عليه السلام) من بعد ما حصل من المهزات المذكورة في التوراة
 واذا كان الامر كما ذكر كان الملك مينفتا هذا هو الفرعون الذي هلك بالغرق
 في بحر القلزم ومع ذلك فقبر موجود في ضمن القبور الباقية لغاية عصرنا
 هذا بالجهة المعروفة بباب الملوك وقد تعاقب على سرير المملكة المصرية بعد
 الملك مينفتا المذكور ثلاثة ملوك مدة حكمهم لا تستحق الذكر وبانقراضهم
 انقرضت العائلة المالوكية التاسعة عشرة بعد ان مكثت ١٧٤ سنة
 وجاءت بعدها العائلة المالوكية المصرية بالمتمة للعشرين وكان اقتتاس مدة

هذه الحالة مصحوبا بأسعد الطالع ~~على~~ جميع المطالع فإن أولها كان الملك
رمسيس الثالث وقد باشر من الحرايات ما استحق به أن يكون الخلف الصالح
لشاهير المولود السابق وبعد في زهر ~~مكبار~~ الفراعنة المتقدمين فإن
الجهة المسماة مدينة أبو من ناحية طيبة كانت هي الهيكل الذي أنشأ هذا
الفرعون عجيذا لقمصره وتخليد الذكره حيث كل باب محصن كبيرا وباب
معتاد وكل حجرة متحدثا بما حصل على يده من الغزوات فمن ذلك ما حصل
في عهده من ادخال بلاد البونت تحت الطاعة من جديد وكانت قد خرجت
عنها فخرها هذا الملك وضرب عليها الجزية وتكرر العصيان كذلك في عصره
من بلاد الكوش (وهي بلاد الزنج) فقمعهم المرة بعد المرة وعاد لمصر في ذلك
العصر أقوام الليبيين (أهل جبال برقة) ينتهكون حرمة الثغور المصرية من
جهة الغرب فلاقاهم الملك رمسيس الثالث وهزمهم مرارا شرهزيمة واستمر
الحرب في مدته بجهة الشمال برا وبحرا وذلك أن طائفة الخيتماس الذين كان
قد كسرهم الملك رمسيس الثاني قاموا ثانيا على الملك رمسيس الثالث وانضم
لهم عدة أقوام من سواحل الشام كالطائفة المسماة زكارو وأهل فلسطين
حتى جاءهم الامداد من جزيرة قبرص وحصلت بين الاساطيل المصرية وبين
سفائن هؤلاء الاقوام المتعصبة مقتل عظيمة بالقرب من مدينة غير معلومة
بسواحل البحر المتوسط الرومي اجتمع فيها الجمعان وتلاقى بها في ميدان
الحرب الفريقان وكانت فيها الهزيمة على أعداء المصريين حيث ظفروا
عليهم بالنصر واغرقوا سفائنهم عن فيها الى قاع البحر وابتلعهم الامواج
كما يستدل على ذلك بما هو واضح في ضمن التصاوير الموجودة بمدينة أبوفاته
يشاهد فيها على الخصوص صورة الملك رمسيس الثالث واقفا على ساحل
البحر

البصر في أثناء هذه الواقعة يدفع جلات جيوش الاعداء عن البر وفي جنب
 عربته كالملك رمسيس الثاني أسد مستأنس يقاتل عنه ويقتصر المغاوير
 لمن رجال الاعداء بدلا منه واذا صبح ما ذكر فقد ثبت أن مبادئ العائلة
 المالوكية المصرية المتقدمة للعشرين كانت سعيدة الطالع كما ذكرنا وان كانت
 حازته مصر في الزمن السابق من المآثر العظيمة والمفاخر الفخيمة استبان
 في عهد الملك رمسيس الثالث كأنه عاد بالثاني الا ان من جاء بعده من ملوك
 مدينة ابوالخاملين لم يقدر واعي حفظ ما بأيديهم من الميراث الفاخر المتروك
 لهم من لدن القراعنة السابقين وما حصل في عهد الملك رمسيس الثالث من
 سطوة الحروب وبهجة النصرات التي وقت الديار المصرية تحببة من
 الزمن عن السقوط في هاوية المحن لا اجدى نفعا ولا افاذاها من الوقوع
 فيما لا بد منه منعا وبالجملة فقد حل الاجل المنظور واختلت في الديار
 المصرية الامور فصارت بلاد الشام وان كان لم يزل بها الولاة من تواب
 الدولة المصرية تتلاشى بها التبعية وتصير سلطنتها عليها شيئا فشيئا صورية
 وفقدت الديار المصرية بطول محالطاتها مع أهل اسيا ما كان به قوام قوتها
 من اتحاد امرها واجتماع شملها وتركزت كثير من الالفاظ الواردة من
 لغات بني سام بن نوح تتداخل في لغتها وبعض آلهة من معبودات الملل
 الاجانب تغلب على موضع العبادة من معابدها ولم يكن يعهد لها مثل هذا
 الفعل من قبل ووافق حصول الفتور الذي اعترى همة الديار المصرية في تلك
 المدة توارد سبب اخر من اسباب الاضعاف أو هن قواها وحل عراها وذلك
 ان مشايخ ديانة الاله آمون بمدينة طيبة لما استشعروا بفتور همة ملوك
 العائلة العشرين أخذوا في زيادة قوتهم قوتها واجتهدوا شيئا فشيئا

في اضعاف شوتكتها وتطلعوا للملح ملوك مصر الحقيقيين وقطع دولة
 الفراعنة الاصليين وجوزيت الديار المصرية بما ابدته ملوك العائلة الملوكية
 الثامنة عشرة من الاطماع وتوسعت به من الفتوحات غاية الاتساع
 وبقدر ما كانت عليه من شدة الوطأة والبطش فها هي قد أشرفت على ان
 يستحل جماها ويطأ الا جانب عن قريب تراها وبعد ان كانت يدسلطتها
 طائفة على طائفة الكوش (وهم الزنوج) والليبيين (وهم أهل جبال برقة)
 وعلى أهل آسيا معاقبى أمرها الآن الملوك من هؤلاء الملل الذين كانوا
 في قبضتها وقحت طاعة حكومتها وانما تفرق شمل سلطتها وتغرق جمع
 دولتها لكونها لم تقتنع بما في يدها من الاراضى الاصلية التى هى املاكها
 الحقيقية اعنى شواطئ النيل وما يليه الى جهة الجنوب مهما بلغت
 حدودها بل قادت الى الاطماع الى حيث تفسد سطوتها وتضعف قوتها
 باختلاف أنواع الملل الذين أرادت الاستيلاء عليهم لكثرتها وتنوع أهوية
 الاقاليم التى تشبثت بحيازتها السعته وفي الحقيقة كان هذا آخر العهد
 بابهج مدة من تاريخ مصر فان الدولة المصرية لما عجزت من بعد الملك
 رمسيس الثالث عن تدارك جميع هذه الاخطار المتزايدة عليها من جميع
 الاقطار أخذت من هذا الوقت فى الانحطاط والاضمحلال وخرجت عن
 يدها فى هذا العهد شياً فشيأ جميع الفتوحات التى كانت قد امتلكتها
 فى الاعصار السابقة شمالاً وجنوباً الى ان جاء الوقت الذى تجاسرت فيه كبار
 طائفة القسس المصريين على ان وضعوا تاج الفراعنة على رؤسهم وقد
 انحصرت الديار المصرية فى أقل حدودها وتقهقرت الى أضيق تغورها
 وصارت ليس فى يدها الا اليسير جداً من دائرة اراضىها يحيط بها من الآن
 فصاعداً

فصاعدا من سائر النواحي أعداء أشد قوة منها

ولما جاءت العائلة الملوكية الحادية والعشرون في سنة ١٧٣٢ قبل الهجرة (سنة ١١١٠ قبل الميلاد) كانت الديار المصرية منقسمة الى مملكتين لاسباب ما كان متحكما فيها من تفرق الكلمة الاهلية وما كان متمكنا بها من الفتن الداخلية فكانت احدهما بمدينة طيبة يليها الملوك الحادثون من طائفة القسس المصرية والاخرى بمدينة تانيس (سان) وهي العائلة الملوكية الاصلية التي أورد ها القسيس ما يتنون في تاريخه في جملة العائلات الملوكية المصرية على انها في ذلك العصر كانت هي العائلة الملوكية الحقيقية وفي تلك المدة كانت مصر قد فقدت ما كان لها ييلاد آسيان من درجة الاعلوية وظهرت بعض علامات أخذت تدل على انقلاب الموضوع من أن بلاد آسيان هي التي صار لها اليد العليا والتأثير الاقوى على الاقطار النيلية بعكس الحال وان ذلك لم يزل آخذا في اسباب الترقى والازدياد وذلك ان ملوك دولة الصعيد دعوا كثيرا من اولادهم باسماء من قبيل المستعمل بين بنى سام بن نوح ييلاد آسيان واهدى بعض ملوك الوجه البحرى احدى بناته الى سليمان لتكون من جملة زوجاته وجاء بعد العائلة الملوكية الحادية والعشرين العائلة الثانية والعشرون في سنة ١٦٠٢ قبل الهجرة (سنة ٩٨٠ قبل الميلاد) وكان تحت ملك هذه الدولة بالمدينة الموجود بمحلها الآن ناحية تل بسطة (باقليم الشرقية) والظاهر ان هذه العائلة لم يكن من ملوكها كثير ممن يعتد في زمرة الملوك الغزاة والفراعنة أهل الفتوحات وأول ملوكها هو المسمى في التوراة شيشاق واسمه على الاثر المصرية القديمة سيسونك وقد ذكر عنه انه غزا بجنوده مملكة

فلسطين وحاصر مدينتي بيت المقدس وسلب الامتعة النفيسة الموجودة
 بهيكلها ومن نظر الى أسماء الملوك المتسوين لهذه العائلة المالوكية استغرب
 حيث يجد أسماء أكثرهم كأسماء الملوك بجهة العراق وكرستان كهرود
 وتجلات وسرجون وما هو من هذا القبيل وأغرب من ذلك ما يشاهد أيضاً
 من ان فرقة العساكر الموسومة بالمحافظة الخصوصية عن ذات الملوك من
 هذه العائلة المالوكية لم يكونوا من الاهالي المصريين بل من الطائفة المدعوة
 ماسواس من بجملة الطوائف اللبية التي كان قد طردها عن ثغور الاقاليم
 البصرية الملك رمسيس الثالث غير مرة كما سلف ذكره وما ظفر نابه من الفوائد
 المذكورة سابقاً بطريق الاستكشاف في ضمن الحفر الذي حصل في الهيكل
 المسعى بالسرايسية (معبد الاله سيرايس) كان هو مفتاح تاريخ الديار
 المصرية في عصر العائلة المالوكية الثانية والعشرين وما بعدها والذي
 اتضح لنا من ذلك عن هذا الصدد هو ان مصر بقدر ما كانت ترغب في المدد
 السابقة للخروج عن أصل مآذنها وللتوسيع في محيط دائرتها صارت
 الآن لا ميل لها الا للتدخل في ذاتها والتقليص في نفسها وبقدر ما كانت
 تسعى أولاً في تكليف الدول المجاورين بقوانينها والمثل المصاقيين بشرائعها
 أصبحت تدعن لتلك الملل الاجانب عليها وتطيع لجمود اشاراتهم اليها
 واندرست بالكلية من الآن فصاعداً العائلات المالوكية الطبيعية والتنفسية
 وكان الديار المصرية بانحذابها الى جهة بلاد آسيا صارت من الآن فصاعداً
 لا تتخذ تقوى مملكتها ومحل دسوت دولتها الا ببعض المدائن من الاقاليم
 البصرية على ان الديار المصرية من ابتداء عهد العائلة المالوكية الثانية
 والعشرين صارت لا تحتك سويتها وبيان ذلك هو ان مصر كانت في أيام

العائلات الملوكية الطيبة العظيمة الشأن قد قمت أبوابها لبعض القبائل الاغراب مثل بني اسرائيل كما تقدم ذكره آنفا وأقطعهم بعض الاطيان ليقموا فيها على سبيل الضيافة والاحسان ولم قحش حينئذ من صولتهم لتصفقها من سهولة اطاعتهم وضبط عصبتهم بمجرد ما كان لها من مظهر العظيمة ومظنة السطوة وأما في عهد المدة التي نحن بصدد ها الآن فانه قد انقلب الموضوع وغلب المخفوض على المرفوع وصارت قبائل الاغراب المذكورين هم الذين يقومون عليها ويتعدون حدودهم لديها وأكبر مصيبة من ذلك أن ما كان قد أعطى لهم من الاراضى بوجه العارية والاستنفاع تطلعت آمالهم لاستملاكه والاستيلاء عليه بالغصب بوجه كونهم هم الاسياد المالكين والارباب المتصرفين وجرى لمصر في ذلك العصر ما تحكمت به عليها يد الاقدار وحكمت عليها فيه بالدوام والاستقرار من انه قد استولى عليها احدى هذه القبائل الغير المصرية المذكورة التي كان حين ذاك بالثغور الشرقية منها جماعات كثيرة وملوكها في الحقيقة هم الذين عبرنا عنهم بالعائلة الملوكية الثانية والعشرين

وقد خلفت العائلة الملوكية السالفة عائلة ملوكية أخرى أسوأ حالا وأردأ ما لامنها وهي الثالثة والعشرون فانها تظهر لعين الناظر متلبسة بحوادث تاريخية لم تكن ترد له على خاطر وبيان ذلك أنه اتضح أن الديار المصرية في هذا العهد أيضا كانت مبتددة الشمل متعددة أمر العقد والحل الى درجة بليغة من الاختلال لاسباب لغاية الآن مجهولة الحال قراها من جهة الشمال منقسمة غير متصلة الامر والكلمة

وباليتها كانت كافي عصر الملوك الرعاة متوزعة بين دولتين أجنبية وأصلية بل كانت في أيام العائلة الملوكية الثلاثة والعشرين متقطعة بين عدة دول صغيرة متفرقة وجملة طوائف كثيرة غير متفقة يقودها الى طريق الاختلال والاضمحلال ويسوقها الى سوق سوء الحال عشرة من ملوك الطوائف أصل أكثرهم من الطائفة المسماة ماسواس وهي طائفة يظهر أنها كانت في الحقيقة بمنزلة طائفة الانكشارية في الدولة العثمانية ثم سعت في الصعود على مراقي الملك وارتقت بطريق الاختلاس اليه واستولت بحسب الظن بوجه التعدي عليه وكذلك كانت الديار المصرية بجهة الجنوب من سوء الحال على ما ليرد لبصرة المتبصر على بال وان كان ما هو متحكم فيها بهذه الجهة من أنواع الفشل هو من قبيل آخر وذلك أن الاقطار السودانية التي لم تزل من منذ الاعصار الخالية لغاية ذلك العصر تحت طاعة الدولة الفرعونية انكشف غبارها وبان على حين فجأ من الزمان في أثناء ذلك الاوان عن مملكة منتظمة ودولة مستقلة وصار ليس لمصر يد عليها ولا بها أحد من الولاة الذين كانت ترسلهم الدولة المصرية اليها من مدينة طيبة ومدينة منفيس لتنفيذ أوامرها فيما وراء السلاطات وكانت تستعملهم على تلك الجهات بلقب ولادة الاقاليم الجنوبية أو ولاية الايتيوبية من لدن الدولة الفرعونية كما سبقت الاشارة اليه ولم تخرج فقط بلاد الكوش (الزنج) عن طاعة الدولة المصرية الى سعة الحرية بل تعدت صولتهم وامتدت غلبتهم في عهد العائلة الملوكية الثلاثة والعشرين على الاقاليم المصرية الاصلية وبلغت من نواحي صعيد مصر الى نحو اقليم المنيا حتى صارت تلك النواحي

كلها في ذلك العصر كما أنها اقليم من مملكة السودان
وبعد العائلة الملوكية الثالثة والعشرين جاءت الرابعة والعشرون قال
القيس ما يتون وهي عبارة عن ملك واحد يقال له بوكوريس وقد حكم
مسافة ست سنوات فان قيل يا اهل ترى الملك بوكوريس المذكور كان قد
توفق لطرد طائفة الكوش من اقاليم الصعيد وانما كان فقط من جملة
ملوك الطوائف المتغلبين على الاقاليم البحرية فجمعها كلها تحت قبضته
أم كيف كان الحال قلت لم ينقل لنا عن المؤرخين المتقدمين شئ البتة
في هذا المعنى لغاية الآن وانما المحقق لنا هو أن الملك بوكوريس هذا
لم يعض من عهد استيلائه على سرير الملك الا بعض سنوات قلائل حتى نزل
اليه من وراء الشلال بعض ملوك دولة السودان المدعو سابا كون فقاتله
واستولى عليه بالاسر وألقاه في النارجيا وبذلك تم له عليه التفرغ وتمت
للملك السوداني على مصر العكزة في هذه المرة فطالت يده عليها الى البحر
الابيض وأدخلها تحت طاعته وضمها الى دائرة دولته فانظر الى الحال
كيف انقلب وتبصر للغالب كيف انقلب وأين نحن في ذلك اليوم من
العصر السابق وهيئات هيئات لتلك الاوقات أين عهدنا بالغزوات
العظيمة والوفائع الحربية الجسيمة التي كان قد فعلها الفراعنة
التوحيسون مع طائفة الكوش هذه وما أبعدنا عن عصر الجزية التي
كان فرعون مصر اذا اتصر عليهم كلفهم بها مع الاحتقار ونايهم باللقاب
مع غاية الذل والصفار فيدعوهم بالاسافل ويسمهم برعاع القبائل أما
ان طائفة الكوش هذه هي التي تغلبت في ذلك العصر على مصر وجلس
صعاليكها على سرير الفراعنة العظام والملوك الكرام كالامونوفيسين

والرئيسيين يرتعون في مراتعهم الجديدة ويتمتعون بقصورهم
 المشيدة وهي قرية العهد بآثرهم مملوكة بمفاخرهم
 ثم انه يملوك الطائفة الايتيوبية المتغلبين على الديار المصرية تنهى
 العائلة المالوكية الخامسة والعشرون

وقد ذكر أهل التسجيلات التاريخية والسير المصرية أنهم أقاموا على
 كرسي المملكة بمصر خمسين سنة من سنة ١٣٣٧ الى سنة ١٤٨٧
 قبل الهجرة (من سنة ٧١٥ الى سنة ٦٦٥ قبل الميلاد) وكان
 آخرهم بمصر يسمى الملك تهراسكه ولم يزل حاكما بالديار المصرية مدة ست
 وعشرين سنة حتى تعصب عليه اثنا عشر كبيرا من أكابر الاهالى
 المصريين فأخرجوا الايتوبيين (الزنج) من الاقاليم المصرية البحرية
 واقتسموا فيما بينهم جميع الاراضى الاهلية التي تيسر لهم أن يظفروا بها من
 اظفارهم الى اثني عشرة حكومة صغيرة تقلد كل منهم ملكا على واحدة منها
 ومن غريب الاتفاق أن الديار المصرية رجعت في آخر عهد غلبة السودان
 عليها الحال التي كانت عليه في أول ظهور الملك سابا كون بها اقتراما من
 جهة الشمال بحكومة بحكومة اثني عشرية من أكابر الاهالى المصريين
 المتحالفين وربما كانوا من طائفة الماسواس السالفة الذكر ومن جهة
 الجنوب ترى اقاليم الصعيد مرة ثانية في صورة اقليم واحد في يد الدولة
 الايتيوبية بعد في جلة اقاليم المملكة السودانية كما كانت في أول عهدا
 وكان الحاكم على اقليم الصعيد في هذه المرة الثانية من ملوك السودان
 بالثابة المذكورة هو الملك المسمى بياغنى وزوجته الملكة امونوري تيس ولها
 تمثال عجيب محفوظ بجفزانة الاثارة القديمة ببولاق ولما ستمت مصر من

تغلب الاغراب عليها أرادت أن تعود لما كانت عليه من التثبيت بالانقياد
للحكومة الاهلية والدولة الاصلية ووقع بها في أول مدة حكم الملك
المسمى ايساماتي كوس من ملوك العائلة الملوكية السادسة والعشرين
مثل ما اتفق لها في آخر مدة العائلة الثانية والعشرين من تسطن ملوك
الطوائف الاهلية بالاقليم البحرية مع ترك جهة الصعيد في يد الملوك
الاجانب كما أسلفناه وكانت مدة تسطن الاثني عشر ملكا اهليين
المخالفين بجهة البحيرة خمس عشرة سنة ويحكى أن بعض الكهنة بذلك
العصر كان قد أخبر بأن مصر ينتهي أمر دولتها بقسامها الى من يشرب من
هؤلاء الملوك في اناء من النحاس وكانوا قد اجتمعوا في بعض مجالس الشرب
بعض الولاة الدينية ولما آنأ وان التعاطى ناولهم القسيس الاكبرأ واني
الذهب التي كانت عادت لهم التعاطى بها في مثل هذه المواسم ولم يتيقظ لعدد
الملوك الموجودين فأتاهم بأحد عشر اناء فقط وكان الملك ايساماتي كوس
هو الذي بقي بلا اناء في يده فتناول المشروب في مغفره وكان من النحاس
ففسده على ذلك سائر الندماء وتضوه في الحال في بحيرة من بحيرات الوجه
البحري وأراد أن ينتقم منهم فأرسل يسأل الكاهن ماذا يكون فقال له ان
الذي يتقذه رجال من النحاس يخرجون من البحر فاستغرب ذلك أولا
ثم لم يمض الا مدة يسيرة حتى خرج من البحر على سواحل مصر قوم من
اليونان كانوا قد أدركهم الغرق فخرجوا من المياه على بعض المصريين
بالسواحل وعليهم الزرد فبادر رجل مصري الى الملك ايساماتي كوس
ولم يكن شاهد قبل ذلك رجالا متدريعين بالزرد على هذه المثابة وقال له ان
رجالا من النحاس قد خرجوا من البحر ينهبون البلاد ولصكونه اقتكر

ان خبر السكاكن قد تحقق بذلك باذرا الى جماعة اليونان المذكورين
وأكرمهم ووعدهم بالعطاء الوافر والعز المتكاثر وتحالف معهم على أن
ينصروه فلما انما حازوا الى عصبته وصاروا من جماعته مع أصحابه
المصريين الذين بقوا معه منقادين وعلى عهد باقين لاقى بالجميع
أعداء الملوك الاحد عشر المذكورين فقتلهم وخلعهم عن أسرة
ملكهم ثم التفت الى طائفة الايتوبيين فقطع دابرهم ومزق شملهم
عن اخرهم وأخرجهم من البلاد واستولى وحده على جميع المملكة
المصرية وأرجع لمصر أراضها الاصلية التي كانت بأيديهم من البحر
المتوسط الايض لغاية الشلال الاول ثم ان العائلة الملوكية التي الملك
ابساماتيكوس هذا هو أول ملوكها هي العائلة السادسة والعشرون
في ترتيب القسيس مايتون كما سبق ذكره وما يشاهد من الاطلال القديمة
بالقرب من الناحية المعروفة في عصرنا هذا بناحية صالجر هي اثار
المدينة القديمة التي كانت اتخذتها هذه العائلة تحت المملكتها وكانت
تسمى في ذلك العصر بمدينة سيس

وقد يستدل ببعض علامات على ان الملك ابساماتيكوس لم يكن مصري
الاصل قال بعض المؤرخين ولعله الاشبه بالحق ان أصله من الطائفة
المسملة ما سواس التي كانت قد جعلها بعض الملوك السابقين قبل تلك
المدة ببعض قرون فرقة العساكر الخاصة من الجنود المصرية واذا صح
ما ذكر كانت العائلة الملوكية السادسة والعشرون ليلية الاصل (من أهل
برقة) ومع كون هذه العائلة من الاغراب فقد أوردت الديار المصرية
السعادة والرفاهية مسافة مائة وعشرون وثلاثين سنة ثم هي وان لم تنجح

في كل ما سكنت شرغت فيه في الجهات الخارجية من المشروعات
الحربية بقصد استرداد شهرة مصر الاصلية وبهجتها الاولية حيث ان
الملك ايساماتي كوس هم باقتراح بر الشام فصدت عن ذلك بمدينة حاصرها
تسعة وعشرين سنة ولم يتفوق له الاستيلاء عليها وتثبت الملك نيكاوو
المدعو ايضا فحوس أحد خلفائه باسترجاع ما كان للديار المصرية من
السلطنة القديمة على البلاد الكائنة فيما بين دجلة والفرات فلم يقدر
على ذلك ايضا بل لاقاه الملك بحتنصر وقاتله فهزمه بمدينة كركيش ولم ينج
منه الا بالفرار وكذلك ابريس أحد ملوك هذه العائلة الذين جاؤا من بعده
بعث البعوث الى بلاد القيروان ليفتحوها فلم يصادقوا الا الهزيمة عدة مرات
وقتل منهم خلق كثير واذا كان الحال على ما ذكر فان الديار المصرية في عهد
الملوك من ارباب دولة مدينة سيس قد انكسفت شمس بهجتها الحربية
بعد ان كانت قبل ذلك بالفسنة تامة الابهاج في سائر الاقاليم عامة
الاشراق على العالم بتمامه غير ان هذه العائلة وان كان الحال كما علمت
قد جبرت خذل كسفتها من عدم النجاح في الخارج بما اجتهدت فيه
في الداخل من التعشق بالفنون والصنائع وبما أبدته من العناية باقامة
الهياكل القديمة بعد ان دراسها واحداث معابد أخرى جديدة بقوة
أفقاسها فانها قد شيدت لمدينة سيس كرسى دولتها من الابواب الكبيرة
ما شهد له المؤرخ هيرودوت بأنه لم يشاهده قطيرا يسائر الديار المصرية
ولكن هذه المدينة الشهيرة قد اندوست مع ابوابها المحكي عنها بالكلية
ومن دلائل ما أبدته العائلة الملوكية السادسة والغشرون أيضا من العناية
بمساعدة مادقا القدين ونشر أسباب العمارة والتحسين ما حصل من

خلفاء الملك ايساماتي كوس من بذل المجهود في فتح أبواب الرواج للتجارة
 البلدية والصناعة الاهلية يبلاد العرب واليونان وبترا الشام وسواحل
 البحر المتوسط الايض نعم ان الملك فخرس خاب سعيه فيما كان قد شرع
 في من اعادة الخليج الذي كان قد قصه الملك سيتوس الاول بين نهر النيل
 وبحر القلزم من قبله ثم ارتدم الا أن أهل التاريخ لا يسعهم الا أن يشوا
 الثناء الجليل على الدوام ويبدوا الشكر الجزيل على عمر الايام لهذا الملك
 العظيم حيث تعلقت همته وانهقدت عزيمته على تحصيل ما هو بالنسبة
 لحال ذلك العصر من قبيل الاقدام على العظامم والاقبال على الامر الهائل
 وذلك ما ثبت عنه أنه كان أول من جازف بتفسير جلة سفائن توجهت من
 بحر القلزم فاخرقت من البحر المحيط الهندي مجاهل لم تكن معلومة لاحد
 من العالم في ذلك العصر وجازت الرأس المسمى بونسبرانس (رأس عشم
 الخريف) وسارت تقفو السواحل الغربية من افريقية حتى مرت ببغاز جبل
 طارق وعادت الى سواحل مصر من البحر المتوسط الايض بعد أن
 استغرقت في هذه السفرة البحرية مسافة سنتين وأما طريق السياسة
 والتدبير التي كان يسلكها ماولا العائلة الملوكية السادسة والعشرين
 بالنسبة للمخاطبات مع الدول الاجانب والملل المجاورين للديار المصرية
 في ذلك العصر على وجه العموم فهي ما اعتنى به فراعنة ذلك العهد الاعضاء
 التام واهتموا به غاية الاهتمام من فتح أبواب الديار المصرية لساير
 الوافدين عليها وجميع الواردين والمتريدين اليها من كافة الملل الاجانب
 لاسيما اليونان حتى أدخلوا في مدارسهم من شبانهم مقدار اوافرا تعلموا
 فيها اللغة المصرية وأباحوا حتى مصر لا تشار ما كان جاريا في ذلك الوقت

من طوقان الافكار الفلسفية وثبثات الحزبية التي كانت أمة اليونان في أهل ذلك العصر رأس دعائها وأول سعاتها وظن الملوك من أرباب عائلة مدينة سيس انهم بذلك انما يحبون من موات الديار المصرية العظم الرميم ويعيدون للدولة الفرعونية المنهزمة شيئا من شبابهم القديم ويحدثون فيها بهذه الوسطة طريقا جيدا للسلوك على الصراط المستقيم مع أنهم في الحقيقة بذلك انما أوجدوا في داخل بلادهم من حيث لم يعلموا سببا اخر للتلاشي والاضمحلال وأوجبوا به من غير أن يشعروا على شواطئ النيل مقتضياتا للفشل والاختلال وذلك أن الديار المصرية بما هو قائم بها من صفة العناقة البليغة وقضية الثبات العجيبة والتؤدة الغريبة التي كانت توصلت بها إلى أعلى درجة التقدين وتحصلت على نهاية صلاح الحال والتحسين كانت غنية عن اقتباس النور من الغير وليست محتاجة لسواها في اكتساب مناهج الخير بل كان يرى أنها ولا بد تفقد بعض من أياها بالاختلاط على وجه المباشرة مع مذهب طائفة اليونان في ذلك المذهب الذي هم عليه ولا زالوا يخرجون اليه من طريقة الترقى والانتقال من حال إلى حال ويدعونه بمذهب التقدم في القدن والتكامل في التانس وكان لا يخفى على أهل القراصة والنظر أن يدركوا أن اليونان متى وضعوا أقدامهم بالديار المصرية فهم منها لا يخرجون وعنهم لا يرجعون وأنه متى تصادم بمصر القوتان واجتمع الضدان فلا بد وأن تغلب احدهما على الاخرى وتورثها ولو بعد حين اعدا ما ونكرا هذا وقد عرضت على مصر في ذلك العصر أيضا على حين فجأة مصيبة كبرى وداهية طامة أخرى أخرت وقت ظهور طائفة اليونان بها ومادة

استيلائهم عليها قليلا من الزمن حيث اعتراها كذلك من غلوار من الفتن
ما ترتب على ظهور طائفة أخرى فيها وهي آتة لم تكن انفصلت بالكلية
عن حالة الوحشية بل كانت متوسطة الحال بين البسداوة والحضارة
خربت على الديار المصرية من سهول الجزيرة بين دجلة والفرات التي
كانت مصر لم تزل تنظر إليها بعين الاطماع فأقبلت بجنودها وكان الملك
قبضوس المسمى أيضا قنيساش بن كيروش أو قيروس يقودها ومعها
كثير من القبائل الاتباع والجوع الكثيفة من الرعاع ولمامة سائر
اللبساق وبعد أن أدخلوا تحت طاعتهم مدينة شستر ومدينة بابل
وقهروا أهل الشام على أن يؤدوا لهم الجزية وصلوا الديار المصرية بعد أن
استولى عليها آخر ملك من ملوك العائلة الملوكية السادسة والعشرين وهو
الملك ابساما تيكوس الثالث ستة أشهر فقط فقابلهم الملك ابساما تيكوس
المذكور والتقى معهم عند مدينة يلاوز (وهي من ثغور مصر المعروفة في
التورات بلبنة والآن هي تينة وتعرف عند العرب بمدينة قامية أو فرمة)
ودافعهم بغاية جهده فلم تنفع اجتهاداته شيئا وظفر الملك قنيساش عليه
فبثد شمله وأباد جمعه ودخل الديار المصرية بجنوده منصورا واختطفها
عنوة من يد أربابها الأصليين ووضع يده عليها دون ما ذكها السطحيين
وصلت من جهة آتاليم السلطنة الفارسية وذلك في سنة ١١٤٩
قبل الهجرة (سنة ٥٢٧ قبل الميلاد) فلما حصل عليها أقام بها أولا
مساخة خمس سنوات في دعة السلم ولم يتهك في ابتداء الأمر حومة
معبودات المصريين كما دل على ذلك القتال الموجود برؤية الباطنيان
جدينة رومة وعليه نقوش تتضمن كتابات بالقلم المصري القديم ترجعها لثنا

من اللغة الاصلية الى اللغة الفرنسية جناب ليصككتب دودويجه
 السالف المذكور يل فعل الملك قنيساش في أول أمره بحصر ما هو أعلى من
 ذلك همة وأرفع رتبة وهو أنه اختص ببعض مشايخ الديانة المصرية
 يأخذ عنهم ما اشتهروا به من علوم المصريين ومعارفهم وكانت جنود
 الفرس لغاية ذلك الوقت لم تزل موسومة بسمة النصر عليها شعائر الفخر
 ثم تراكت عليها المصائب وتراجت عليها دفعة واحدة جميع البلايا
 والنوائب فانه أولا لما بعث جيشا عظيما لغزو أهل مدينة كرتاجه
 بسواحل افريقية اتككب عسكره ووجع مهزوما وأرسل جيشا آخر
 للاستيلاء على الواحات آمون من جبال برقة الغربية التابعة للديار
 المصرية فخاتمهم الادلاء وأضلواهم عن الطريق حتى نفذت أزوادهم
 وذخائرهم وتاهوا في العمارى بتلك الجهة وهلكوا جميعا ولم ينج منهم أحد
 مطلقا وتوجه بنفسه الملك قنيساش بعسكر كبير الى بلاد السودان بقصد
 الفتك بها والاستيلاء عليها فلما سار بعض مراحل في الصحراء الفارقة
 بين مصر وبلاد السودان نفذ زاده قبادر بالاياب والرجوع على الاعقاب
 وحيث خاب سعيه بماتابه من النوائب الثلاثة المذكورة غضب على مجس
 غضبا شديدا فخرّب الديار وأفسد ما فيها من العمارات والآثار على
 طول طريقه وهو آيب من هذه الرحلة من اسوان الى مدينة طيبة ومنها
 الى منفيس على ما قيل وأتلف الهياكل ومحال المعابد والمعاقل وفتح
 القيور واستلب ما فيها من النفائس والجمائل وصادف يوم قدومه
 بعيثة منفيس يوم عيد للمصريين فتوهم ان ما يراه حوله من شعائر الفرح
 والسرور الاهلية وما يجمع من بشائر الموسم الرجعية إنما هو تشمت

بمخالقته من انحرزاه وتعتت بمالاه من عدم الفوز بمرامه فاستشاط
 غضبا وازداد حقا على ما كان وظهر أثر ذلك بمصر في كل مكان
 وأصاب المصريين بجبره من أعظم المصائب ما أسال منهم الدموع
 السواكب ثم أدركته بمصر الوفاة وأراحهم الله منه بالمات وموته
 وان ترتب عليه انقاذ المصريين من غائلة الضربات التي كان قد أمر بها
 قبل ان أدركته الوفاة الا انه كان سيال للزلزل دولة الفرس بمصر وتقلقلها
 في ذلك العصر حتى جاء الملك دوريوس اودارا الاول أحد خلفائه وبذل وسعه
 في أن ينسى المصريين ما نابهم من غشامة سلفه بما أبداه من حسن السيرة
 والتدبير والرفق بالرعية في سائر الامور وهيئات هيئات كيف تنسى هذه
 النكبات أو تنسخ الاحقاد والضغائن من البواطن والسنة آثارا لخراب
 المتراكمة من عهد قبيشاش تفصح عن تلك الآلام وتصرح بالانتقام
 ومن ثم لم يمض من تلك المدة وقت من الاوقات الا وقد قامت فيه على
 الدولة الفارسية من الاهالي قيامات وتحركت منها حركات انتقامات تدل
 على ان الديار المصرية لم تنس ما حصل لها من لدن دولة الهجم من الاسآت
 والمضرات وكانت كل مدة هذه الدولة بمصر وهي مسافة ١٢١ سنة
 عبارة عن اطاعة من طرف الاهالي ظاهرة يتخللها قيامات متكررة
 ويقابلها من لدن جماعة الفرس القمع كلما ظهرت والسد بالحسم والقطع
 كلما انفجحت وهكذا كانت الديار المصرية على هذا الحال الى أن نصر الله
 المصريين على طائفة الهجم وحلت بهم منهم النقم فقرت الاجسام هاريز
 وتركوا البلاد لاربابها الاصليين ومدة عهدهم بمصر هي المبرعنه بالمعاليه
 الملوكية السابعة والعشرين وهذا اخرها

ثم في مدة العائلات الثلاث التي تلها وهي الثامنة والعشرون الى الثلاثين
وقد مكنت سبعا وستين سنة اجتهدت الديار المصرية في جبر خلل
المصايب التي اعترتها بظلم هؤلاء الطلبة الاجانب وبقيت دولة العجم
باسترجاع الديار المصرية لحوزتها بالناس متعلقة الآمال مشغلة البال
تنهز للظفر بها الفرصة اذ لم تزل لانفلاتها من يدها في أشد غصة وتمكنت
العداوة بين الطرفين وتجهزت التجهيزات الحربية الهائلة والاستعدادات
الجهادية الغائلة من المملكتين وحصلت المصادمة معاً من الجهتين
الآن الاقدار قضت بخذلان الجيوش المصرية أيضاً في مدة ملوك العائلات
الملوكية الثلاث المذكورة فان الملك نكتنبو الاول أحد ملوك العائلة
المتقمة للثلاثين منها وان كان قد ظفر في أول واقعة بطائفة العجم وتوفق
لطرده بعض قوادهم عن تغور الديار المصرية من الاقاليم البحرية وكانوا
قد تغلبوا عليها الا انهم بعد ذلك ظفروا بخلفه المسمى نكتنبو الثاني في عدة
وقائع أخرى متوالية واتصروا عليه بجملة نصرات متتالية بمدينة ييلوز
ومدينة بوباستيس (ولعلها المعروفة الآن بناحية بسطه) وبمدينة
منفيس أيضاً واضطر للاذعان لكثرتهم والهرب من سطوتهم فقرأ امامهم
الى جهة السودان وترك الديار المصرية في قبضة طائفة الفرس بالشان
وبانخفاض دولة الملك نكتنبو الثاني المذكور انخفضت دولة الملوك
المصرية القديمة الى حيث لم تسد بعد وبانقراضه انقرضت ذرية
الفراعنة العتيقة الى حيث لم تعد لغاية هذا العهد
وليس لنا عظيم شئ يذكر ولا جسيم خبر يؤثر عن ملوك الفرس الذين
ظهروا بالديار المصرية ثانياً مرة ونعبر عنهم في عداد العائلات الملوكية

المصرية حسب ترتيب القيسيس ما يتنون بالعائلة الحادية والثلاثين فانها
 لم تقم على سرير الدولة الفرعونية الامسافة ثمان سنوات حتى ظهر في مدة
 حكم دار الثالث عليها الاسكندر الاكبر وماذا عسى تقدر مصر أن تفعل
 لمقاومة شدة وطأة البطل المقدوني وقد أنهم صكت منها الحادثات السابقة
 أكثر قوتها وأهلكت من أهلها أغلب حنكتها وصارت سهلة التناول
 ليد غير المتناول فضلا عن يد المتناول ولذلك لما لقيت من ثقل غلبة
 الهجم المشقة والنصب وأصبحت من ظلمهم في غاية التعب مدت يدها
 للاسكندر امتداد يد الهاوى في مهلكة لمن يتقدم من العذاب الاكبر وأنت
 خير مما أومينا به آنفا اليك ومما ألقينا من القول سابقا عليك بأن
 الديار المصرية بعد أن نالت عليها حوادث الحداث وتعاقب عليها تغيرات
 الأزمان فجعلتها تارة ايتيوية (زنجية) في عهد العائلة الملوكية الخامسة
 والعشرين وتارة ليبية (برقية) في عصر العائلة السادسة والعشرين
 وتارة أخرى فارسية في متاق العائلتين السابعة والعشرين والحادية
 والثلاثين ها هو قد آن الاوان وحل الاجل الموعود من قبل بزمان لان
 صارت كذلك يونانية بحلول دولة اليونان حسما جرت به عادة الله سبحانه
 في خلقه من تداول الايام بين الناس وتبادل كرات الحرب من النصر
 والغلب تارة لهؤلاء وأخرى لآخرين على حسب القياس

وهنا انتهت مدة الدولة المصرية الحادية أو عصر الجاهلية الاخيرة وقد
 أقامت على سرير الملك ١٢٧١ سنة وآن أوان الكلام على عصر
 اليونانيين بمصر في ضمن الباب الآتي بالخصوص

(الباب الرابع)

فيما يتعلق بعصر اليونانيين بمصر وهو عبارة عن مدتي
العائلتين الملوكتين الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين

كان الاسكندر الاكبر اول ملوك العائلة الملوكية الثانية والثلاثين بمصر
وكان قدومه الديار المصرية سنة ٣٥٤ قبل الهجرة (سنة ٣٣٢
قبل الميلاد) وكانت مدة حكمه قصيرة الا أنه تيسر له مع ذلك ان اختط هذه
المدينة العظيمة التي سميت باسمه وبقيت على هذه التسمية على عجز الاعصار
وتوفق أيضا بمجرّد وصوله لشواطئ النيل ان استعمل بدو حكومته فيها
بتأسيس مذهب نفيس من حسن السياسة والتدبير ومنهج جاد من
جودة ادارة الامور وهو ما نشره وعلى رؤس الاشهاد أشهره وفي ذات
صبيحة اليوم الذي حضر فيه أظهره من سلوك طريق الاباحة العامة
والرفق بالرعية الخاصة والعامة حتى ترتب فيما بعد على اتباع هذا المسلك
المستقيم واتخاذ هذا المنوال الحسن القويم الذي اقتدى به خلفاؤه
فيه وصارت دولة اليونان بمصر الى آخر عهدها تقتضيه ان أعقب ما كان
قد اعترى الديار المصرية في المدد السابقة على هذا العصر من الايام الصعبة
والليالي السود مدة فترة من التعذيب تبلغ ٢٧٥ سنة كانت عليها أيام
دعة وسعدوا أعوام راحة كأنما كانت فيها مصر في غفوة مهد حيث أبقى
المصريين المغلوبين بهما كانوا بالقانون من دياتهم الاصلية وعواندهم

الاهلية وقتونهم وصنائعهم ولغتهم وطريقة كتابتهم وتعهد الاسكندر
 الاكبر لاهل مصر بهذا العهد من تلقاء نفسه في عين يوم الفتح حتى نتج منه
 في مادة تحسين احوال البلاد غاية المصلحة ونهاية النجح ومن المعلوم
 ما حدث لهذا البطل المشهور من موت القبطا وهو في وسط نصراته
 وعز غزواته وكيف خلفه على سرير ملكه واده الذي واده من بعد عماته
 المسماة بالاسكندر الثاني وكفله بالديار المصرية عمه المسماة فيليبش اريدى
 ومن المعلوم أيضا ما حصل في تلك المدة من ان تلك ولدا الاسكندر الاكبر
 وأخيه الذي كان سريع الزوال لم يمنع قواده من اقتسام اقاليم سلطته
 وكيف اختص أحدهم وهو المسماة بطليموس بن لاغوس بملكة مصر
 وحيث تقرر ذلك فقد علمت انه باستيلاء بطليموس المذكور عليها انقضت
 العائلة المالوكية المقدونية الاولى بمصر وأعقبتها العائلة الاخرى من
 العائلتين اليونانيتين وهى الثالثة والثلاثون المعروفة بالملوك البطالسة
 أو البطليموسية نسبة لمؤسسها بطليموس بن لاغوس المذكور
 ولا فائدة في استقصاء احوال ملوك هذه العائلة المالوكية وبيان ما يتعلق
 بمدة حكم كل منهم على حدة وانما نقول انهم جميعا كانوا يدعون بطليموس
 باسم جدهم الاعلى وسائر نسائهم أسماءهن منحصرة في كل من هذه الثلاثة
 الاسماء وهى قليوبطره وبرنيس وأرسنوه وبالجملة فان تاريخ مصر
 في عهد هؤلاء الملوك الاغراب لم يكن فيه تلك المغناطيسية القوية التى
 لم تزل تجذب القلوب اليها اذا اطلعت على سيرة مصر القديمة في عهد
 الفراعنة الاولين حين كانت الديار المصرية لها مرتبة اول سابق في حلبة
 ميدان الالم وكان الفراعنة السابقون لم يزالوا يقاتلون وهم فرسان ذلك
 الميدان

الميدان وحائزو قصبات السبق في الرهان ويدافعون في سائر الاقطار
تارة في الجنوب وتارة في الشمال عما كانوا قد حازوه من منزلة التمدن
الانسانية الكامل وفضيلة التأنس الذي كان على فضل كل ما عداه قاضل
وكان كانه روح وهؤلاء الفراعنة هم بحسبه وجبروته أولاهوت هم ناسوته
وأما في عصر البطالسة فكانت قد نزلات مصر عن هذه المرتبة العلية
وفقدت ما كان لها على سائر الامم من الاعلوية وذهبت مصر التي كانت
في عهد الفراعنة التوتيميين تتفرد العالم بتمامه وتحتضن برناميه وبرزت
في عصر البطالسة بدلا عن مصر الاولى مصر حادثة سواها في منظر آخر حقير
ووجه صغير وصارت تاريخ مصر في هذا العصر يردف بعد تاريخ اليونان
كالذيل المسحوب ويفتخر خلفه كالجنيب وحوادث هذا العصر السياسية
ووقائعه التدبيرية انما كانت كلها عبارة عن مزاحجات على سرير الملك
ومخاصمات نسوانية لا غراض شهوانية أدت في كثير من الاحوال
الى قتل وسفك وعن بعض مجاهدات يسيرة بقصد الاستيلاء على بر الشام
والجزائر الشرقية من البحر المتوسط الايض أغلبها لا فائدة ولا عاباً اثره
مقتضرة هذا ومع ما علمته من انحطاط درجة البطالسة بالنسبة للفراعنة
السابقين فانهم لا زال لهم على ديار مصر ما ترجيلة وبعض وجوه من
انخيرات جليلة ولهم من حسن السيرة ونباهة الذكر ما يستحقون أن
يتطموا به في سلك الشرف والاعتبار بين سائر ولاة الامور بتلك الديار
وأسباب ذلك من وجوه

الاول هو السلوك على وتيرة واحدة في طريق الاباحة العمومية والرفق
بالرعية الذي ذكرناه آنفا فانهم بدلا عن أن يكلفوا الرعية بعوائد اجنبية

توغر عبودهم وقصلهم على العصبان على ولاقأموورهم أبقوهم على
عوائدهم القديمة ورسومهم المألوفة لهم وتحصر أهل الدولة مع الالهائي
المصريين مع بقائهم على ما هم عليه من صفة اليونانية لقي كانوا لازالوا بها
يوسعون وكانوا بذلك يقتضرون أليس في ابتنائهم لمدينة ادفو من أصلها
أبهيح دليل على ما أبديناه وحسبك ذلك ما ذكره المؤرخون من أن أحد
البطالسة توجه في غزوة الى نهر الدجلة وخاب سعيه فعاد منها ومعه أكثر
من خمسة وعشرين ألف سنم عما كان قد استلبه الملك قنيساش ملك
فارس من الديار المصرية واستعصبه معه الى ذلك الطرف في الملة السابقة
أليس هذا أيضا من الأدلة على ما قلناه

السبب الثاني وهو أقوى من الأول فيما اكتسبه البطالسة من الاشتهار
والترن باسمهم من الشرف والاعتبار هو أنهم كانوا في عصرهم أولداع
وأكبر باعث وساع على استحداث حركة عقلية كبيرة كان مركز دورانها
بمدينة الاسكندرية وقد نتج منها بعدهم أعظم النتائج لآحوال الديار
المصرية اذ من المعلوم أن أحد هؤلاء البطالسة كان هو الذي أمر القيس
ما يتون المقدم ذكره بتأليف تاريخ وطنه باللغة اليونانية وفي عصره ملك
آخر من ملوكهم حصلت ترجمة التوراة وكتب اليهود المقدسة من اللغة
العبرانية الى اليونانية وهذه الترجمة هي المعروفة بترجمة السبعين وتظهر
في عصر البطالسة من التأليفات العظيمة والاقتراحات العقلية النفيسة
ما هو أعلى طبقة من ذلك وكان هو السبب الأقوى لاشاعة شهرتهم وحسن
ذكرتهم فانهم هم الذين جعلوا خزانة الكتب الشهيرة بمدينة الاسكندرية
التي يقال انه كتبها بأربعة آلاف مجلد تتضمن جميع العلوم والمعارف

وحائراً أنواع الآداب التي حكمت عند وصل إليها عقول الأمم السالفة من
الرومانيين واليونانيين والهنود والمصريين وفي عصرهم أيضاً كانت قد
وبعدت بالاسكندرية خزائن الكتب والفرائد المعروفة عند العرب برواق
الحكمة التي اشتهرت بأنها كانت أول مدرسة للعلوم والمعارف
في العالم بقلعه ولقد كانت حرية بذلك وبالجملة فقد كان ملوك البطالسة
قد جعلوا مقرسولتهم مورداءاً ومنهلاً عمداً للواردين والمتريدين من
النصريين واللغويين والعلماء في سائر أنواع العلوم والفلسفة وجميع
أرباب العقول المستورة الموجودين في عصرهم وأسسوا بذلك مدرسة
الاسكندرية التي نازعت الديانة النصرانية في أول ظهورها بعد ذلك بمدة
قرون في أقطار الدنيا بقلعها وإذا كان الحال حسبما اتضح فقد علمت أن
ملوك البطالسة وإن كانت أنفاسهم ضعيفة من حيث مادة المخالطات
السياسية والعلاقات التدبيرية مع الدول الأجنبية ومن حيث
مادة الغزو والجهاد فقد جعلوا أنفسهم في أعلى طبقة من الاشتهار وأرفع
رتبة من الفخار بتعشقهم في مواد العلوم والآداب حتى كان ذلك كان
دأب ذريتهم وصحية طاعتهم والباعث الأقوى لمعالي همهم إلى أن
جاء أحدهم المسمى اسكندر بطليموس ولم يعقب نسلاً فأوصى بالديار
المصرية ومواطني الفراعنة التوتيسيين من الفراعنة الأصلية إلى الأمة
الرومانية كاتماً هي مجرد من ردة فلاحية ثم جاءت بعده من بعض نسل
البطالسة الملكة كليوباترة الشهيرة وكانت من الجمال والحداء في حريته
كبيرة فاستالت باستيلائها بسهر جبالها وغريب احشائها على عقل كل
من قيصريولوس واطاوانوس وكانا من أكبر ولادة الامور وأرباب

الحل والعقد في عمل الرومان في ذلك العهد حتى أعانها على أغراضها من تأخير تنفيذ هذا العقد المشؤم فأخرته الى أجل محتوم وبعد ان أقامت الملكة قليوبطرة المذكورة على سرير الملكة المصرية يحيا بوجودها موات عائلة الملوك البطليموسية أدركتها المنية وجرى من وصية اسكندر بطليموس مقتضاها حسب منطوق لفظها ومفهوم معناها وانسلخت الديار المصرية عما كانت عليه في عهد البطالسة من صفة المملكة المستقلة وأصبحت لا تعد في عداد الملل الا بصفة احدى العمالات وبعض الاقاليم التابعة لسلطنة الرومانين المتسعة التي كانت رومة مقر مملكتها وتحت سلطنتها وكان ذلك في سنة ٦٥٢ قبل الهجرة (سنة ٣٠ قبل الميلاد)

(الباب الخامس)

فيما يتعلق بعصر الرومانين بمصر وهو عبارة عن العائلة
الملوكية الرابعة والثلاثين

لما صارت الديار المصرية وليد دولة رومة استعملت سائر طرق التدابير التي في طاقتها لعدم اقلات هذه الغنيمة النفيسة التي حصلت في قبضتها فرأت ان تركتها على ما كانت عليه من ديارتها الاصلية وفنونها وصنائعها وطريقة كتابتها ولغتها وعوائدها وأصلحت لها بعض هياكل وكانت قد اندرست بل أنشأت بعض معابد أخرى جديدة لعبادة بعض الالهة
البلدية

البلدية وما كان البطالسة قد شرعوا فيه من إنشاء مدينة ادفو ومدينة
اسنا ومدينة دندره وأرمنت اعتنى بتنميتها سلاطين الرومانيين واختط
سلطان رومة المسمى (ادريانوس) منهم في موضع الناحية المعروفة الآن
بناحية الشيخ عبادة (بأقليم المنيا) مدينة حادثة من أصلها وابتنى فيها
عمارات نفيسة كرامة لدمية المدعو (انطونيوس) وكذلك في عهد دولة
الرومانيين بمصر تأسست زوايا ومعابد صغيرة بمدينة كلابشه وجهة ديوت
ودندور (ببلاد النوبة) وزيد في العمارات الجميلة والآثار الجلييلة
الموجودة من عهد الفراعنة بجزيرة البربي (على القرب من اسوان)
ما زادها بهجة وجمالا ولما أمنت دولة رومة من الأهلالي المصريين غوائل
العصيان بمسايرتهم على مذاهبهم القديمة وطرائقهم المألوفة لهم حيث
كانت هي في أغلب الاوقات بواعث القسامات الاهلية والاقتتانات
البلدية تحكمت في أن لا يوضع في المدن محافظون الامن الجنود الرومانية
وأولت عموم أحكام الديار المصرية ليدوال من طرفها يلقب بعامعاء الوالي
العالى أو الخديو الأعظم له اليد العليا في سائر أمور الولاية يتصرف فيها
كيف يشاء بالنيابة عن السلطان الرومانى وقصدت بهذا التدبير المبادرة
بالحلول في أعين المصريين محل ما ~~لو~~ كانهم الاصليين من غير تهديد لذلك
واستعدت بهذه المثابة من وجه آخر استعدادا قويا لقمع العصيان
وقطع مادة الاقتتان واختصت مع ذلك بأن تكون هي الحكومة العليا
فوق ولاية مصر لها عليهم حق النظر في أحوالهم ومراقبتهم والتفتيش
عليهم فلم ~~ت~~كن تطول مدة ولايتهم وكان كل من ارتكب منهم جنحة
ولو صغيرة عوقب بالنفى أو بالقتل وكان من أصول السلطنة الرومانية

وتوابعها المربعة أن لا يتولى الديار المصرية أحد من أرباب مجلس الحكم
والعقد ولأمن عائلات الاشراف وذوي البيوت الشهيرة ولم يكن الباعث
لدولة رومة على سائر هذه الطريقة الاحتقار وعدم العناية بهذه الديار
لما كانت عليه في ذلك العهد من حالة الذل وعدم الاقتدار بل هذا يدل
على أنها كانت تغشى أن يلى مصر حسبا اقتضته ضرورة الاسواق
من ثواب الدولة الرومانية من بغتر بحاسنها مخزين له الاطماع أن ينظر
بها من أظفارها ويستلبها ويستولى عليها ويستقل بها دونها
فلن أردت الاقصاد عن حالة مصر في عصر سلاطين الرومانين كيف كانت
ظننا أنها لا تتصور لعين الراى في تلك المدة الا بسورة بلدة قد انقضت بهيبة
عائلها السياسية البرائية وانتهت علاقاتها الخارجية وبقيت تتمتع
بما يحصل لها من الثمرات الكثيرة والمصولات الغزيرة الناتجة لها من
حسن ادارة ولادة أمورها وبجودة سياستها الداخلية وتديرها وإذا
حسب كان قد حصل في أثناء هذه المسافة بعض وقائع حريجة في الجهات
الخارجية كما نرى بهيوشه لغزو بلاد العرب بترونيوس أحد الولاة بمصر
من طرف دولة رومة وكما نرى العامل المندس سكورا أيضا الى مدينة جبل
البرغل التي كان بها مقر محكمة الاثيوبيين في تلك المدة بقصد تأديب الملكة
المسما كنداسه صاحبة المملكة الكورة حيث كانت قد نزلت الى
اسوان قد غلظتها واستولت عليها وصارت تنازل الى جهة الصيد فتؤذى
البلاد وتوقع فيها الفساد فانما كان نغز ذلك عائدا على الجنود الرومانية
التي باشرت هذه الوقائع الحربية لاعلى ذات مصر حيث لم يكن لها في ذلك
حسب الظن مدخل وقد قتل تلك المدة أيضا بعض قتل داخلية وحوادث

عصيان بالديار المصرية ربما يتوهم منها ان هذه الديار وان كانت قد استأسرتها يد السلاطين الرومانية لم تزل تذكر بفاخر أيامها الاولى فتتلف عليها وتود أن تعود اليها والحال بعكس ذلك خاذاً الذي قبض اسر على ما هو من هذا القبيل كن مرة رجل شامي الاصل من القباطين بمدينة الاسكندرية ذا ثروة يعمل بمعمل له في صناعة ورق الكتابة من النبات المعروف بالبردى والفيلكون (وهو النبات الذي كان يصنع ليكتب عليه الكتب في تلك المدة كلها غداً الآن) فسولت له نفسه ان جمع جيشاً من العساكر بمجرّد ما في ميسرته من أرباح معمله وقام به على دولة رومة ومرة أخرى كان الذي فعل ذلك هو أحد دولة مصر من طرف الدولة الرومانية المدعو أشبلي أراد أن ينهز فرصة ما يدعم نفوذ الامرو والنهي بمناسبة كونه والى الديار المصرية قطع في السلطنة الرومانية ووضع على رأس نفسه تاج السلطنة بمحض من جنوده فجاءه السلطان ديوكليا فوس بنفسه وحاصره الاسكندرية مدة ثمانية أشهر وحرّقها وقتل منها خلقاً كثيراً ولم يكن لنفس مصر في جميع هذه الفتن مدخل ولو كان قد ظفر بمقصوده بعض ذوى الاطماع الآوين اليها لكان قد خرج منها من يملكه رومة وحقبته هي على حالها في الاسترقاق وانما أبدت الديار المصرية في تلك المدة ما يدل على انها لم تزل متلبسة ببعض الحياة في أمم من الاول بوقت ظهور دين النصرانية بها وهل أحد مجهول ما حصل فيها من التعذيب لمن تنصر بوقت ان دعا لهذا الدين بها القديس ماري من قس تلميذ ماري بطرس ومن تبعه بمصر وما أبداه من كل من الطرفين من الحمية البريئة والتعصب لآبائهم النصرانية أحدهما القسرين النصرانية والاخر

لقطع مادة سريانه بالديار الفرعونية

الامر الثانى مادة المذاهب الفلسفية وما كان فى مدة الدولة الرومانية
لمدارس الاسكندرية من التأثير الظاهر والاشتهار المتواتر فان الحق ان
الديار المصرية فى ذلك العصر كانت لم يزل لها السلطنة الى رومة ومملكة
اليونان بمجرد القوة العلمية والشوكة الروحانية التى كانت متحلبة بها فى تلك
المدة ومع ما كان يظهر من آفاق وادى النيل فى ذلك العهد من أنوار العلم
الساطعة وشموس الفهم اللامعة فانه كُن لا يمتحنى الى كل ذى بصيرة ان
الديار المصرية مضى ركبها وانقضى نجمها وعم اختلالها وتم اضمحلالها
فلاترى فى ذلك الوقت من مدينة طيبة وايدوس ومنفيس وهليوبوليس
(مدينة عين شمس) الا آثارا متخربة واطلالا كثيرة وتنازلت مدينة
الاسكندرية نفسها من درجة العظمة التى كانت فيها الى ان صارت بندرا قليم
من الاقاليم المصرية لا غير وأصبحت جميع الديار المصرية فى مدة الدولة
الرومانية لاهمة لها الا بالعناية بمادة فلاحتها ولا تتعلق منها الا مال بنوع
آخر من أنواع المفاخر غير أنها كانت تفرغ وسعها فى ان تكون لمدينة رومة
بمنزلة شونة غلال وتجتهد فى أن ذلك عنها يقال وقد حدثت فى ذلك العصر
من تقلبات أحوال الدول حادثة كبيرة ترتب عليها فيما به ذلك تحويل
أحوال العالم بتمامه وأوجبت على حين غفلة تحويل حال الديار المصرية
بالجمله وهى ان السلطنة الرومانية لمبالغة اتساعها وكثرة اتباعها تفرق
شملها وتمزق أيضا جمعها وانقسمت الى سلطنتين تحت ولاية دولتين من
ملوك الروم احدهما لم يزل مقرها بمدينة رومة والثانية بمدينة القسطنطينية
وكان ذلك فى سنة ٢٥٨ قبل الهجرة (سنة ٣٦٤ بعد الميلاد) ومالت مصر

بطبيعتها

بطبيعتها لان صارت من ضمن دولة الروم المشرقية وتحول ملك زمامها ليد
ملوك الدولة الرومية الكائنة على بؤغاز القسطنطينية وكان ذلك آخر
العهد بها فان دين النصرانية كان حينئذ قد تأسست في بعض جهات العالم
جدرانها ثم اتشسر سريانه شيأ فشيأ حتى وصل المدينة القسطنطينية
ويمكن فيها بنيانه وكانت مصر قد مالت للاخذ بنصيها منه قال اليه أكثرها
ولكن لم يكن قد ظهر فيها بصفة الديانة الرسمية حتى استقر على سرير دولة
الروم بالقسطنطينية السلطان طيودوسيوس فأصدر في سنة ٣٤١ قبل
الهجرة (سنة ٣٨١ بعد الميلاد) الامر السلطاني الشهير عنه بمعنى محو الديانة
المصرية القديمة بالكليية وجعل دين النصرانية هو ديانة البلاد العمومية
وعلى مقتضى ذلك أمر باغلاق الهياكل المصرية وسائر المعابد الاهلية ومحو
اثار جميع التماثيل والاصنام التي كان أهل مصر لم يزالوا عاكفين على
عبادتها ومظهرين لشعائر حرمتها لغاية ذلك الوقت وبهذه الحادثة انعدمت
بالكليية والجزئية حالة الجاهلية المصرية وانسلخت عنها صفة الازلية
وما عهد لها من طول العمر وقضى الامر وصار لحيز العلم أربعون ألف صنم
كانت للمصريين على ما قيل واتهكت حرمة هياكلهم واستهلك صورة
معابدهم وافسدتها يد المحو والطمس وأصبحت كأن لم تكن بالامس
هيئة هذا التمدن العظيم وبهجة ذلك التأنس المصري القديم وأصبحت
لا ترى منها الا اطلال بقيت في مواضعها وأخذت مضاجعها على حسب
اختلاف مصارعها وآثار تناولت بقاياها يد الراغبين وحفظت في
الاتيقيه خانات وخزائن الكف والمستغربات ولم يزل يرغب الناس في
التقاطها لغاية هذا الحين

وكأثرى هاهى قبل ظهور محمد (عليه الصلاة والسلام) بعاتين وخسين سنة
 لا غير قد انتهت هذه الدولة المصرية التى كان قد أسسها الملك مينيس قبل
 ذلك بخمس وأربع مائة سنة وهذا عمر طويل ودهر مستطيل جداً لاشك
 انه من العجب العجائب الذى تحتار فيه عقول أولى الالباب وينبغى ان
 ينسب طول تعمير الدولة المصرية الى حالة العالم التى كانت موجودة فيه
 ولها كما علمت التأثير الظاهر والسطوة القوية عليه أكثر منته الى حالتها
 الذاتية من حيث قواها الخصوصية فان نظام الهيئة الاجتماعية بمصر
 كالصين كان قوامه ليكون من الثبات والسكون على حالة واحدة لا معداً
 للتقدم والانتقال من حال الى حال وما دام لم يصادف في طريقه الأعداء
 حالهم كحالهم من الثبات وعدم الانتقال وجدناه سائر أعلى منواله مستمراً
 على حاله بطريق عجيب واسلوب من السير غريب الى أن ظهر اليونان
 والروم واحذوا في الامم مذهب التقدم والترقى المعالوم فشاهدنا الديار
 المصرية شيئاً فشيئاً وقع حالها واختفى هلالها والسبب في ذلك هو أن
 حال الامم كحال الافراد لا يعيشون بمجرد الخبز والاعذية المادية بل لا بد لهم
 أيضاً حسماً اقتضته الحكمة والنواميس الطبيعية من التمرى على الدوام
 بلذة الاعذية الروحانية ومطاوعة هذه الجاذبية الجبلية التى لا تزال تذهب
 بنفوسهم الى التنقل من حال الى حال وتجذب قلوبهم للترقى على الدوام
 والاستمرار في درجات الكمال والاستعجلهم بحز الشينوخة والهمم
 وصاروا من أذل العبر الى العدم

الكلام على ما يتعلق بمدة النصرانية

لمتركها إلى وادي النيل ما كان يعبد أبائهم الأولون وأجدادهم السابقون إلى التدين بدين النصرانية صار أهل التاريخ لا يدعونهم بالمصريين بل حدث لهم في التاريخ اسم جديد وتسموا من ابتداء تلك المدة بالقبطيين وإذا كان الحال حسبما ذكر كانت طائفة الاقباط عبارة عن التنصرين من ذرية الامة المصرية القديمة التي ذكرنا تاريخها وكانت المدة التي أقام فيها دين النصرانية بصفة الديانة الرسمية في الديار المصرية قصيرة حيث حكمت ما هو عبارة عن ٢٥٩ سنة فقط وهو ما بين سنة صدور أمر الملك طيودوسيس (اعني سنة ٢٤١ قبل الهجرة أي سنة ٣٨١ بعد الميلاد) والسنة التي افتتح فيها ديار مصر بأصحاب محمد (عليه الصلاة والسلام) اعني سنة ١٨ من الهجرة أو سنة ٦٤٠ من الميلاد وكما علمت مما أسلفناه لك في هذا الكتاب كانت مصر في مسافة تلك المدة أولا تابعة لأحوال دولة الرومانيين فلما انقسمت الدولة المذكورة إلى دولتين كانت مصر من حصة دولة الروم المستقرة بمدينة القسطنطينية ومقومتها على ذلك فقد فهمت أن الديار المصرية في مسافة المائتين والتسعين سنة السابقة على افتتاحها بالاسلام كانت تابعة للدولة الروم بمدينة القسطنطينية ثم اعلم أن مصر في تلك المدة وإن كانت قد تركت ديانتها الفرعونية إلى التدين بدين النصرانية فلم تترك لغتها القديمة التي بقيت تتكلم بها من قديم الزمان تلك المدة المديدة والقرون العديدة وإنما اهتمت طريق الكتابة بالقلم المصري القديم المسجلة بالهيراغليفية لما ان ما كانت تشتمل عليه من رسم الأشياء بأشكال اشاراتها وتصوير الاسماء بصور مسمياتها كلن يذكرها بأحوال الجاهلية والعبادات الوثنية واتخذت طريق الكتابة اليونانية

على الحالة التي كانت مستعملة بها حروفها الهجائية في ذلك العصر بمدينة
الاسكندرية ومتى تقرر ذلك فقد علمت ان اللغة القبطية على الحالة التي
هي عليها في يومنا هذا انما هي اللغة المصرية القديمة مكتوبة بالخط اليوناني
استعملت كلماتها في اصطلاحات الديانة النصرانية واعتري بعضها بعض
تغيير وبقي البعض على حاله الاصلية

وبالجملة فلا تظن ان قدماء المصريين تركوا دياتهم الالهية وأصنامهم
الاصلية مرة واحدة في سنة صدور أمر الملك طيودوسيس وانما كان مقتضى
أمر الملك طيودوسيس هذا هو ايجاب اجراء شعائر دين النصرانية على
صفة الرسمية في سائر أقطار مملكته وكما انه قبل صدور هذا الامر كان قد صبا
بعض المصريين للديانة النصرانية فكذلك لم يزل يوجد من أهل مصر بعد
انتشار هذا الامر خصوصا في جهات الصعيد من صمم على البقاء على
عقائد الجاهلية ولم يدخل الابغاية الصوفية في حادث دين النصرانية

ولاحاجة لنا في اقتفاء أثر تاريخ الاقباط هنا في مسافة المدة التي نحن
بصددها فان مصر في خلال هذه المدة ظهرت لآعين الناظرين في منظر
يقبض وتعرضت لجميع العالمين في أسوأ معرض حيث افتقرت بضرورة
الاحوال الى فرقتين دينيتين احدهما فرقة القبط وكان مذهبها الذي مالت
اليه واجعت عليه مشوبا بعقائدها الاصلية التي لازالت تجنح اليها
وتعول عليها حتى حكم عليه بالرفض في جمعية القسس النصرانية المنعقدة
بمدينة كلسدوان (وهي الآن مدينة قاضي كوي على بؤغاز القسطنطينية)
والثانية الجماعة المعروفة بالملكية وهي عبارة عن كل من كان له علاقة بدولة
الروم وكانت ترى ان مذهب الطائفة الاخرى من قبيل الاعتزال فانظر

كم يترتب على مجرد مثل هذه التعصبات الدينية من العداوات الشديدة والمباغضات العنيدة خصوصا وان أمر الجمعية بالديار المصرية كان من قبل في انحلال واختلال وفي الحقيقة ترتب لمصر على هذه الامور ما حكم به عليها المقدور من انهاء في مدة القرنين ونصف القرن التي مضت عليها في مدة النصرانية قاست من الحيات الدينية أهول الهوائيل ولاقت من التعصبات المالية أغول الغوائل من قيامات أهلية في الازقة والحارات واتقامات شهوانية بإشعال النيران في كثير من الجهات وقطع الطرقات في القرى والارياف بكثير من العصب المتظمة ومناسر اللصوص المستعدة وسائر ما يترتب عادة على حصول الفتن الاهلية من البلايا ويعقب المحن الداخلية من الرزايا هذا وكانت الاسكندرية أيضا في تلك المدة مشحونة بالمشاجرات التي لم تخل عن الفتك والسفك لابين اليهود والنصارى فقط بل بين النصارى بعضهم مع بعض أيضا لاختلاف في مسئلة دينية فهمها كل قوم على حسب اجتهادهم وأولها كل جماعة على مقتضى اعتقادهم وقد قدمنا لك ان منظر الديار المصرية من بعد الامر الصادر من الملك طيودوسيوس ليس مما يشرح الصدر ولا يما يروق الفكر فلا نطيل الكلام عليه ولا نعود اليه ولا يسوغ لنا مع ذلك ان نسكت عن التصريح بأن جميع هذه الاضطرابات الشنيعة التي كانت لهذا العصر اسوأ أشعار والاتقلايات الفظيعة التي كانت له أقبح دثار لا ينبغي أن تدرج كلها في سيرتها ولا ان تسود بجميعها صيفتها وانما الذي يجب أن يعزى اليها من ذلك هو انها كانت من أعظم جهات العالم التي كانت حين ذاك في أنواع هذه المفاسد مشتركة. واحد رجات الدنيا التي كانت في هذه الأحوال ~~أكثر تناولا~~ وحركة.

تقبول ما بلغ الغاية القصوى والنهاية العليا في سائر البلدان من الخلط
 في مادة مخالطات الام ومادة الاديان وكانت الحماظها في ذلك العصر على
 الدوام متلفسة لجهة القسطنطينية حيث ترى فيها أرباب الدولة التي هي
 تحت قبضتها وتظهر فيها القدرة على كل شيء التي يدها أمر سعدا وشقاوتها
 فاقبذت من ماولة الروم في ذلك بفتح ما و ~~ص~~ كهم والناس كما يقال على دين
 ما و كهم فان دولة الروم بالقسطنطينية في ذلك العصر كان بها كما هو من
 عبادة بعض المؤرخين المجاهرة بالفسق من طائفة الاشراف وذوى
 البيوتات ودعاة النفس من الاعيان ومن الجنود العربية والعصيان هي
 وذا لم تكن مدينة القسطنطينية العظيمة تلتفت لازالتهماتها واستبدل بها
 ما كان يوجد في القلوب من حب الاوطان بما تمكن في الناس من دماء
 النفوس وشدة الرغبات في جمع الاموال الى درجة فائقة الحد واشتغل
 الماولة أنفسهم بالمجاهدات الدينية والمباحثات في علم الالهيات وأضاعوا
 في ذلك من الاوقات ما كان أحق بأن يصرف في حسن تدبير الملك وبعد
 ان جلسوا في جمعيات القسس المنعقدة للتفكر في أمور الديانات في مرتبة
 الرؤساء عليهم فيها تصدوا لتشريع عقائد أصولية وأحكام دينية بل ألفوا
 رسائل بجد الياسة للاتصار أو للخط على بعض الاحكام الصادرة عن بعض
 بطارقتهم انتهى (من تأليف رييت)

واذا كن الامر كذلك والحال على ما هنالك وكانت الديار المصرية قد
 انجذبت للوقوع فيما ذكر من الاتصاليات والفن المذكورة واشتغلت
 في جميع تلك المدة بالمشاجرات الدينية والتعصبات الاهلية فانها انما
 انقضت ليأخذت شديدا لم يكن لها عنه من محيد والافليس من طبيعة مصر
 السعي

السمى في تحريك الفتن السياسية أو الدينية وقد دلت التواريخ على انها متى سلكت هذا المنوال فلا بد وان تكون مضطرة اليه بضرورة الاحوال لا منجذبة اليه بطبيعتها ولا مائلة له بمجرد رغبتها وفي الواقع ونفس الامر ليست الديار المصرية بلدة الفتن والمشاكرات بل هي بما فيها الله سبحانه من نعمة طيب الهواء الذي يحاول للانسان أن يتلذذ بالمعيشة فيه وجمارزقت به من خصوبة الارض ولطافة أخلاق أهلها وسهولة تناولهم لسائر أنواع الترفى والتمتدّن يصح أن يقال فيها حقيقة انها بين سائر البلدان هي البلد الحافظ للاصول والقوانين والابعد عن الاقتتان وما يكثر في طبيعة سكان غير الديار المصرية من الظلم وحب التبسط في ملك الغير واستمالة الناس لاتباع مذهبهم هو مفقود فيهم واذالم يصل عليهم صائل في مواطنهم يقطع عليهم ما هم عليه من الامان والاطمئنان الذي كانوا عليه مدار حياتهم وبه قوام معيشتهم فهم لا يصلون على أحسد ولا ينتقلون الى بلدة أخرى من البلاد ليقعوا فيها الفتن والفساد وانما اذا بلغت بها الاحوال الغاية من المضايقة والتعدي من الغير عليها رجماء خرجت عن طبيعتها وصارت هي الصائلة عليه ولكن لكونها ليس من طبيعتها الصيال فصولاتها سريعة الزوال وينتهي بها دائما الحال لان تكون فيها الكرة عليها وتعود عاقبة الامور الكبيرة بالمضرة عليها

وذلك هو ما حصل لها عقب المشاكرات الدينية الشديدة التي أشرنا آتفا إليها فانه في اثناء هذه المدة التي وصفناها وحال الفساد العام في العالم التي ذكرناها قد ظهر محمد (عليه الصلاة والسلام) مع ما جاء به من ديانة الاسلام الجديدة وصيحات الديار المصرية قد تعبت من ثقالة دولة القبطنطينية

ورذالة الملوك الرومانية وتطلعت للتخلص من قبضتها والتخلص من ربقها
 وكان المقوقس هو الذي أراد إعادة أوطانه لما كانت عليه قديما من حالة
 الاستقلال وارجاعها لما كان فيها قبالا من الاستقامة وحسن الحال
 وكان رجلا من الاقباط ذا نسب في قومه عال وذا جاه ومال فقام وحده
 تقريرا بهذا الامر وعلوم جنود ملك الروم بالاسكندرية وكان قد راسل
 في السر العرب المسلمين وجذب لمصر عمرو بن العاص أحد قوادهم
 الشهيرين بما التزم له من ضرب جزية سنوية عليها ولذلك يادربا لمضور
 اليه وبذل الوسع في تعميم الامداد عليه ولاقى جيوش الروم فكسروهم
 ثم ملك الاسكندرية بعد ان أقام عليها أربعة عشر شهرا يحاصروهم وجاءهم
 الامداد من القسطنطينية من جهة البحر بسفائن حربية وجنود أخرى
 رومانية فلم يستردوا المدينة المذكورة لا يديهم الا ليرجع ليد العرب المسلمين
 بالثاني حيث خشيت طائفة القبط من سطوة دولتهم اذ ارجعوا للاستيلاء
 عليهم فضعوا الى همة العرب المسلمين همتهم وجمعوا جميعا عصبتهم وأخذوا
 الاسكندرية من يد جنود الروم بالثاني ودخلها الاسلام فائزا بالنصر
 والظفر متوجا بتاج العز والفر وما حصل بعد ذلك فهو معلوم ولما دخلت
 الديار المصرية في أيدي المسلمين لم تكن مملكة مستقلة كما كانت في عهد
 الفراعنة الاولين ولا ولاية من أقاليم السلطنة الرومانية كما كانت في مدة
 القياصرة السابقين ولا تابعة لدولة القسطنطينية كما كانت في مدة
 سلاطين الروم المتأخرين بل انضمت لدولة الخلفاء المتسعة وصارت مسلمة
 كسائر بلاد المسلمين من منذ ذلك العصر لغاية هذا الحين

واتمى ما أردنا إيراده من تاريخ المدة الثانية من عموم تاريخ الديار
 المصرية

المصرية بممكن دين الاسلام في ثغر الاسكندرية وسريانه بعد ذلك شياً
فشيأ في جميع أقاليم مصر كما ترى لغاية هذا العصر

(تذييل)

اذا راجعت ما كتبناه من الفوائد على سبيل المقدمة أمام الباب الاول مما يتعلق بمذاهب الجاهلية المصرية رأيت اننا سردنا هنا البوجه الاختصار لجميع الاصول التي يستند اليها في معرفة أحوال مصر وأنها عبارة عن ثلاثة أمور الاول الآثار والعمارات المصرية القديمة

الثاني بعض القطع التاريخية التي وصلت اليها من تاريخ مصر القيس ما يتون المصري

الثالث ما ورد بخصوص الديار المصرية في كتب التواريخ اليونانية واللاطينية الرومانية والغرض المقصود لنا في ضمن هذا التذييل هو أن نعود ببعض فوائد أخرى على ما يستنبط بخصوص تاريخ مصر من كتاب المؤرخ ما يتون المذكور ومن الآثار والعمارات المصرية القديمة المحكى عنها وما سنورده هنا من التوضيحات التي أردنا ذكرها وان كان فيه من التطويل ما لا يخفى الا انه لا ينكر جليل فائدته ولا ينقص علينا ما يعود على مادة توضيح التواريخ المصرية من جميل عائدته اذا البحث في مادة تاريخ القيس ما يتون ومادة الآثار والعمارات المصرية القديمة انما هو عبارة عن البحث فيما استندنا اليه من الادلة واعقدناه من البراهين في كتابة خلاصة تاريخ مصر التي ألفناها وهل ذلك الاعبارة عن السؤال من ذات الديار المصرية ان تحدث عن سيرة نفسها بنفسها وعين التعريف

لسكان مصر المتأخرين اعنى المقيمين حوالى تلك الآثار والعمارات
القديمة بقية هذه الاطلال المعتبرة التى هم ساكنون فى خلالها وبسجة
تلك البقايا المحترمة التى هم فى غفلة من معرفة حقيقة أحوالها وهل ذلك
الاعين الاثبات لهم أنها انما هى بالنسبة اليهم فى الحقيقة عبارة عن تقارير
انساب الشرف القديم مسطرة فى جفر آثار اسلافهم وكناية عن سندات
احساب المجد العتيق محفوظة فى سفر عمارات أجدادهم فلذلك اردنا أن
تتكلم بالخصوص فى ضمن هذا التذييل
أولا على تاريخ مصر للمؤرخ ما يتون المصرى
ثانيا على الآثار والعمارات المصرية القديمة وذلك فى الفصلين الآتين
فتقول

(الفصل الاول)

فيما يتعلق بتاريخ مصر للقسيس ما يتون المؤرخ المصرى

قد أشرنا فيما كتبنا من خلاصة تاريخ مصر الى ان القسيس ما يتون
المصرى ألف تاريخ مصر باللغة اليونانية بأمر الملك بطليموس فيلادلفوس
أحد ملوك البطالسة أخذه من الكتابات الرسمية والآثار القديمة
المحفونة بالهيكل والمعابد المصرية وذكرنا ان هذا الكتاب قد أودت به
أيدي الضياع ككثير من كتب السلف ولم يصل الينامنه الا بعض عبارات
نقلها النامنه بعض قدماء المؤرخين من اليونان والروم وجدول بيان ملوك
مصر الذى كان هذا المؤرخ قد وضعه فى ذيل تاريخه وانبته بعض المؤرخين

السابقين

السابقين على الهجرة ببعض سنين قلائل في ضمن مؤلفاتهم
وقد علم مما أفضناه هناك ان جميع المملوك الذين تعاقبوا على سرير مملكة
مصر حسبما ذكر في هذا الجدول ينقسمون الى عدة طوائف من المملوك يقال
لها في عرف ارباب السير والتواريخ العائلات المملوكية وقد أثبت القسيس
ما يتنون في ضمن الجدول المذكور أسماء المملوك تفصيلا مع بيان مدة حكم
كل منهم ومدة العائلة المملوكية بتمامها في أكثر العائلات المملوكية المصرية
وفي بعضها اقتصر على ايراد بعض فوائد موجزة فيما يتعاقب بأصل العائلة
المملوكية وعدد مملوكيها اجمالاً وبيان مدة حكمها بجملة واحدة ولما كان أمر
ايراد هذا الجدول بتمامه على الحالة التي هو عليها يطول اقتصرنا على أن
تثبت هنا منه الأهم وهو هذا حسب المبين بعد

أما الملكة المصرية حسبا اوروه القديس مايتون في تاريخ مصر الذي ألفه

كرسي الملكة في مملكة كل عائلته حسب التسمية القديمة	موضع كرسى الملكة في مملكة كل عائلته حسب المعروف الآن	موقع كل كرسى من كراسى الملكة في مملكة كل عائلته من الأقاليم المصرية حسب المعروف الآن	مدة إقامة كل عائلته على سرير الملك	تواريخ جلوس على سرير الملك قبل الهجرة	تواريخ جلوس على سرير الملك قبل الميلاد
تفيس	خرابات المدفونة	اقليم جرجا	٢٥٢ سنة	١٦٢٦	٥٠٠٤
تفيس	شرح	شرح	٢٠٢	١٥٧٢	٤٧٥١
منفيس	ميت رهينه	اقليم الجيزة	٤١٤	١٥٠٧	٤٤٤٩
منفيس	شرح	شرح	٢٨٤	٤٨٥٧	٤٢٣٥
منفيس	شرح	شرح	٢٤٨	٤٥٧٢	٢٩٦١
ابليفتين	جزيرة اسوان	اقليم اسنا	٢٠٢	٤٢٢٥	٢٧٠٢
منفيس	ميت رهينه	اقليم الجيزة	٧٠	٤١٢٢	٢٥٠٠
منفيس	شرح	شرح	٢٤٢	٤١٢٢	٢٥٠٠
هرقلبوليس	اهناس المدينة	اقليم بنى سويف	١٠٩	٢٩٨٠	٢٢٥٨
هرقلبوليس	شرح	شرح	١٨٥	٢٨٧١	٢٢٤٩
طيبة	مدينة أبو	اقليم قنا			
طيبة	شرح	شرح	٢١٣	٢٦٨٦	٢٠٦٤
طيبة	شرح	شرح	٤٥٢	٢١٧٢	٢٨٥١
اكسويس	مضا	اقليم المنوفية	١٨٤	٢٠٢٠	٢٢٩٨
ملوارة	سان	اقليم الشرقية			
شرح ما قبله	شرح ما قبله	شرح	٥١١	٢٨٢٥	٢٢١٤
شرح ما قبله	شرح	شرح			
طيبة	مدينة أبو	اقليم قنا	٢٤١	٢٢٢٥	١٧٠٢

فان جمعت الاعداد المرقومة بجنانات تواريخ اقامات العائلات الملوكية على سرير المملكة المصرية من هذا الجدول حسبا ووردها ما يتون تحصل لك من مجموعها عدد من السنين بليغ جدا كل من نظرفيه استغربه من حيث ينبغي عليه ان اولية الجمعية التأسيسية المصرية تصعد في الازلية الى اعصار هي بالنسبة لساير من عداها من الامم معدودة في الازمان الخرافية وبالنسبة لمصر هي تاريخية حقيقية

ولما تغير المتأخرون لهذا الامر ولم يجدوا وجه الطعن في صحة ما ورد عن القيس ما يتون وقوة سنده آوله بعضهم بأن الديار المصرية كانت منقسمة الى عدة ممالك يملكها جماعات متعاصرون من ملوك الطوائف في كثير من المدد المذكورة وان القيس ما يتون وهم فعندنا كثير من العائلات الملوكية على انها متتالية بعضهم اعقب بعض والحال انها كانت متعاصرة فزعم أصحاب هذا المذهب مثلالان العائلة الخامسة كانت حاكمة بجزيرة ايلقنتين في عين المدة التي كانت العائلة السادسة مستولية فيها على سرير الملك بمدينة منفيس ولهذا المذهب من المزية ما لا يخفى فانك اذا قاربت الاعداد بعضها البعض وغيّرت منها البعض تحصل لك منها ترتيب بديع بل جار على سنن العلم أيضا يودى الى اختصار مجموع مدة اقامة العائلات الملوكية على سرير المملكة الى حيث شئت وبدلا عن مبلغ ٥٦٢٦ سنة قبل الهجرة الذي بلغه تاريخ أول تأسيس الملك بالديار المصرية حسب ترتيب القيس ما يتون قد ينتج لك لتاريخ هذه الحادثة فقط مبلغ ٤٢٤٥ سنة كما قال به المؤرخ بونسان وجماعة اخرون فان قلت أى القولين هو الاصح قلنا اننا كلما نظرنا في هذه المسئلة اتضح لنا انه يصعب الجواب عنها فان مادة ترجيع

الحوادث الى ازمائها في السيرة المصرية سقيمة جداً وامنع مانع من ضبط
 مادة المدد فيها هو أن المصريين أنفسهم لم يكن لهم عناية بفن تاريخ الوقائع
 على حسب ترتيب الازمان وكان استعمال التاريخ الحقيقي على اسلوب
 المتأخرين غير معلوم لهم ولغاية وقتنا هذا لم تظهر بدليل يدل على انهم كانوا
 يؤرخون وقائع كل عصر بغير أعوام حكم الملك الحاكم فيه وكانت تلك
 السنون نفسها غير ثابتة المبدأ حيث كانت تارة بتبدى من أول سنة وفاة
 الملك السالف وتارة من يوم الاحتفال بإجراء الرسوم لتولية الملك الخالف
 ومهما ظهرت به طريقة التاريخ على هذا الوجه من درجة الضبط فان
 أهل العلم المتأخرين لا يجدي اجتهادهم شيئاً للحصول على ما لم يتيسر
 للمصريين أنفسهم واذا كان الحال من الشك كما علمت فالذي نراه هو أن
 أقرب ما يقتربنا للصواب هو اتباع ما مشى عليه القسيس ما يتون في جداوله
 من غير تبديل ولا تغيير ولا توهم من ذلك اننا نرى ان المملكة المصرية كانت
 مملكة واحدة متعاقبة عائله بعد عائله من منذ عهد الملك مينيس لغاية عصر
 ملوك الروم ولعلنا نظفر ببعض استكشافات لم تكن على البال ثبت لنا ان
 مدة هذه الدولة المتسعة كانت متوزعة بين دول طوائف خارجة عن عمود
 عائلات الدول الاصلية أكثر مما يترأى لاهل هذا المذهب والظاهر ان
 ترتيب القسيس ما يتون حصلت تصفيته من قبل ان يصل اليها واذا كان
 مشتملاً على بعض دول طوائف خارجة عن عمود العائلات اللوكية الاصلية
 ولا بد فانهما يجب أن يكون ذلك اما قبل أو بعد عهد العائلة الملوكية
 الحادية والعشرين وذلك انما هو العائلة الملوكية المترتبة من مشايخ
 لديانة المصريين الذين كانوا قد استولوا على سرير الملك حينما كانت العائلة

الحادية والعشرون المذكورة جالسة على سرير الملك أيضا بمدينة تانيس وكذلك قبل أو بعد العائلة الملوكية الثالثة والعشرين وهم الملوك المعاصرون لتلك العائلة من ملوك الطوائف المستقلين الذين كانوا موجودين في ذلك العصر سبعة أو ثمانية على اختلاف ما حكى في ذلك ويقتضى أن تطلق عائلاتهم متوالية بسلسلة العائلات الملوكية التي أوردها القسيس ما يتون في جدول له إذا لم يكن هو قد اسقطها وأيضا يقتضى أن تعد طائفة الملوك الاثنى عشر عائلة ملوكية لأقل وتكون مرتبتها فيما بين العائلتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين وكذلك ملوك مدينة طيبة المعاصرون للملوك الرعاة تكون مرتبتهم بعد السابعة عشرة وحينئذ فقد ثبت أن مصر وجدت فيها في قديم الزمان عدة عائلات ملوكية حكمت عليها مرة واحدة في زمن واحد أثبت منها القسيس ما يتون في سلسلة الملوك بجدوله العائلات التي كان يرى أنهم أهل الدولة الاصليون والملوك الحقيقيون واسقط الباقي والافلا كان يقتصر على احدى وثلاثين عائلة ملوكية قبل الاسكندر بل ربما بلغت لغاية الستين وعلى فرض ان القسيس ما يتون لم يباشر تصفيتهم على هذا الوجه فكيف يتصور السكوت عن ذلك من المختصرين لتاريخه الذين أتوا من بعده وكانت وظيفتهم الاختصار ومصلحتهم تقتضى الاقتصار ويدهم أصل كتابه يسترشدون به ويهتدون منه لتمييز ما يستصوب الاعتماد عليه مما يجب عدم الالتفات اليه وإذا كان الامر كما ذكرنا فجميع الأدلة تناقض مذهب القول بوجود عائلات ملوكية خارجة عن عمود العائلات التي أوردها القسيس ما يتون بجدوله ونحن لانقول به ولا نعقد عقيدتنا عليه الا اذا نظرنا من الآثار

المصرية والابنية الاثرية على مايدلّ ولومرة واحدة على أنّ عائلتين من العائلات الواردة بمجدول مايتون بوجه انها تسلسلت بعضها عقب بعض على سرير المملكة المصرية كاتماجمعتين وفي مدة واحدة متعاصرتين بل نرى أنّ ذلك من اختراع بعض المخترعين وابتداع بعض العلماء الحاذقين حتى تنقض الادلة المستنبطة من ذات الآثار والعمارات الدالة على أنّ ماأجمع جمهور المؤرخين على انه كان خارجا عن عمود العائلات الاصلية من العائلات الملوكية المصرية لم يكن في الواقع كذلك وتذكر لذلك مثالين الاول قال أكثر أهل المذاهب التاريخية بأن العائلة الملوكية الخامسة كانت تحكم بجزيرة ايلفتين بوقت أنّ كانت العائلة السادسة جالسة على سرير الملك بمدينة منفيس واذاصح ذلك لزم بالضرورة أن يكون لكل عائلة ملوكية من الاثنتين دائرة أراض مخصوصة بها واقتضى ذلك عدم وجود آثار وعمارات ممايعزى لاحدهما على الارض المملوكة للآخرى وبالعكس والحال انه بماأجرينا من البحث والتقصص بواسطة الحفر الجارى عن يدنا في المدة الاخيرة وجدنا من آثار العائلة الملوكية الخامسة (وهي المستقرة بجزيرة ايلفتين) في ناحية سقارة كما وجدنا من ذلك في جزيرة ايلفتين نفسها وعثرنا من آثار العائلة السادسة (وهي ملوك مدينة منفيس) في ناحية سقارة وجزيرة ايلفتين معا الثاني قد عول أكثر أهل المذاهب المذكورين على أنّ العائلة الملوكية الرابعة عشرة كان أصلها من مدينة اكسويس (ناحية سخا باقليم المنوفية) وانها كانت معاصرة للثالثة عشرة وان أصلها من مدينة طيبة (باقليم قنا) مع أنّ الآثار مضممة بضد ذلك ألا ترى في التمايل الهائلة التي ظفرنا بها

ملوك العائلة الثالثة عشرة المذكورة في مدينة سان بإقليم الشرقية على
القرب من ناحية سخا ببعض آلاف من الامتار فقط برهانا على أن ملوك
دولة طيبة الذين هم أرباب تلك القبائل وأصحاب هذه الآثار المذكورة
كان لهم الولاية أيضا على الاقاليم البحرية من مصر وبعثا أو ضمناء لك هنا
تعلم أن طريقة القول بتعدد العائلات الملوكية المصرية في مدة واحدة
منقوضة بكثير من الأدلة ومع ذلك فلا نقول بأن جدول القسيس ما يتون
في أعلى درجة من العلم بل ربما كان مشتملا على كثير من الأعداد
التفصيلية المقتضى لها المحو والاثبات واصلاح ما لا بد يوجد به من
الخطا في بعض الجزئيات وانما نقول بأن عدد الاحدى والثلاثين الوارد
بجدول القسيس ما يتون على أنه هو مبلغ عدد العائلات الملوكية
المصرية هو في الواقع عدد سلاسل الملوك التي تسجلت في سجلات التواريخ
المصرية الرسمية على وجه أنهم هم الملوك الاصليون بمصر وأرباب الدول
الحقيقيون المتعاقبون على سرير المملكة الفرعونية قبل الاسكندر بدون
تعلية دول طوائف أخرى في خلالها خارجة عن عمود الدول الاصلية

(الفصل الثاني)

فيما يتعلق بالآثار والعمارات المصرية القديمة

اعلم ان تاريخ مصر هو أقوى تواريخ سائر البلدان استنادا وأوثقها
اعتمادا لا بناء تأليفه على شهادة عدد واف من الأدلة القوية والبراهين
التي هي حقيقة أصلية أكثر مما يتيسر لغيرها من الاقطار حيث مبني
تاريخها

تاريخها هو مجرد الاخبار بخلاف الديار المصرية فان لها آثارا كثيرة
وعمارات متعددة لافيهما فقط بل في النوبة وبلاد السودان حتى في بيروت
من بر الشام وينضم لذلك ما اعتنى باقتنائه من منذ خمسين سنة أهل الأوربا
من التحف القديمة الوافرة والطرف العتيقة المتكاثرة وعضوا بالنواجذ
على حفظه بالاتباعه خانات وخزائن التحف والمستغريات الموجودة
باغلب المدن الكبيرة وأكثر البنادر الشهيرة ولا سيما خزائن الآثار
القديمة المصرية (الاتباعه خانه المصرية) الكائنة بيولاى التي تقلد منها
جيد العلوم من مكارم حضرة قائدنا اسمعيل باشا خديو مصر بأفضل
القلائد مع ما احتوت عليه أيضا مما هو لكتبة التاريخ من أنفس المواد
وأجل الفوائد

وحيث كان الحال كما ذكر أردنا أن نودع هذا الفصل ما يكون به
تعريف حقيقة حال ما اشتهر من هذه الآثار وما روت به بالنسبة لتاريخ
مصر هذه العمارات من الاخبار ونذكر أولا بعض توضيحات بخصوص
الآثار والعمارات المصرية القديمة المتعلقة بعموم تاريخ مصر ثم نقتنى
من ذلك أثر ما يخص بعض العائلات الملوكية المصرية بالخصوص فيدلنا
عليها ويثبت لنا حقيقة وجودها

فأما الآثار والعمارات الأصلية المتعلقة بعموم تاريخ الديار المصرية
فهى هذه

(أولا) صحيفة من ورق البردى (وهو النبات الذى كان يصنع منه
ورق الكتابة عند قدماء المصريين كالكاغذ الآن) محفوظة بخزانة التحف
والمستغربات الكائنة بمدينة تورينو بملكة الإيطاليا كان قد باعها إليها

قنصلين دولة الرئيس الاكبر بمصر المدعو بالسيد درويش وقد استولت يد الضياع على قطعة من أسفلها فلو كانت باقية على حالها لكانت هذه الصحيفة بالنسبة لفن معرفة أحوال مصر أنفُس شئ يؤثر وأفضل أثر يدخر لما أنها تحتوي على قائمة بيان أسماء جميع الملوك وولادة الامور الذين جلسوا على سرير الملك بالديار المصرية من منذ الاعصار الخالية جدا سواء كانوا من صورة وجودهم من قبيل الخرافات الاولى أو كانوا في المدد التاريخية الى عهد من الازمان المتأخرة لم نقف عليه لعدم الظفر بآخر الصحيفة المذكورة وتاريخ تحريرها من عهد الملك رمسيس الثاني المعروف بسيزوستريس أعنى في أبهج الاعصار من تاريخ الديار المصرية فلذلك كانت من المواد المستوفية لشروط الرسمية واحدى القيودات الجامعة لاسباب قوة الاعتمادية وهى تشتمل على ذكر اسم كل ملك وأمامه بيان مدة حكمه وفي أسفل كل عائلة ملوكية اثبات مجموع المدة التى أقامتها تلك العائلة على سرير الملك فلذلك كانت جليلة الفائدة يستعان بها على تحقيق مسائل مهمة من تاريخ الديار المصرية ولكن لاهمال الفلاحين المصريين الذين استكشفوها وكان أهمل منهم الاوروباء ويون الذين أرسلوها لبلاد الاوربا حيث أورثوها غاية التلف ومن قوها بعدم الاحتراس فى تناولها من يد ليد الى أجزاء دقيقة جدا تبلغ مائة وستا وأربعين قطعة بحيث ان هذه الصحيفة العتيقة المعروفة فى عرف أرباب المعرفة بأحوال مصر بصحيفة البردى السلطانية الكاتبة بمدينة تورينو التى لوبقيت على حالها لكانت بالنسبة لاهل العلم كنزا لا يتقد قد صارت الى حال سقيم جدا لا يمكن معه اعادتها فى الاكثرم منها

لصورتها

لصورتها الاولى وأصبحت لا يقتفع بها ولا يعتمد عليها ومن ثم تدرا الاستناد اليها في الكتب المؤلفة في فن معرفة أحوال مصر

(ثانيا) أثر نفيس آخر نقله من هيكل الكرنك رجل فرنساوى يقال له بريس وأهداه الى خزانة الكتب السلطانية بمدينة باريس كرسى دولة الفرنسيس وهو عبارة عن صورة خلوة صغيرة منقوش على جوانب حيطانها صورة الملك توتيس الثالث يتقرب بالقربان لصور واحد وستين ملكا من أسلافه وتسمى بقاعة الحدود ولم يكن الملوك المصورون في ضمن هذا الاثر على عود ترتيب الدول بالتسلسل المعهود من غير انقطاع بل انما هم شذمة قليلة يظهر أنه اتخبرهم الملك توتيس الثالث من أخيار أجداده ليبدى لهم ما يجب عليه من الاحترام فان قلت ماذا كان الباعث على انتخاب هؤلاء دون غيرهم من الملوك السالفين قلنا انه بالنظر من أول وهله يظهر للرائى أن التصاوير المنقوشة بقاعة الحدود المذكورة انما هي مختصر سجل قيودات الملوك المصريين الذين اختارهم المصور لأسباب غير معلومة لنا فانه تارة أثبت ملوك عائلة بتمامها وتارة أسقط مددا مستطيلة ولم يرتبهم على حسب مراتب وجودهم في الازمان ولعله انما نظر في ترتيب وضعهم لمجرد ملحظ التحلية التصويرية واتقان الزخرفة الرسمية فقط فلم يلتفت لترتيب الازمان ومن موجبات الحسرة أيضا على هذا الاثر النفيس أن اعتراه كذلك غائلة التلف ففقد منه اثنا عشر اسما من أسماء الملوك وجد فيه مواضعها ولم يوجد فيها أسماء وبذلك نزلت درجة التصاوير المستودعة بقاعة الحدود هذه عما كانت جديرة به من الاعتبار لو بقيت على حالها الاول ومع ذلك فقد اهتمنا بها لتحقيق

مائة مائة العائلة الثالثة عشرة وانتقدنا منها في ذلك المقام فائدة لم تحصل عليها من غيرها

(ثالثا) الاثر المعروف في عرف أهل المعرفة بأحوال الديار المصرية بعامناه صحيفة أييدوس وهو عبارة أيضا عن صورة رسم وجد يعرض الحيطان بمدينة أييدوس كما يفهم من الاسم الذي هو معروف به نقلها منها قنصلوس دولة الفرنسيين الأكبر بمصر المسمى بالسيد ميمو وهي موجودة الآن بخزانة الصحف والمستغربات الانكليزية بمدينة لوندون كرسى دولة الانكليز تشتمل على تصوير هيئة الملك رمسيس الثاني يتقرب بالقربات للجماعة من أسلافه كما في قاعة الحدود السابقة الذكر وهذا الاثر الثالث وان كان أشهر سائر الآثار المعهودة من الآثار المصرية القديمة لكنه أقلها استحقاقا للشهرة التي هو عليها ويان ذلك أن الخانات المعتدة فيه لوضع صور الملك كانت في الاصل خمسين خانة غير الخانة المعتدة لوضع صورة الملك المنشئ لهذه الصحيفة التي هي مكررة فيها ثمانيا وعشرين مرة فلم يبق فيها الا ثلاثون خانة فقط اعتري بعضها الاتلاف وكما ذكرنا بخصوص قاعة الحدود المذكورة قبلا تشتمل صحيفة أييدوس هذه على صور شذمة من أسلاف الملك الذي أنشأها اختارهم ليتقرب بالقربات اليهم من بين جميع الملوك السابقين لاسباب لم نقف عليها كذلك وهي ناقصة من أعلاها وهذا داحا غير لعدم الاعتماد عليها عند أهل العلم فان الوارد فيها من بعد العائلة الملوكية الثامنة عشرة هو العائلة الثانية عشرة من غير فاصل فيا ليت شعري بأي وجه توجه الخانات الاربع عشرة المجهولة الموجودة بهذه الصحيفة فيما وراء العائلة الثانية عشرة وهل كانت

معدة لتبييت صور ملوك أقدم العائلات الملوكية المصرية القديمة
أو يستدبها مدة الفراغ والفترة من العمارات والآثار المصرية التي
وجدت فيها بين العائلة السادسة والعائلة الحادية عشرة (التي أشرنا إليها
في خلاصة تاريخ مصر فيما تقدم) وإذا كان الحال على ما علمت فقد اتضح
أن صحيفة أييدوس هذه لم تكن من السندات القوية والحجج المستقيمة
التي ينبغي عليها أقوى أساس في العلم كصحيفة البردي السلطانية المحفوظة
بمدينة تورينو لو كانت تامة نعم في أول منشا فن معرفة أحوال مصر
استند إليها العالم الفاضل شامبوليون القرن ساوي وعول عليها في مادة
ترتيب ملوك العائلة الثامنة عشرة وبني عليها بعد ذلك المؤلف لبسيوس
تنزيل كل أحد في منزلته الزمانية من طائفة الملوك المسجين أموتها
وأوزور تازان ومن يليهم وقابلهم بما أورده القسيس مانيتون في تاريخ
مصر من ملوك العائلة الثانية عشرة ولكن كان ذلك غاية ما يستتبع
منها وليس بما مول فيها على حسب ظننا عظيم فائدة أخرى

(رابعاً) أنفس أثر وجد وأعلى سندبه في مواد فن معرفة أحوال مصر
استرشد هو من غير شبهة ولا معارضة ما ظفرنا به في أثناء عملية البحث
والتفحص عن الآثار والعمارات القديمة بناحية سقارة وحفظ
بالا تيقه خاتمة المصرية بيولا ق وهو عبارة عن صحيفة وجدت منقوشة في قبر
بعض أمناء الديانة المصرية القديمة يقال له توناري من أهل عصر الملك
رمسيس الثاني فليست هذه الصحيفة ملوكية الاصل كما وصفناه قبلها
وانما هي من متعلقات العقائد الدينية المصرية القديمة وذلك انه كان مما
يعتقده قدماء المصريين في أصول دياتهم أن من ضمن الثواب والخيرات

الوافرة المعدة في دار الآخرة لمن أحسن السيرة في مدة حياته من مشايخ
 الديانة أن يؤذن له في مجالسة طائفة الاخيار من الملوك فترى في الصحيفة
 المذكورة صورة القيس وتارى هذا على هيئة الداخل في مجلس الملوك
 العالي مع الادب وهي صور ثمان وخمسين ملكا هم عين الصور التي وجدت
 بالعصاف السابقة لاندري ما الموجب لاتصافهم كما ذكرنا في شأن الصحيفة
 المذكورتين قبلا وباهل ترى ما الموجب لايتار صور هؤلاء الملوك دون غيرهم
 أما ما نراه في هذا الخصوص فهو أنه ما دام لم يوقف لهذه المسئلة على وجه
 تأويل صحيح فان صحيفة سقارة هذه أيضا لا تقتضي أن ينسب اليها درجة
 السندية القوية الا بالنسبة لغيرها مما هو من قبيلها فقط ومع ذلك فيجب
 علينا أن نصرح هنا بأن صحيفة سقارة المحفوظة بالاتيقة خانه المصرية
 بيولاقي لها على ما عداها من ايا لا تنكر من وجوه

(أولا) من حيث ان أولها معلوم وان لنسابه أول دليل نأخذ منه ونبنى
 عليه أول تأسيس ترتيب التواريخ المصرية

(ثانيا) من حيث انه يوجد بها فيما بين هذا الدليل الاول الى آخر سلسلة
 الملوك المصريين المصورين بها أدلة أخرى موضوعة على البعد بعضها عن
 بعض في خامات متخللة فيها يتوصل بها الى الرسيان على مجموع الخط التاريخي
 الكلي الى غاية من الضبط لم توجد في سائر الآثار الاخرى التي من هذا
 القبيل فمن ذلك انه يوجد بصلب هذه الصحيفة فيما وراء العائلة الثامنة
 عشرة والعائلة الثانية عشرة والعائلة الحادية عشرة ست عائلات قديمة
 عثرنا عليها مستوفاة كما هي مذكورة بمجدول ما يتون ولم يكن ذلك من
 المأمول ومن ذلك تيقن أن صحيفة سقارة هذه لا نظير لها في سائر الآثار

التي من قبلها وسنعود للكلام عليها قريبا بالثاني
هذه هي أشهر الآثار والعمارات المصرية القديمة التي صارا العثور عليها
بما يستفيد منه تاريخ الديار المصرية فائدة عمومية وأما ما يتعلق من ذلك
بمخصوص كل عائلة ملوكية فسنسردها واحدة بعد واحدة على ترتيب
القسيس ما يتون مع بيان ما يتعلق بمخصوصها من الآثار والعمارات
الاصلية التي حصل العثور عليها

وانما قبل التعرض لذلك نقول ان فن معرفة أحوال مصر هو فن جديد
قريب العهد جدا من الحدوث بحيث لا يتيسر تأليف تاريخ الديار المصرية
كتواريخ غيرها من أغلب البلدان أعني انه لا يمكن السير فيه من غير
التفات كالسائر في طريق جادة مطروقة من قبل عدة طويلة بل لا يسع كاتب
تاريخ مصر الا أن يتلفت حواليه على عمارات المحطات ويعين النظر فيما يعرض
اليه على عدد الاوقات والخطوات ويتناول ما يجده على طريقه من
العلامات والاشارات ويتفقه فيها بغاية التدقيق ونهاية التحقيق ويجمع
ما نظره من المواد المتفرقة ويلتمش أجزائها المتفرقة كما يفعل الصانع
الحاذق في مادة متاع متفرق الاجزاء من مدة مديدة أنيط بهذا عمله اصلاح
شأنه واعادته للصورة الجديدة واذا كان الامر كما تقر فلاغرابية في أتسبأثناء
الفوائد التي سنأتي بها في هذا المقام قد تعدل عن الغرض المقصود وتعرض
لذكر أشياء دقيقة تظهر في مقام آخر من سفاسف الامور ولا ينبغي التهرب
منا اذا اطلنا القول على القارئ في بعض المواضع وجلنا معه في بعض
الاحيان بمسدان البيان فاطلعناه بقصد تعريفه بحقيقة ما بيننا عليه
أساسنا من البرهان على تفاصيله في الواقع ونفس الامر بالنظر لتاريخ

مصر من أجل المواقع ولنشرع في ذلك فنقول

(ما يتعلق بالعائلات الثلاث الاولى)

كان مرشدنا الاكبر في احياء تاريخ هذه العائلات الثلاث الاولى هو القسيس مانيتون وهو لا يخلو عن الشبهة ادعى تباعد المدة التي نساير فيها عنا تباعد ايخرج عن حد العقل كما ذكرناه في محله ولكن اسعفته المقادير المسعدة بصحيفة سقارة حيث جاءت فقوت اعناده ولباس كانت هذه الصحيفة ليست مشتملة الاعلى فحبة من الملوك كن بالضرورة لا يوجد فيها سائر اسماء الملوك الواردين بجداول مانيتون والمذكور فيها فقط ملكان من ملوك العائلة الملوكية الاولى وستة من الثانية وثمانية من الثالثة وفي هذا القدر اكنى من الكفاية للاستدلال على ان القسيس مانيتون هو الراوية الثقة للتواريخ المصرية القديمة وبلاستناد عليه يسوغ لنا ان نجزم من الان فصاعدا بان مدة هذه العائلات الثلاث المذكورة كانت في الحقيقة من ضمن التواريخ المصرية المعتمدة وتيقن بانه لم يكن بعضها معاصرا للبعض مطلقا وما وصل اليها من الآثار والعمارات المنتسبة لملوك هذه العائلات الثلاث الاولى وان كانت عميقة جدا وقد بلغت اليها من خلال الاعصار العديدة والمدد المدينة فهي كثيرة واقدمها كما قيل هو الهرم المدرج الموجود بجهة سقارة ويقال انه كان من اعمال الملك الرابع من العائلة الملوكية الاولى ويليه قبر الملكة توبهوتيب الذي لم يزل في موضعه وقد عثرنا عليه في اثناء عملية البحث والتفحص الجارية الان بنفقة حضرة خديو مصر ثم التماثيل الثلاثة المعزية للعائلة المصرية المسماة سيبا

وكانت

وكانت من أعيان أرباب الوظائف العمومية في ذلك العصر واستكشفت من منذ أربعين سنة بجوار الأهرام فنقلت إلى ديار فرانسوا وضعت بقصر سلاطينهم المعروف بقصر لوره بمدينة باريس ثم قبر وجد فيه تمثال بجوار الأهرام كلاهما الرجل من قدماء المصريين المعاصرين للملك السابق على آخر ملك من ملوك العائلة الثالثة يسمى ذلك الرجل امدان وقد نقله لبيسيوس المتقدم ذكره إلى مدينة برلين كرسى عملكة البروسيا من بلاد الأوربا وإذا كانت التلال الجارية في وسطها عملية الحفر الآن عن يد نابجحة أيدوس هي في الواقع كائنات آثار مدينة تينيس القديمة التي كانت كرسى المملكة في عهد ملوك العائلتين الأولى والثانية فالأما مولانا لا بد وأن نجد الآن أو في المستقبل آثارا لهذه العائلات غير ما ذكر

(ما يتعلق بالعائلتين الملوكيتين الرابعة والخامسة)

الذي كان أعظم دليل لنا أيضا في ترتيب ملوك هذه المدة هو القسيس مايتون مع صحيفة سقارة كذلك وفيها تفق نص المؤرخ الأهل المذکور مع الصحيفة المحكي عنها اتفاقا قريبا جدا بحيث يرى بطريق البداهة أن أصلهما واحد لا محالة ومن ثم يادرننا بتقييد هذه النتيجة التي هي أوثق شهادة نطق بها لسان الآثار المصرية القديمة بما يعضد صحة روايات المؤرخ مايتون وما أورده بجذوله مما يتعلق بملوك مدة الدولة القديمة أو عصر الجاهلية المصرية الأولى وربما كانت آثار هذه المدة هي أشهر جميع الآثار والعمارات الموجودة بالديار المصرية وأكثرها وقدم ذكرنا منها غير مرة مادة الأهرام التي أمرها لا يخفى على أحد فان من آثار العائلة الملوكية

الرابعة من صنّف الأهرام الأهرام الجيزة وعماه من آثار ملوك العائلة الخامسة ما يوجد أيضا من غير ذلك بجهات أخرى خصوصا ما يوجد بجهة بوصير ومن العلامات الظاهرة والأدلة القوية على ما كان يوجد في عصر هاتين العائلتين من درجة التقن العالية المقابر الفاخرة التي لا زال السياحون يهرعون للتفريح عليها بجهة الأهرام وجهة سقارة وينضم لذلك ما استكشفناه في المدة الأخيرة بجوار التمثال الهائل المعروف بابي الهول الأكبر المجاور لأهرام الجيزة من الهيكل القديم المبني بجميعه من الرخام الأبيض وحجر الصوان وهو أثر فريد لغاية عصرنا هذا لم يوجد له نظير لما أنه هو النموذج الأوحد والتمثال المفرد الذي لم يصل اليه غيره من أعمال فن العمارة الأثرية المصرية العظيمة ويتم تعداد الآثار الكثيرة والعمارات الفريدة المنسوبة للعائلتين الرابعة والخامسة بسرد ما يوجد لهما أيضا من أعظم الآثار بالاتباع خاتمة الخديوية بيولاقي وهي ما يسرد أدناه

(أولا) تمثال الملك كهرين الذي من أعمال الهرم الثاني وليست شهرة هذا التمثال فقط لما صار له من مدة القدم البليغة من حيث صار له من العمر أكثر من ستين قرنا بل لما اشتملت عليه صنعة من حسن اقراغ تفاصيله في قالب بديع جدًا مع سعة مجسمه وجمال هيئته فإنه تظر هذه المزايا أيضا بتد العثور على مثله وهو يدل الدلالة الواضحة على ما كانت عليه درجة الفنون المصرية في تلك المدة من حيث لم يكن ذلك في حساب أحد ويبرهن البرهنة القوية المفصحة على أن أرباب الفن المصريين كانوا من قبل مدة ستة آلاف سنة في مرتبة عالية من اتقان الصناعة لا يحتاجون معها الزيادة

(ثانيا)

(ثانيا) ككتابة وجدت على قطعة من الحجر مربعة من عهد الملك خوفو صاحب الهرم الاول تتضمن أنواع هدايا اهداها هذا الملك لاحد الهياكل في عصره وهي عبارة عن أصنام مصنوعة من الحجر والذهب والفضة وسن الفيل والخشب وهذه الكتابة العتيقة التي هي أيضا انموذج نفيس لما كان جاريا في ذلك العصر من صور العبادات الالهية وصيغ الديباجات الرسمية تدلنا بالنسبة لكيفية الكتابات واللغة المصرية القديمة على مثل ما دلنا عليه تمثال الملك كفرن بالنسبة لفن التصوير في الحجر ومنها تعلم الغاية التي كان قد وصل اليها المتمدن المصري القديم في مبادئ مدة العائلة المالكية الرابعة واليهما يتسبب ما عداها من آثار مدد الدولة القديمة أي مدة الجاهلية المصرية الاولى المتنوعة اذا اردنا ترتيبها

(ثالثا) لوحة من الحجر كبيرة صار العنور عليها باهرام الجيزة عملت لتخليد ذكر امرأة من أهل بيت الملك كانت قد توظفت بوظيفة قعيدة الدائرة الخاصة بدار الملك سفرا (وهو الوارد باسم سوفيس الثاني بجداول القسيس مانيتون والمعروف بالملك كفرن عند اليونان) بعد أن أقامت مدة في مرتبة أكبر خواص النساء بحريم سراية كل من الملك اسنفرو الثاني (وهو الوارد بجداول القسيس مانيتون باسم سورييس) والملك خوفو (وهو المسمى بالملك سوفيس الاول في جداول مانيتون) ومن اللوحة الحجرية المذكورة طبقا لمناص بصيفة سقارة تتضح مرتبة كل من الملوك الثلاثة المذكورين في الوجود الزماني بالنسبة لمن عداهم من الملوك

(رابعا) تمثال من الخشب ظفر نابه أيضا في اثناء عملتنا وما أظن الصناعة المصرية القديمة سميت بأعلى منه شبيها بأصل الذات التي هو صورتها

حيث ترى الشخص المصوّف فيه كأنه على قيد الحياة خصوصاً شكل الرأس منه فانه يصور لك الحقيقة الطبيعية على وجه عجيب جداً فترى فيه في الحقيقة على الحالة الأصلية نظير ما يشاهد الآن في بعض وجوه أهل القرى المصرية بالأقاليم البحرية من دقة الأعضاء واستدارة الشكل وهو يجذب النظر خصوصاً بما عليه من طبقة طلاء خفيفة مركبة من برنجق دقيق عليها طبقة أخرى من الخافق أكل بها المصوّر يدع صنعته من هذا التمثال البديع

(خامساً) عدة نوايت جميلة مصطنعة من حجر الصوان الوردي والاسود بعضها البعض ملوك العائلة الملوكية الرابعة وبعضها قنيس جداً لداعي ما عليه من النقوش المفروغة بجوانبه الأربعة من الخارج وهي من قبيل ما يوجد من النقوش النفيسة المفروغة برسم أوسع على وجهات أبواب العمارات الكبيرة التي هي من أعمال ذلك العصر وبالجملة فينبغي ان تنبه على ان آثار العائلتين الرابعة والخامسة كثيرة جداً بحيث يوجد منها في الاتيقة خان الحديدية بيولاقي خسون لوحاً من الألواح الحجرية المنشأة من قطعة حجر واحدة على ارتفاع مترين أو ثلاثة أمتار من الطول ومثلها من القنايل والأصنام الجميلة المتنوعة الأصناف

(ما يتعلق بالعائلة الملوكية السادسة)

الوارد من ملوك هذه العائلة بصحيفة سقارة هو أربعة ملوك وفي ضمن جدول القسيس ما يتون ستة مع كون الوارد بالصحيفة المذكورة من عهد الملك مينيس ستة وثلاثين اسماً ويجدول ما يتون تسعة وأربعين ملكاً ومن ملوك

ملوك هذه العائلات الست من هو وارد بالاثار المأثور عن قوناري المتقدم
المذكر ومن ذلك يستتج قول واحد لا يصادف شبهة ولا تردداً أنه لغاية
العائلة السادسة كانت سلسلة الدول المصرية القديمة على عمود التعاقب
ولم يكن منها ما هو خارج عنه ولهذه العائلة الآثار الكثيرة أيضاً بجزيرة
ايلفتين وجهة الكاب وقصر الصياد وتاحية أييدوس والشيخ سعيد
وزاوية الميتين ومدينة منفيس ومدينة سان ووادي المغارة ومن ذلك
يستتبط أن هذه العائلة كان لها اليد على جميع الديار المصرية من الشلال
الى البحر المتوسط الايض من غير شريك ومن جملة آثار هذه العائلة
الم محفوظة بجزيرة بولاق ما يذكر بعد وهو

(أولاً) صحيفة مكتوبة تشتمل على خمسين سطرا وجدت بقبر من القبور
المستكشفة بتاحية أييدوس يقص فيها قصة حياته بنفسه رجل يقال له
اونه من أرباب الوظائف المصرية في ذلك العصر بما يفيد أنه بعد أن خدم
وطنه وامتاز في أداء وظيفته بعدة أنواع من الامتيازات في عهد الملك
تيتي والملك ياي (وهو الملك أبيوس) استخدم أيضاً في عهد ملك ثالث
يقال له مرياترا نعم ان هذه الصحيفة تضعف ما أوردناه من رواية أن الملك
أبيوس أقام على سرير الملك مائة سنة الا انه يستفاد منها من وجه آخر
مزية ترتيب الفراعنة الثلاث الواردين بها في مراتب وجوداتهم الزمانية
(ثانياً) صحيفة أخرى مكتوبة تستند الى رجل من رجال الدولة بجهة
أييدوس تتضمن انه كان موجودا في عصر الملك ياي والملك مرياترا
وفرعون رابع يسمى نيفيركيرا وبمقابله كل من الصيقتين المذكورتين
من حيث التاريخ يستدل بهما على توالي أربعة ملوك من ملوك العائلة

الساحسة وفيها أيضاً حسن مثال بالنسبة لغير المقربين على المناظرات
الاثرية يتوصل به أهل العلم مع التاني لترتيب كل واحد في مرتبته الزمانية
من جميع الملوك العديدين المتركب منهم جملة دستور ملوك الدول المصرية
القديمة ولنضم ما يتعلق بهذه العائلات الثلاث المذكورة ببيان ما يظهر
على آثارها وعماراتها من الأحوال القائمة بها المساعدة على حسن ترتيبها
وهو أنها أولاً يظهر عليها صفة عامة على أكثرها وهي هيئة الحزن
والحدادية وجميع مقابرها على شكل واحد عبارة عن حوش أو بنية
صغيرة مربعة الشكل على ظاهر الأرض يأوى إليها أقارب الميت في موسم
زيارة الموقى يليها حفرة نازلة في عمق الأرض في أسفلها عدة قاعات متى
استودعت فيها جثة الميت أغلقت عليها بحيث لا تفتح بعدها أبداً وهكذا
كانت كيفية رسمها على وجه العموم وكيفية تحلية هذه القبور هي
أيضاً على وتيرة واحدة تقرى ما يرى فيها من الصور أكثر من الكتابات وليس
فيها من صور الأصنام شيء مطلقاً وإنما أكثر تصاويرها من المناظر المتخذة
من أحوال الحياة البشرية العادية ولا سيما من هيئات الأعمال الزراعية
وما كان للمتوفى من المناقب واللقاب الدينية لا الدنيوية ويكثر بها
اتخاذ الصور المحاطة بالبراويز البيضاء الشكل المشتملة على أسماء
الملوك وألقابهم المرسومة على شكل القرطاس الملقوف (وهي التي عبرنا
عنها فيما تقدم عند الكلام على الصفائف المصرية القديمة بالخطات)
وبالجملة فإن القبور المذكورة فيها صناعة تصوير مكنة الاصطناع
دقيقة الابتداء وبإمعان النظر فيها يوقف على بعض فروقات في صناعتها
توجب ترتيبها على ثلاث طبقات

الاولى. ما هو على المنوال القديم ككبر امدان السالف الذكرفاته يظهر على ما فيه من النقوش والكتابات ما يشم منه رائحة الحدوث وقرب العهد من البداوة الاولى فى الصناعة وترى الكتابات الموجودة فيه بالهيروغليفية منتشرة الخجج بارزة الجسم يكثر بها الاشكال الوحشية وتمايلها ضخمة الجثة مع قصر القائمة فائقة الحد فى الاجزاء غير متناسبة الاعضاء

وأما الطبقة الثانية فهى أعلى منها تمكينا وصور الكتابة الهيروغليفية فيها أكثر تحسينا ومنظر حروف عبارات الاصل المسطرة بها أزيد اتلافا وأسهل للقراءة واستبدل ما كان يكثر فى آثار عصر امدان السابق من تقطيع الحروف بما استجد فى آثار عصر الطبقة الثانية من طريقة تركيب الكلمات واقتصرت فى هذا العصر الثانى الانساب العالية ولم تكن تتوجه فيه ادعية المناجاة وصيغ التوسلات الا ذات أحد المعبودات المصرية المسمى أنويس وأجل أنموذج وأكل مثال لآثار هذه الطبقة الثانية هو قبر رجل مصرى يقال له فى استكشفناه من منذ بعض سنوات فى أثناء عملية الحضر الجارى بمصر قتنا

الطبقة الثالثة معاصرة لملوك العائلة الملوكية السادسة وفيها اخذ يظهر فى الآثار اسم أحد المعبودات المصرية المسمى اوزيريس وكان قبل ذلك يند وجوده وابتدى يعثر لبعض افراد الموق على توصيفهم فى بعض أحوال نادرة بنعت العدل واستطالت فى هذا العصر عبارات الكتابات المسطرة على الآثار عما كانت عليه قبل ذلك وظهر فيه من عبارات المناجاة وصيغ الادعية والتوسلات ما هو أنظر من السابق واستحدثت

في ضمن التصاوير بعض قصص وحكايات من مناقب الاموات وبعض الاحوال التي كانوا عليها في حال الحياة واستحقت بذلك في تلك التصاوير منظر تنوع حادث وتفنن جديد بدل ما كانت تظهر عليه اقلا من حالة التشابه ولزوم الكيفية الواحدة وما يوجد في كثير من الجهات من القسايل الجميلة بما هي عليه من اعتدال القامة واستدارة الوجه والفم المتبسم ودقة الانف وسعة المنكبين وقوة الساقين مما يوجد جولة من أجلاها بالاتيقة خانة المصرية بيولاقي فهو مما صار التقاطه من مقابر هذا العصر والذي قبله وكذلك بمدافن هاتين المدينتين يوجد ما يرغب فيه أهل الرغبات في اقتناء المواد القديمة من تلك الألواح الحجرية الكبيرة المتخذة من قطعة حجر واحدة على هيئة وجهة باب التي يوجد منها مقدار وافر أيضا بالاتيقة خانة المصرية المذكورة فان سألت الى أي زمن من بعد عصر العائلة الملوكية السادسة امتد اقتناؤها للمقابر المصرية القديمة على هذا الاسلوب أجبت بأنه لا جواب لنا عن ذلك وهاتين من مدة عامين نجهد غاية الاجتهاد في استقرار عملية البحث والتفحص بعقبة جهة سقارة مع العثور على ما يزيدنا أملا في بعض الاحيان بقصد التجرى والتوصل لحل مجتنب وهما

(أولا) هل يصح ان بعض القبور التي آنفا وصفناها ولما قبل العائلة الملوكية السادسة نسبناها نجعلها متأخرة التاريخ عن مدة العائلة السادسة المذكورة ونراها من تعلقات العائلات الملوكية التي جاءت بعدها الى عهد العائلة الحادية عشرة بل هل نعتبرها من أعمال الثانية عشرة حيث لم نعتزلتها على قبور في مقبرة مدينة منفيس هذه اذ هذا

أمر آخر يستحق النظر فيه والاتفات أيضا إليه

(ثانيا) اذالم يصح ما ذكره فادام ان العائلة الحادية عشرة ثبت لها وجود آثار و عمارات من قبيل آخر على صنف المقابر بمدينة طيبة فهل يسوغ لنا ان نقول بأن مقابر الدولة المصرية القديمة أعني مدة الجاهلية الاولى قد عرض عليها بعض حوادث تقليبية مجهولة الحال لنا فقطعت على حين فجأة تسلسلها ومحت أثرها ولم يصل اليها خبرها حتى أوجبت لما استكلم عليه بعدم وجود آثار للعائلات الملوكية المصرية من بعد العائلة السادسة وباهل ترى أى الامرين المذكورين أنقا نقول عليه وأى القولين نميل اليه الجواب اننا للغاية الآن لم يتيسر لنا دليل يرجح أحد المذهبين على أخيه حتى نحكم حكما قطعيا فيه

ما يتعلق بالعائلات الملوكية السابعة والثامنة

والتاسعة والعاشرة

قد علم مما أسلفناه ما عرفت به هذه المدة من عدم العثور لها على آثار و عمارات تدل على حقيقة حالها ومع ذلك فلا غرابة اذا قلنا بأن جملة من القبور التي وجد بها الخانات السلطانية المعنونة باسماء كل من الملك يتي والملك تتي وغيرهما من ملوك هذه المدة مع القابهم هي من اعمال العائلتين الاوليين من هذه العائلات الملوكية المترجم لها سابقا حيث انهما من العائلات الملوكية المنسوبة لمدينة منفيس وأما التاسعة والعاشرة فحيث ان القسيس ما يتون أدرجهما في سلسلة العائلات

الملوكية المصرية على انهما كان مقراً بملكتهما بمدينة هرقلبوليس فلم تنقذ
لهما القاية الا ان على آثار نستدل بها عليهما ولعل السبب في ذلك هوان
نواحي ميدون واللت واهناس المدينة وسائر المنطقة الارضية الكائنة
في مدخل وادي الفيوم لم يحصل بها الغاية الا ان اعمال حفر على انه لا ينبغي
ان يظن ان عدم وجود آثار وعمارات لهذا العصر هو على اطلاقه فانه
ربما كان ما في الصف الاعلى من صحيفة أييدوس المقدمة الذكر من
الخطات السلطانية الاربع عشرة المفقودة منها كان وارد بها صور بعض
ملوك هذه المدة

وكذلك ورد بتصاوير قاعة الحدود السالفة الذكر أيضاً ما يفيد ان جماعة
من أهل بيت الملك كانوا قد أرادوا أن ينتهزوا فرصة الذن والشقاق الذي
كان واقعاً في ذلك العصر ودعوا لجلوس العائلة الملوكية الحادية عشرة
على كرسى المملكة المصرية وهذا يقتضى انهم كانوا معاصرين لملوك العائلة
الملوكية العاشرة ولعلنا نتطرق لبعض آثار أخرى توضح لنا ما تظنه من
ان بعض الملوك المسمين باسم سيبكيهوتيب هم من ملوك احدى العائلات
الملوكية السابعة أو الثامنة أو التاسعة أو العاشرة فان ذلك لا بد منه
وبالجملة فان مدة هؤلاء العائلات الملوكية الاربع لم تزل غير واضحة الحال
ومحلاً للتخمين فيها بواسطة ما سيجري الاستمرار فيه من اعمال الكشف
والتفحص بطريق الحفر الجارى العمل فيه

(ما يتعلق بالعائلة الملوكية الحادية عشرة)

لم يتعرض القسيس ما يتنون في تاريخه لبيان أسماء ملوك هذه العائلة
الملوكية

الملوكية من أصله وانما النظر في الآثار القديمة المصرية دل على وجود ستة من الملوك يتكون منهم عائلة ملوكية واحدة من غير شك ولا ترد يد وقد بقوا مدة مديدة بدون أن يعرف لهم مرتبة زمانية في التواريخ المصرية ومن اللوح الحجري المحفوظ بخزانة التحف والمستغربات بمدينة ليدان ميلاد الفلبك من عمالك الاوربا استرشد لترتيب هذه العائلة المذكورة في مرتبتها الزمانية من التواريخ المصرية وتوضيح ذلك انه قد انقضى من ترجمة النصوص المسطرة بهذا الاثر المصرى القديم ان رجلا مصرياً مات في عصر أحد ملوك العائلة الثانية عشرة وله جد أعلى كان موجوداً في عصر أحد ملوك الطائفة الملوكية المحكي عنها قبل ان فقد صار ليس للشك في هذه المادة مجال ولا للشبهة فيها أدنى احتمال وتحقق ان ملوك الطائفة المذكورة هم ملوك العائلة الحادية عشرة واعلم ان المحل المعروف بذراع أبو النجاش من مدينة طيبة هو الجهة التي يجب أن يجري فيها أعمال الحفر بقصد الكشف والتفحص عن توضيح حال ملوك العائلة الملوكية الحادية عشرة هذه متى لزم الحال لذلك فان الفلاحين من أهل مصر عثروا فيه غير مرة من منذ أربعين عاماً على مقابر ملوك نفيسة يندرج وجود مثلها ولكن لسوء البحث بما ان مثل هذه الاستكشافات النفيسة بأشرف أيدي الجهلة فلم ينتج منها عظيم فائدة للعلوم والمعارف التاريخية في شيء وأما نحن فقد اعتنينا غاية الاعتناء باستمرار أعمال الحفر والتفحص بجهة ذراع أبو النجاش هذه واستحصلنا على نتائج جسيمة منها فن ذلك ما جلبناه من تلك الجهة للحفظ بخزانة الآثار والعمارات القديمة المصرية بيولاقي من عدة ألواح حجرية وأكثر ما تحتوي عليه هذه الخزنة من الامتعة والاواني

المتزلية وأصناف الفاصكة وأنواع الخبز والملبوسات وأثاث البيت
والأسلحة وسائر آلات والادوات الصناعية من الآثار المصرية
القديمة ورد اليها من تلك الجهة أيضا وقد علم مما أوفحناء عند الكلام
على تاريخ العائلة المالوكية الحادية عشرة هذه في خلاصة تاريخ مصر
ما ذكرناه هناك من حالة الغلظ والشعث التي كانت عليها كيفية الآثار
المصرية القديمة في ذلك العصر وترجع هنا أيضا الى هذه المأادة بقصد
التبيه على أن الأشياء التي استكشفناها من آثار هذه المدة لم يكن فيها
في الواقع ونفس الامر مع آثار العائلة السابقة عليها شيء البتة من أوجه
الشبه والمناسبة التي تدل على قرابة ملوك هذه الطائفة المالوكية مع
ملوك الملوك المتقدمة عليها وعلى كل حال فالذي يظهرهوات ظهور هذه
العائلة المالوكية الحادية عشرة على كرسى المملكة الفرعونية كان
بالديار المصرية خلقا جديدا وعصر احياء حادث لجميع الامور مفيدا
فبعد ان كانت الألواح الحجرية تصنع في المدد السابقة على شكل التريبع
صارت في أثناء هذا العصر الحديد تغذ مستديرة من أعلاها وترى على
هيئة الكتابات بالطريقة الهيروغليفية المستندة لهذه المدة من عدم
التهديب كيفية مخصوصة بها لا تظير لها فيما هو موجود من هذا القبيل
بقبور العائلة المالوكية الثالثة السابقة وترى كذلك من أول وهلة النظر
على نوايت هذه المدة كيفية خاصة بها دون غيرها واستجبت على ظاهر
نوايت الموتى في تلك المدة تصاوير كثيرة بهارسم جملة من الاجنحة مختلفة
الالوان الباهرة وذلك اشارة الى ما كان من جملة عقائدهم الدينية
وتحريفاتهم الوثنية في ذلك العهد من ان احدى معبوداتهم المسماة
اتريس

انريس كانت تهنو على أخيها الاله المسمى اوزيريس بالتجنيع عليه بذراعيها
وفيهما الاجنحة فكانهم شبهوا الموت بالاله اوزيريس المذكور
فوضعوا صورته على نوايت الموق وقد ظهر لك مما أسلفناه ان القسيس
مايتون لم يذكر هذه العائلة الملوكية الحادية عشرة الا بوجه الاختصار
ولم يتعرض لبيان أسماء ملوكها من أصله والذي ورد من أسماء ملوكها
في ضمن صحيفة سقارة السالفة الذكر هو فقط ملكان اثنان وأما تصاوير
قاعة الملوك فكانت أشقى منها غليلا وأتم منها ايضا حاوت تعليلا ولم يورد
المصور الذي أنشأها في ضمنها ملوك العائلة الحادية عشرة في وسط غيرهم
من ملوك العائلات الملوكية الاخرى من السادسة لغاية الثانية عشرة
بل لغاية ملوك السابعة عشرة على وجه الخلط من غير تمييز وبالجملة فان
ما يجب من كشف أحوال هذه العائلة الملوكية أيضا لم يبلغ لنهايته بل
لا شك في اننا استوصل بواسطة اسم رار عمليّة الحفر بجهة ذراع أبو النجا
المذكورة لاستخراج بعض فوائد نفيسة جديدة تعود على هذه المادة أيضا
بالايضاحات المزيدة

(ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثانية عشرة)

ملوك هذه العائلة هم جماعة الملوك المسمون بالاوزور تازانين
والاموتتهين وهؤلاء بيان أسمائهم تفضيلا وورد بمجدول القسيس
مايتون وفي صحيفة أييدوس و صحيفة سقارة وتصاوير قاعة الجدد
معا وأثارهم كثيرة جدًا في جميع البلهات من ابتداء وادي المقارة الى
حد قلقي كنهه وسمنه (فيما وراء وادي حلقة) ومن أثارهم أيضا مسلة

المطرية ومسله بجميع (باقليم الفيوم) والنواويس المقنطرة الموجودة بجهة
 بنى حسن وبعض المغارات الموجودة بأسسيوط وجملة من القبائل الهائلة
 الجيلة التي ظننا بها في أثناء عملية الكشف والتفحص الجارية بجهة
 سان وجهة أييدوس وقد اتفقت جميع هذه الآثار على إثبات ما هي
 عليه من عظمة قالب صنعتها وبرهنت لنا على أن عصر العائلة الملوكية
 الثانية عشرة الذي كان فيه منشؤها كان من أشرف أعصار التواريخ
 المصرية القديمة وأبهرجها من حيث تقدم درجة الصنائع والفنون
 الأهلية وقد كانت مرتبة ملوك هذه الطائفة الملوكية من حيث الوجود
 الزماني مضطربة الأساس من مدة مديدة ولم يكن لنا دليل في أول أمر
 البحث عن أحوال التواريخ المصرية يرشدنا لتعيين موضعها في سلسلة
 العائلات الملوكية إلا ما اهتمدنا إليه من ذلك بصحيفة أييدوس ولكن
 صحيفة أييدوس هذه كان ساقطاً منها إيراد خمس عائلات ملوكية ولم يكن
 يشعر بذلك أحد وعلى مقتضاها كان يرى أن الأوزورتانين كانوا
 يلون بطريق المباشرة طبقة الملوك التوتيسين (أعنى العائلة الملوكية
 الثامنة عشرة) وبقي العلماء مدة طويلة من الزمن مصممين على المذهب
 القائل بأن الأوزورتانين هم العائلة الملوكية السابعة عشرة حسبما
 كان يظهر لهم من أن ذلك هو الصواب حتى جاء العالم لبسيوس المقسّم
 ذكره فأيقظهم وكان أول من نبه على الخطأ في هذه المسئلة فان القسيس
 مايتون عدّد في ضمن أرباب العائلة الثانية عشرة عدة ملوك ذكر فيهم
 جماعة كثيرين يدعون بأسماء أمونوميس وسيزورتوريس وورد
 بصحيفة أييدوس أيضاً جملتهم كلهم يسجلون أموتها أو أوزورتانان
 فاستقر

فاستقر الحال على اتباع ما مشته عليه صحيفة أيديوس بعد اصلاحها
 يقتضى مانص عليه المؤرخ الاهلى ما يتون وتحقق أن الازور تازانين
 ليسوا هم ملوك العائلة السابعة عشرة بل ملوك العائلة الثانية عشرة
 من غير اشتباه فى ذلك وهنا محل فائدة أخرى لا بأس بإيرادها وهى أن
 القسيس ما يتون نص فى تاريخه على أن مدة إقامة العائلة الملوكية
 الثانية عشرة على سرير الملك كانت ١٦٠ سنة ومدة إقامة الحادية
 عشرة ٤٣ سنة يكون الجميع ٢٠٣ سنوات مع أن صحيفة الورق
 البردى المحفوظة بمدينة تورينو السالفة الذكر ذكر بها عائلة ملوكية
 كان آخر ملوكها هو عين الملكين الأخيرين من ملوك العائلة الثانية عشرة
 وأولها ليس معلوم لداعى عروض التلق على أعلى الصحيفة المذكورة
 كما تقدم ذكره وقيل بها أن مدة إقامتها على سرير الملك كان مجموعها
 ٢١٣ سنة فهل كان نقص السنوات العشر بتاريخ ما يتون غلطا
 فى الرقم يقتضى اصلاحه ويعتمد القول بأن مدة المائتين وثلاث عشرة
 سنة كانت مدة العائلتين الثانية عشرة والحادية عشرة بجعلهما كالعائلة
 الواحدة كما انفهم من غوى نص صحيفة الورق البردى المذكورة أو ماذا
 يكون الحال هذه أيضا مسألة مشاولة فيها بما اتضع لنا مما هو وارد
 فى ضمن لوحة حجرية عثرنا عليها بناحية ذراع أبو النجا السالفة الذكر مسطور
 فيها نص تاريخية قول فيه ما معناه خمسين سنة خالون من مدة حكم أحد
 ملوك هذه العائلة التى لم يجعل مدة حكمها المؤرخ ما يتون الاثنا
 وأربعين سنة لا غير

(ما يتعلق بالعائلتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة)

لم ينص القسيس ما يتون على شيء من بيان أسماء هاتين العائلتين من أصله وأوجب ذلك المعيرة في مادة الوقوف على ما يقابل عصرهم من الآثار والعمارات ولكن أسعنا في ذلك ما وجدناه من آثارهم فانه بالجانب الايمن من قاعة الجدد وعلى جله أشياء متنوعة الاصناف من المواد المحفوظة بالاثيقة خاتمة المصرية بيولاقي يوجد مكتوبا أسماء عدة فراعنة يدعون على وجه العموم سيبكيهوتيب ونوفريهوتيب يتكون منهم عائلة ملاوكية مخصوصة كثيرة الافراد ولكن من بعد الوقوف على ذلك قمينا في أمر تنزيل هذه العائلة في منزلتها الزمانية الصحيحة حتى ظفرنا بكتابة قديمة بجهة سمحة أظهرها لنا الفاضل لو كنت دورجه يذكر فيها الملك سيبكيهوتيب الاول منعوتا بنعت الموجود على قيد الحياة والملك أوزورتازان الثالث المتوفى ومن ذلك استنبطنا أن طائفة الملوك السيبكيهوتيين كانت مدة وجودهم عقب العائلة الملوكية الثانية عشرة واستتج تطير ذلك من صحيفة الورق البردى المحفوظة بمدينة تورينو فان من جله ما بقى من أجزائها قطعة وجدسها رأس عمودين منها منبتا بأعلى أحدهما خاتمة ملوك معلومين من ملوك العائلة الثانية عشرة ورأس الثاني خاتمة الملك سيبكيهوتيب الرابع وتحقق بذلك أن منزلة الملوك المعروفين باسم سيبكيهوتيب كانت من حيث الوجود الزماني بعد طائفة الاموتيين والازورتازانيين ولكن ينبغي التيقظ هنا لامرين أحدهما أن طائفة الملوك الغالب عليهم اسم سيبكيهوتيب

كانوا

كانوا ابقين على العائلة الثامنة عشرة بدليل أننا استدلنا عليهم
 خصوصاً بأحد الآثار الماثورة عن مدة حكم الملك توتيس الثالث
 الامر الثانى وهو انهم كانوا ملوكاً مستقلين بجميع دولة مصر من غير
 شريك حيث كان في قبضتهم جميع الديار المصرية من أقصى بلاد النوبة
 الى البحر المتوسط الايض واذا كان الامر كذلك فلا يصح أن يكونوا
 معاصرين لدولة الملوك الرعاة الموسومين بالعائلات الملوكية الخامسة
 عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة

واذ تقر ما ذكر آنفاً فقد علمت أن مظنة الخطا قد تلاشت وصار لاشبهة لنا
 الا فيما بين العائلتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة ومعلوم أن العائلة
 الثالثة عشرة حكمت ٤٥٣ سنة وحيث كانت مدينة طيبة كرمى
 مملكتها فالأقرب للعقل هو أن الآثار الجيلة الماثورة عن الملوك
 السيبكيهوتيين إنما حقها أن تنسب اليها الى العائلة الرابعة عشرة
 التي لم تكن مدة حكمها الا عبارة عن ١٨٤ سنة وكانت منحصرة
 في جهة مخصوصة خاملة الذكر من ديار مصر (وهي مدينة اكسويس)
 واذا كان المؤرخ ما يتنون قد أغفل ذكر أسماء الملوك الذين جاؤا من
 بعد الملوك المسمين أمونوميس وسيزور تويريس فها هو العلم بدقة قياساته
 وحذاقة استدلاله قد توصل لمعرفة الوقوف على حقيقةهم على
 أن أسماء ملوك هاتين العائلتين لا توجد فقط بصيغة البردى المحفوظة
 بمدينة تويرينو وبالجانب الايمن من قاعة الحدود المحكى عنهما بل كذلك
 تشاهد مثبتة في ضمن ألواح حجرية من الآثار القديمة المحفوظة بكثير من
 الاتيقة خانات وخرائن الكف والمستغريات الموجودة في سائر الجهات

وعلى التاميل الهائلة الموجودة بجهة سان وعلى جوانب بعض
النواويس القديمة بأسسوط كما توجد أيضا بجهة اسوان ومحطة الحمامات
ونغاية ما هنالك أن جلة من ملوك هاتين العائلتين خصوصاً الملك اسنايهيت
المرتين في مراتبهم الزمانية بالاتباقه خاتمه المصرية انما ترتبوا في مراتبهم
التي وضعناهم فيها في جلة ملوك العائلة الرابعة عشرة بوجه الحدس
وال تخمين فقط ولا زال عندنا شبهة في هذه المادة لا غير ولا نستغرب
اذا صادفنا من المباحث العلمية المعضدة بالاثار القديمة المصرية ما يلزمنا
بارجاع مرتبة هؤلاء الملوك الى مدة العائلة الملوكية السادسة أو ما يليها الى
الحادية عشرة

ما يتعلق بالعائلتين الملوكيتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة

لا وجد لهذه المدة اثار مطلقا والسبب في ذلك حادثة تغلب طائفة
الهيكسوس على الديار المصرية فيها فلم يترك لنا هؤلاء الاقوام من أعمالهم
التي باثروها بأنفسهم في مدتهم شيأ يدلنا على صورة وجودهم ولعلمهم
أنخرجوا ملوك الدولة الفرعونية الاصلية الى الاقاليم الجنوبية من جهة
الصعيد فكما فيها بجهة من الجهات المذكورة لم تقف عليها ولكن
لا هؤلاء ولا هؤلاءك تركوا لنا من اثارهم ما يرشدنا لحقيقة حال
أخبارهم

ما يتعلق بالعائلة الملوكية السابعة عشرة

أما هذه المدة فقد كان مسئوليا فيها على الديار المصرية طائفتان متعاصرتان وهما ما عبرنا عن مجموعهما بالعائلة الملوكية السابعة عشرة احدا هما طائفة الملوك الرعاة وكان كرسي مملكتهم بمدينة سان والاخرى الدولة المصرية الحقيقية وكان كرسيها مدينة طيبة وما يظهر لنا بمدينة طيبة في هذه المدة من دلائل احياء الامور بعد اندراسها هوشيه بما تلاحظ لنا ونبهنا عليه فيما تقدم مما هو من هذا القبيل في مبداء عهد العائلة الملوكية الحادية عشرة فانك ترى المحل المعروف بذراع أبو النجا عاد في ذلك العصر لما كان عليه من كونه مقبرة مدينة طيبة وترى في القبور صنف التوايت المعروفة بالريشية لما يرى عليها من تصاوير الاجنحة وبداخلها تلك الموميات الرديئة وتجد بداخل القبور نظير ما كنا عثرنا عليه من آثار العصر الاول من صنف الاواني والاسلحة وآثار البيت بعينه وترى على توايت الملوك وذوى المناصب العالية مع ما كان يوضع عليها من تصاوير الاجنحة بدعة أخرى وهي ككونها مطلية بالذهب من الرأس الى القدم وهذا أيضا اشارة بتظاهر تنوع ألوان الذهب في الاجزاء البارزة من التابوت لما كان يعتقد قدماء المصريين في جملة صفات معبوداتهم المسماة ايزيس بوقت حنوها على أخيها اوزيريس من أنها خلقت النور من أجنتها وترى أسماء الموقى عادت لما كانت معتادة عليه في المدة السابقة من التسمية بمثل اتيف وأموني وأهميس وعاهوتيب ونحوها الى درجة بحيث يشتبه على أعلى أهل الخبرة نظرا بمواد الآثار القديمة

أن يميز آثار هذا العصر من آثار الأعمار السابقة قبل ظهور الملوك الرعاة بالديار المصرية مع ما تفضل فيما بين ذلك من عدة عائلات ملوكية وعلبة أجنبية وقد وردت أسماء الملوك من دولة مدينة طيبة منقوشة في الحجر على حيطان بعض القبور بناحية القرنة وعلى سفرة شراب قديمة محفوظة بجزيرة الصف والمستغربات بمدينة مرسيه إحدى مدن ديار فرانس على بعض آثار أخرى من الآثار القديمة المحفوظة ببعض الجهات من بلاد الأوربا وفي خزنة الآثار القديمة المصرية بيولاى وأما ملوك طائفة مدينة سان فقد بلغنا أيضاً بيان أسماء جلة منهم عن المختصرين لتاريخ القيس ما يتون على روايات مختلفة فنذكر ما كان لبعضهم من أسماء الأعلام التي يكثر فيها ادخال اسم سيت (وهو سوتيج) الذي هو معبود طائفة الخيتاس ومن تبعهم من القبائل وذلك كاسم سيتيس واستاعان واسيس واسيت ولم نعثر من أسماء ملوك هذه الطائفة بالآثار المصرية التي وجدناها للغاية الآن الأعلى اثنين أحدهما سيتيس وهو اسم أول ملوكها (وقد وجدناه واردة على لوحة من الحجر محفوظة بجزيرة الآثار المصرية بيولاى بلفظ سيتعابقي نوبتي) الثاني آخر ملوك هذه الطائفة وهو الملك أبوفيس وجدناه واردة بلفظ ابابي وهو عين ما يكتب به اسم الملك ابابوس أحد ملوك العائلة الرابعة في كيفية كتابة الحروف المصرية القديمة سواء بسواء والذي صار الحصول عليه من آثار الملوك الرعاة من العائلة السابعة عشرة هو ما سيدكر أدناه

(أولاً) أربعة تماثيل هائلة من حجر الصوان وجدت بجهة سان وهي محفوظة بالآتيق حاليه المصرية بيولاى ويحتص شكلها على صورة الرأس

منها

منها من هيئة لبدة اسد كنيقة بدلا عن العصاة المعتادة وبأن تقاطيع الوجه منها هي بيثة التشكيل ذات هيئة كثيرة الزوايا أشبه شئ بتقاطيع ذوات الصيادين الموجودين الآن على بركة المنزلة وقد كانت هذه التماثيل أولا برسم الملك أبوفيس آخر ملوك طائفة الرعاة بالديار المصرية اثبت على الكتف الايمن من كل واحد منها عنوانه بجائته الملوكية وأضاف فيها الى القابه نعت محبوب سيت (اى سوتيج) ثم استملكها لنفسه من بعده الملك مينفتا من ملوك العائلة التاسعة عشرة ثم من بعده الملك بسوسنيس من ملوك العائلة الحادية والعشرين

(ثانيا) شكل مزدوج به صورتا شخصين واقفين وأيديهما مبسوطة عليها طبق فيه أزهار واسماك على هيئة من يقرب القربان وهي قطعة تصوير جميلة لم يسطر فيها شئ يدل على عصر انشائها وانما بكيفية تصوير الرأس منها على مثل هيئة رأس التماثيل المذكورة قبلها يعلم انها معها من عصر واحد

(ثالثا) رأس ملك من الملوك الرعاة عثرنا عليها بناحية ميت فارس باقليم الفيوم موجودة بخزينة الاثار المصرية بيولاى وهي لقطة مهمة من حيث انها تدل على ان دولة الملوك الرعاة كانت قد امتدت الى تلك الجهة واستولت بالضرورة على مدينة منفيس

(رابعا) صحيفة من ورق البردى محفوظة بخزانة التحف والمستغريات بمدينة لوندرة كرسى مملكة الانكليز مذكور فيها ان الملك المسمى راسكان كان حاكما بمدينة طيبة بوقت ان كان الملك أبوفيس مستوليا على سرير الملك بمدينة سان وتخبّر عن مشاجرة قد وقعت بين الملكين تفضى الى محاربة

متصل بينهما

(خامسا) قصة أخرى منقوشة على جوانب قبر بجهة الكاب لاحد أرباب المناصب بذلك العصر يدعى اهميس يذكر فيها كبر الحوادث التي وقعت للمتموفي في مدة حياته من انه قضى دور طفولته بمدة حكم الملك راسكان ثم شهد وقائع الملك اموزيس مع الملوك الرعاة التي أخرجهم بها من الديار المصرية

(سادسا) من بجله الآثار المتعلقة بمدة الملوك الرعاة من العائلة السابعة عشرة وان كان ليس بطريق المباشرة لوح من الحجر كبير متخذ من حجر الصوان وجدناه في اثناء عملية الحفر بجهة سان ولم نقب على حقيقة معناه وانما فهم انه من عصر الملك رمسيس الثاني من ملوك العائلة التاسعة عشرة مؤرخا لاربعمائة عام من حكم الملك سيتعا بفتى نوبتي فان صح ان الملك المدعوق بهذا اللفظ هو عين الملك المسمى سيتيس في جدول القسيس ما يتنون فقد اشعر اللوح الحجرى المحكى عنه مهما كان السبب الباعث على انشاءه بانقضاء مسافة اربعمائة سنة بين جلوس العائلة الملوكية السابعة عشرة على سرير المملكة المصرية والسنة التي انشاء فيها الملك رمسيس الثاني من مدة حكمه وهذه فائدة جلييلة من حيث انها في ترتيب الحوادث التاريخية بازمانها لا تخفى اهميتها على احد فان سنة تقليد الملك رمسيس الثاني بتاج المملكة المصرية في الحقيقة غير معلومة وحيث كان اللوح الحجرى المذكور يتضمن صيغة توصل الى الاله سيت (وهو وتيج) وعبادة الصنم المذكور وانما حدثت بمدينة سان من بعد عقد مشاركة الصلح التي حصلت بين طائفة الخيتاس والملك رمسيس الثاني لثلاث

وعشرين

وعشرين سنة خلون من حكم هذا الملك فقد نتج ان التاريخ المطلوب متاخر
عن هذا التاريخ الذي ذكرناه

(ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثامنة عشرة)

ترتيب ملوك العائلة الثامنة عشرة هذه في مراتبهم الزمانية لا يخلو أياضاً عن
النظر فقد حصل من التحريف والتبديل في النقل عن كتاب المؤرخ ما يتون
ما أدى الى عدم ضبط أسماء الاعلام الواردة فيه بل أوجب أيضاً تبديل
مواضع بعض الملوك بعضهم بدل بعض وكذلك صحيفة ايدوس وان كانت
أتم الآثار المصرية القديمة التي ورد بها سلسلة ملوك هذه المدة مستكملة
الأنها قد سقط منها عمداً ايراد بعض ملوك نظر ~~ال~~ كونهم ليسوا من الملوك
الحقيقيين وصحيفة سقارة مفقودة فيها عشر خانات ملوكية من ضمن الاثنى
عشرة الواردة بها فيما بين الملك رمسيس الثاني والملك اموزيس واذا كان
الحال ~~هــ~~ كذلك فلا سبيل للاستحصال على تمام ترتيب ملوك العائلة الثامنة
عشرة كما يجب لا من كتاب المؤرخ ما يتون ولا من الآثار الموجودة
وأوجبت الضرورة لالتقاط ذلك مما يظهر في سائر الجهات من النظر
في نصوص الكتابات القديمة المصرية والقيودات الاثرية وأعظم ما يدل
على هذه النتيجة المهمة من ذلك بعد صحيفة ايدوس هو عدة أمور الاول
قصة اهميس التي وجدت مكتوبة بالقلم المصري القديم بجهة الكتاب وقد
تقدم ذكرها فانه نص بها من حيث المرتبة الزمانية على أربعة ملوك ووجد
اهميس صاحب القصة في عهدهم وهم راسكان واهموزيس واهموفيس
الاول وتوتيس الاول وحيث كان الاول من هؤلاء الملوك هو من ملوك

العائلة السابعة عشرة فقد لزم ترتيب الثلاثة الباقيين في أول الثامنة عشرة
 الامر الثاني قصة أخرى مستخرجة من قبر بجهة الكاب أيضا مع قاعدة
 تمثال وجدت بالقبر المذکور كذلك ومحل وجودها الآن بقصر لورده بمدينة
 باريس وكلاهما دل على أن صاحبهما كان قد وجد على وجه التعاقب
 في عهد كل من الملك اموزيس والملك امونوفيس الاول والملك توتيس
 الاول والملك توتيس الثاني والملك توتيس الثالث وقد اثبت في صلب الاصل
 المذکور ك كفضيلة الملك الملكة هاتازو من غير تعرض لبيان مرتبتها
 الزمانية ولكن حيث ان الملك توتيس الثالث طمس رسوم خاناتها الملوكية
 المصورة على بعض الآثار وانها هي قد تعدت على بعض خانات الملك توتيس
 الثاني وحازتها لنفسها في ك كثير من الجهات فقد وجب ترتيبها بين هذين
 الملكين وثبت بما توضح ان سلسلة الملوك المستنبطة من قصة جهة الكاب
 الاولى قد استجدها بالثانية ثلاث مراتب ملوكية أخرى وكون ملوك
 هذه الطائفة ك كانوا ذوى قرابة بعضهم لبعض خصوصا الجماعة المسمون
 بالتوتيسين هذا امر ثابت يستند لعدة آثار تقتضى ذلك من أشهرها دلالة
 عليه المسلات الموجودة بجهة السكرنك والقيودات التاريخية المسطرة
 بهيكل الجهة المذكورة مما يحدث عن وقائع توتيس الثالث الحربية وكثير
 من التماثيل الموجودة بمخزاة التحف والمستغربات بمدينة نقي لوندرو وبرلين
 الثالث لوح من الحجر يوجد بالاتيقة خانة المصرية بيولا قما ثور عن رجل
 من قدماء المصريين يقال له نبوى مذکور فيه ترتيب الملك توتيس الثالث
 والملك امونوفيس الثاني كل منهما في مرتبة وجوده الزمانية الرابع أثر
 كتابة قديمة كذلك مأثورة عن رجل من خدمة الملوك يسمى هورانيب
 بالجهة

بالجهة المسماة عبد القرنة (باقليم قنا) يقول فيها انه خدم الملك امونوفيس
 الثانى ثم الملك توتيس الرابع ثم الملك امونوفيس الثالث واذا كان الحال
 حسبا ذكرها هي سلسلة ملوك العائلة الثامنة عشرة لازالت مستمرة من غير
 انقطاع وبذلك توفق لنا ترتيب جميع ملوكها في مراتبهم الزمانية تقريبا
 واذا اعتمدنا على نص تاريخ القسيس ما يتنون وصحيفة ابيدوس أيضا نقول
 بأن الذى خلف الملك امونوفيس الثالث الذى هو آخر ملوك هذه الطائفة على
 سرير الملك بغير واسطة هو الملك هوروس وفيه بحث فائنا اذا نظرنا فى مادة
 الآثار الماثورة والعمارات القديمة نعلم ان الملك هوروس هذا كان قد انشأ
 بجهة الكرنك بابا محصنا كبيرا أدخل فى عمارته بعض المواد المستجلبية من
 آثار عمارة أخرى متخرّبة يوجد عليها فى ضمن خانات ملوكية مصورة باسمه
 عنوان الملك خوانادان (وهو المسمى أيضا امونوفيس) ومن ذلك يؤخذ ان
 الملك خوانادان المذكور كان سابقا عليه ومن حيث ان الملك خوانادان
 أيضا طمس بعض الآثار والكتابات المنسوبة للملوك السالفين فى كثير من
 الجهات لغاية عصر الملك امونوفيس الثالث فهذا دليل أيضا على ان الملك
 امونوفيس الثالث كان سابقا على الملك خوانادان المذكور واذا تقرّر ذلك
 فليس للشك سبيل فى انه قد تخلل فيما بين الملك امونوفيس والملك هوروس
 الواردين بصحيفة ابيدوس ملك آخر وهو الذى نسميه امونوفيس الرابع وفقا
 للصواب وطبقا للمادل عليه الدليل الغير المستراب ولا حاجة للاطالة هنا
 باستمرار مثل هذه المناظرات وللايضاح عن جملة الاستقصات
 والملاحظات التى توصلنا بها لتحقيق كون الملك امونوفيس الرابع لم يكن
 وحده هو الذى اهتدينا لاستكشافه والوقوف على حقيقة حاله وان قد

خلفه على كرسى المملكة المصرية اثنان بل ثلاثة من أهل بيته كان جميعهم قد سقطوا من سلسلة فراغنة الديار المصرية الاصليين وانما أردنا أن ثبت بما سمعنا به هنا على أن الآثار المأثورة والعمارات القديمة هي التي أرشدتنا بفرد ها للوقوف على حقيقة أحوال ملوك العائلة الملوكية الثامنة عشرة بتمامها وأنه لم يضربنا ما اعتري نصوص المؤرخ ما يتنون من التغليب والخلط ولما وجد في صحيفة ابيدوس من مدد الخلو والسقط وبالجمله فان عصر العائلة الثامنة عشرة هذه هو عصر الآثار المصرية العظيمة والعمارات الفرعونية الفخيمة فمن ذلك الهيكل الذي انشاء الملك امونوفيس الثالث بجبل البرقل على القرب من الجهة المعروفة بابي جدو والشلال الرابع موضوعا على مقدم كل طرقة من الطرقات الموجودة فيه تماثيل صك كبيرة على هيئة الكبوش الرابضة ومن آثار هذه المدة أيضا الهياكل التي شادها الملك توتيس الثالث بناحية سوليب فيما بين الشلال الثاني والثالث وبناحية سمحه فيما فوق وادى حلقة بشي يسير وبجهة عمادة من بلاد النوبة ومنها أيضا الهيكل العظيم الذي كان موجودا بجزيرة ايلفتين من اعمال الملك امونوفيس الثالث وقد هدمته من منذ ثلاثين سنقيد التلف من أهل أسوان وكان من أجل الهياكل المصرية القديمة ومنها ما هو من آثار الملكة هاتازو وهو الباب المتضمن حجر الصوان المعشق بساحة دور هيكل اومبو والتساوير البارزة الموجودة بجبل السلسلة مما يحدث عن سيرة الوقائع الحربية التي كان قد ياشرها الملك هوروس في عصره واتمام مدينة طيبة فلم تزل في أكثرها مشرقة الانوار بجمال الآثار الباهرة وبهجة العمارات الفاخرة التي ابقاها ملوك العائلة الثامنة عشرة هذه حيث ترى هناك

على الجانب الايسر من النيل هيكل الدير البحرى والجهة الشمالية من
مدينة آبو من اعمال الفراعنة التوتيسين وترى هناك التماثيل العظمين
المتسوين للملك توتيس الثالث والنواويس المفخرة السكّانة بناحية
عبد القرنة وما يوجد بالوادي الغربى من قبور الملوك الثلاثة والاربعة
الموجودة هناك مما يزل يتردد عليه الزائرون لغاية الآن وعلى الجانب
الايمن العمارات المشيدة بالموجودة بجهة الكرنك هي أيضا من آثار العائلة
الملوكية الثامنة عشرة فان الملك امونوفيس الثالث كان أول مؤسس لهيكل
الاقصر ثم اعتنى بتشييد عمارته وتجهيز زينتة الفراعنة من بعده لغاية ملوك
العائلة الخامسة والعشرين وأما آثار العائلة الثامنة عشرة بالجهات
الانحرى من الديار المصرية فهي أكثر من أن تحصى وأكبر من أن
تستقصى اذ منها ما يوجد بجهة الكاب وتل العمارنه وجبل قوته وبمدينة
منفيس وناحية سقارة وجهة الاهرام ومدينة هليوبوليس وسربوت
القديم ووادي المغارة وبالجملة فيجب التصريح بأن ملوك العائلة الثامنة
عشرة هم أكثر جميع العائلات الملوكية المصرية منشألاً لآثار القديمة
المتكاثرة بالاتيقة خانات وخرانات التحف والمستغربات الموجودة بجهات
بلاد الاوربا وبمدينة القاهرة اليس من جللتها التماثيل الجميلة المنقولة الى
مدينة تورينو على ان فى الاتيقة خاتمة المصرية ما يعادل جميع هذه التماثيل
من حيث حسن بدعة الصنعة وهو صورة المجسم الاعلى من التماثيل العظم
المصور بصورة الملك توتيس الثالث وبها اللوح الحجرى النفيس المتخذ من
حجر الصوان الذى وان كان أمره قريب عهد بأهل العلم صار له بينهم الشهرة
بما هو منقوش فيه من القصيدة الشعرية المنقولة لتخليد انتصارات الملك

توميس الثالث في وقايعة الحربية وهذه القصيدة الجميلة وان كان قائلها متقدما في الزمن بحجمه قرون عن عصر امبروس (وهو الشاعر اليوناني الشهير الذي سارت بشعره الركبان في الا عصر السالفة) وعن ظهور مصنف التوراة فانه يظهر عليها من حسن الاساليب الشعرية وصفاء الخواطر التخيلية ما يجعلها من أنفس النوح لنوع أدب السلف يرويه الرايون ومن أحسن مثال من ذلك يتسامر به المتسامرون ومن آثار العائلة الثامنة عشرة أيضا ويعزى للملك اموزيس أول ملوكها القطة الحلبي والمصاعن الجميلة التي استكشفناها في داخل تابوت والدته هذا الملك المسماة عاهوتيب وهي محفوظة في ضمن المحفوظات بالاتيقة خانه المصرية بيولاقي ومن أعظمها الاشياء التي ستذكر أدناه

الاول بلطة وهي الاشارة التي كان من عادة قدماء المصريين التكنية بها عن ذات معبوداتهم ونصلتها من الذهب الابريز مصور عليها من أحد الجانبين تصاوير اشارية وعلى الجانب الآخر صورة الملك اموزيس متباعد ما بين الساقين واقف عليه يرمى بها رجلا من القوم المتوحشين ويدها من خشب مطلية بطبقة من الذهب وفي الطلاء المذكور رسم كتابة بالقلم المصري القديم يقرأ فيها عنوان الملك اموزيس بما يشتمل عليه من الالقاب السلطانية الثاني قلادة صدرية من الذهب الابريز مثقبة الصنعة وهذا الاثر الذي لم يظفر له على نظير لغاية الآن ويكبر مقامه عن التقويم هو على شكل معبد صغير من معابد المصريين الاقدمين وفي وسطه صورة الملك اموزيس قائما في سفينة تسير فوق الماء من الاوقيانوس بالغلك الاعلى وعلى جانبه قريبا منه صمخان يصبان على رأسه ماء يتطهر به ومن اطلع على هذا الاثر الغريب

ظهر

ظهر له ما يمتاز به عن غيره من اتقان الصنعة وحسن الافراغ في قالب
البسطة فليست ألوانه متخذة من تنوع ملونات كما يظهر لا كثر الرائين
بل هي مصنعة من صفائح رقيقة من الجواهر النفيسة من الفيروزج
واللازورد والعقيق الاحمر مركبة في فواصل من الذهب وفي الوجه
الثاني منها جله تصاوير مصنعة بالمصغر يحصل منها منظر آخر ربما كان
أبهج من منظر الوجه الاصل منها

(النالت) زورق من الذهب الابريز تحمله عربة ذات عجلات من التوج
أشبه شكلا بالقوارب المعروفة في مدينة القسطنطينية بالقايق أو بالقضبات
المستعملة بمدينة البنادقة من مدن بلاد الايطاليات بمالك الاوربا وصورة
القذايق من الفضة الخالصة وفي الوسط منها صورة شخص صغير الجسم
بيده بلطة وعصا معوجة وفي مؤخر الزورق المذكور صورة سفان يقبض
على يد دفة هي عبارة عن مقذاق ذي لوحة عريضة يدير بها سير السفينة
حسبما كان معروفا من هذه المائدة في ذلك العصر وفي مقدمه صورة منشد
قائم على قدميه يتنظم عملية القذايق على توقيع المغاني وعلى القرب منه
صورة عنوان الملك اهميس مصورة بخاناته السلطانية وجميع صورة
هذا الزورق من قبيل الاشاعات فانه كان من عقائد قدماء المصريين ان
الروح قبل أن تصل الى موضعها من دار الآخرة تمر بفراغات من الفلك
الاعلى بها مزارع وأنهار وخليجان فكانت السفينة اشارة للرحلة الى دار
الآخرة

(الرابع) اسورة من الذهب الابريز بها صور أشخاص من الذهب على
أرضية من اللازورد وما يوجد على هذه الاسورة من التصاوير هو أيضا من

أبداع التصاوير صناعة وبها صوراً لألهة الموت

(الخامس) صور ثلاث فحلات مفروغة في صفائح من الذهب الابريز يجمعها سلسلة عامة جميعها مرتبط بها وقد تراءى لبعض الناس ان مجموع هذه الفحلات الثلاث انما هي صورة نيشان التشریف نعم ان اتخاذ نيشانات الشرف كان عادة مطردة بالديار المصرية من قديم الاعصار فان قصة أحد أرباب المناصب التي وجدت مكتوبة بالقلم المصري القديم على جوانب قبره بجهة الكاب وهو المسمى اهميس كاسم ملك هذا العصر وكان معاصراً للعهد الذي صيغت فيه هذه المصاغيات قد ذكر بها أنه خدم بجملة ملوك واحد بعد واحد ونال من نيشانات التشریف في تقدير ما أبداه من افعال الشجاعة ما بلغ سبع مرات ولكن لعل نيشانات الشرف العسكرية التي نالها اهميس هذا لم تكن صورة الفحلات الثلاث التي وجدت بقبر الملكة عا هو تيب المذكورة والذي نراه أقرب للعقل هو ان علامة الشرف العسكرية كانت صورة الاسد حيث وجد منها بعض صور في ضمن النقوش المصوّرة في النواويس القديمة

(السادس) تاج من الذهب لحفظ الشعور توضع في دائرته على هيئة الضفائر محلى بتمثالين صغيرين جالسين جلسة القرفصاء على كل من طرفي شيء فيه كالعلبة في هيئة خانة ملوكية كالتي توجد في ضمن التصاوير بالقبور والآثار المصرية القديمة مكتوب فيها اسم الملك اموزيس بحروف من الذهب على أرضية من اللازورد ظاهرة في وسطه

(السابع) خنجر نصله من الذهب وهو أنفص ما يرى من الآثار القديمة فان قبضته محلاة بنقوش مثلثة الاشكال من ألوان متنوعة تنتهى بصور

أربع نسوة من أتقن ما يكون من فروع الصنعة وفي وسط النصل جلبة معدنية حالكة اللون يتشر عليها حلبة باهرة اللون من الذهب المسقط مكتوب فيها أيضا عنوان الملك اموزيس معصوبا من أحد الجانبين بصور جللة من الجراد يتدئ كبيرة مع اول النصل ثم تصغر شيئا فشيئا الى نهايته ومن الجانب الآخر بصورة أسد يفترس ثورا غريبة جدا وغرائبها خصوصا من حيث ان هذا الرسم هو من خواص بلاد آسيا وقد وجد في تعلقات هذا الملك الذي كان محصورا في جهة الصعيد ولم يتفق له في الحقيقة انه شاهد تلك البلاد

(الثامن) امرأة على صورة فرع نخلة تريف الشكل قبضتها من خشب مطلية بالذهب قد ذهب صقال دائرتها مع طلاء الذهب الذي كان عليها ودائرتها هذه في ثقل الذهب مركبة من مواد تظهر حقيقة حالها بتحليلها بمعرفة أهل الكيمياء المتأخرين

(التاسع) اسورتان محمل قفلهما على اليد عبارة عن جلبة من الذهب محلاة بصور خانات ملوكية تشتمل على عنوان الملك اموزيس ومجسمهما مصطنع من سلوك من الذهب منظم فيها فصوص من اللازورد والفيروزج والعقيق والذهب

(العاشر) خنجر آخر فصله من التوج وقبضته عبارة عن دائرة من الفضة وكانت كيفية الضرب بهذا النوع من الاسلحة أن يخرج النصل من بين السبابة والاصبع الوسطى ويعتمد بالقبضة على راحة الكف

(الحادي عشر) قلادة متكوّنة من جللة خرزات مخيطة على الكفن يرى فيها من صور سباع الطير والوحوش كالبراة والتشور والبقال

والآساد في وسط أنواع حلية أخرى متضمنة من صوراً أصناف النباتات
 (الثاني عشر) سلسلة مجدولة من سلوك الذهب طولها أكثر من متر
 تنتهي من طرفها بقفلين على شكل رؤس الاوز مكتوب عليها عنوان
 الملك اموزيس بخاناته السلطانية ومعلق فيها صورة جعلان بديعة الصنعة
 أرجلها مثنية الى بطنها قلند فيها المصور الحقيقة الطبيعية على وجهه من
 الضبط والدقة غريب جداً وحلية تظهر منها عبارة عن فواصل دقيقة
 من الذهب يظللها مركب من اللون الازرق السماوى من أصنى ما يكون
 وهي اشارة للقوة الخالقية التي تعيد الروح الى الجسد في دار الخلود
 (الثالث عشر) دملج تحلية الزند وحليته عبارة عما أصله صورة نسر
 مفرد الجناحين وهذا الاثر هو أبداع النموذج لما كان يصطنعه صاغة قدماء
 المصريين في الاكثر من هذا القبيل
 (الرابع عشر) جلة خلاخل من نوع الاساور الغليظة التي تعلل بها
 السيقان

(الخامس عشر) عصا معوجة من الخشب الاسود ملتف عليها صفيحة
 من الذهب حلزونية الشكل ولعل هذه العصا اشارة الرياسة كما هو معهود
 لغاية عصرنا هذا ايلاذ النوبة من أنه يكثر في يد أهل هذه البلاد عملها

(ما يتعلق بالعائلة الملوكية التاسعة عشرة)

الملوك السبعة الذين ذكرهم القسيس ما يتنون على انهم هم ملوك هذه
 العائلة الملوكية اهتدينا للحقيقة أحوالهم بالآثار والعمارات المصرية
 القديمة وترتبوا في منازلهم الزمانية بناء على استدالات يطول أمر
 ايرادها

ايرادها هنا على ان من ضمن آثام ملوك العائلة التاسعة عشرة المذكورة
ما نسرده هنا أيضا وهو

(أولا) عدة عمارات كان قد شرع في اقتنائها القراعنة السابقون
عليهم وهم جاؤا بعدهم فأتموا عماراتها

(ثانيا) جملة عمارات وآثار أخرى باسروا الامر بانشاءها وكانوا اول
المؤسسين لها أما العمارات التي من الطائفة الاولى فهي كثيرة حيث
لا يكاد يرى للعائلة الملوكية الثامنة عشرة هيكل من الهياكل المنسيدة
عن يدهم الا ومصور عليه أيضا اسم ملوك العائلة التاسعة عشرة خصوصا
الملك رمسيس الثاني منهم وهذه الحادثة أمرها ظاهر خصوصا بمدينة
طيبة فان هيكل الاقصر كان قد أحدثه بها الملك امونوفيس الثالث ثم ما كان
موجودا فيه من المساتين اللتين نقلت احدهما الى مدينة باريس فهما من
اعمال الملك رمسيس الثاني كالتماثيل الاربعة الكبيرة المنصوبة امام الباب
المحصن الكبير المذكور وان كان من انشاء الملك امونوفيس الثالث
فان التماثيل المنقوشة فيه هي من عصر رمسيس الثاني وكذلك الحال
بناحية الكرنك فانك ترى كلا من عنوان الملك سيتي والملك رمسيس
الثاني وحدهما مثبتا على الباب الكبير المحصن الموجود فيها من
الجانب الثاني وعلى الاعمدة العظيمة المرفوعة عليها القاعة ذات العمدان
التي بها وكذلك على حيطان سورهما من الخارج وبالجملة فان الملك رمسيس
أتى من التعدي على ما للغير في مادة الآثار والعمارات بما هو من أغرب
المستغربات حيث محافى كثير من التماثيل والتماثيل الكبيرة والصغيرة المصنوعة
فيها ذوات ملوك العائلتين الثانية عشرة والثالثة عشرة ما كان

يوجد فيها من الاسماء الدالة على أصل منشئها وتوارىخها ووضع
 في موضعها عنوان نفسه بغاية من العناية والدقة في الصنعة بحيث يمتحن
 على أدق أهل الخبرة نظرا بمواد الآثار والعمارات وقد كانت موجودة
 من قبله بالفسنة وأما الابنية والعمارات المستحدثة بمعرفة ملوك العائلة
 التاسعة عشرة على الحقيقة فنها قبور الجهة المعروفة بباب الملوك
 خصوصاً قبر الملك سبتي الاول فانه أجمل الابنية المؤسسة تحت لارض
 بالديار المصرية ومنها الآثار الموجودة بجهة ايسنبول المحفور جميعها
 في صلب حفرة بجانب جبل هناك بقصد تخليد ذكر الانتصارات التي كان
 قد نظرها الملك رمسيس الثاني في محارباته مع طوائف السودان وطائفة
 الخيتاس ومنها ما أنشأه هذا الملك من الهياكل بناحية الدرويت الوالي
 ببلاد النوبة ومنها الآثار التي أنشأها الملك سبتي الاول بمحطة القوافل
 بالطريق الموصل من قرية الرداسية امام ادفو الى معادن الذهب بجبل
 الاتوكي وقد دل ما بها من الكتابات الكثيرة بالقلم القديم المصري على
 السبب الباعث لانشاء هذه المحطة في وسط الصحراء وذلك هوان معادن
 الذهب الموجودة بجبل الاتوكي هذه بقيت مدة مديدة لا يرد منها محصول
 لداعي هلاك المسافرين في تلك الطريق بالعطش لاستخراجها حتى جاء
 الملك سبتي الاول وحدث فيها عينا يتبع منها المأثرى الواردين والمتريدين
 بها وانشأ هناك تخليدا لذكر هذه الحادثة هيكلا لم يزل موجودا لوقتنا هذا
 وأما مدينة طيبة فقد أسلفنا غير مرة ذكر ما لحقها أيضا من مكارم ملوك
 العائلة التاسعة عشرة بتقليدها منهم بأفضل العمارات وأجمل الآثار
 والبنائات بحيث يكاد أن لا يكون لنا حاجة لتوضيح هذه المأادة بالثاني
 ولكن

ولكن نعود فنقول انه يوجد في داخل سور الكرنك ثلاثة هياكل صغيرة من عمل الملك رمسيس الثاني وان كان قد اعترها التلف ومن أعماله أيضا العمارة الهائلة المسماة بالرمسيسية وهيكل القرنة الذي أنشأه الملك سيتي الأول على ضفة النيل اليسرى لتخليد ذكر أبيه رمسيس الأول وكذلك الهيكل الصغير الموجود بجهة أييدوس الذي اشتهرت النقوش المسطرة فيه بصيغة أييدوس من حيث وجدت فيه فانه من آثار الملك رمسيس الثاني والهيكل الكبير الجارى فيه الآن عمل الكشف والتفحص لاستفادة العلم بأحوال الديار المصرية هو أيضا من انشاء الملك سيتي الأول ولا شك في ان مدينة منفيس فازت أيضا بحسن التفات فراعنة العائلة المالوكية التاسعة عشرة نعم لم يبق من هذه المدينة الشهيرة الا اكوام من الآثار وتلال من الاطلال ولكن ما يشاهد لغاية الآن بموضعها الذي هو ناحية ميت رهينة من حسن صورة التماثيل الكبيرة التي رأسها أشبه شئ بصورة رمسيس الثاني يشهد بعناية هذا الملك بتخليد هذه المدينة التي كانت كرسى المملكة المصرية من جهة الشمال ومن جله الآثار المنتسبة للعائلة المالوكية التاسعة عشرة أيضا هيكل مدينة سان الذي كان قد انهدم بحاصرة الملك اموزيس لهذه المدينة فأقام جميعه بالثاني الملك رمسيس الثاني ثم الملك مينفتاحم الملك سيتي الثاني وهما في عملية الكشف والتفحص الجارية بأمر سعادة خديو مصر الآن بهذه الجهة لم تزل مستمرة وقد نتج منها الحصول على عدة آثار من عصر الملوك الرعاة واستخرج من هذه العملية احدى عشر مسلة وجله من الألواح الحجرية المتخذة من قطعة حجر واحدة من الصوان كبيرة وصغيرة وبذلك يستدل على أن هذا الهيكل

كان من أعظم الهياكل التي أسستها العائلة المالوكية التسعة عشرة
بالديار المصرية

(ما يتعلق بالعائلة المتممة للعشرين)

كان اسم جميع ملوك العائلة العشرين ومسييس كما أن ملوك العائلة
المالوكية الثالثة والثلاثين تسموا جميعهم فيما بعد ذلك باسم بطليموس
ولم يتيسر لنا مادة لترتيب هؤلاء الملوك في مراتبهم الزمانية سوى بعض آثار
متفرقة ومقابر مدينة طيبة خصوصاً قبور الجهة المعروفة بباب الملوك
والسبب في ذلك أن ملوك هذه العائلة لاشتغالهم بالفتن الداخلية
والمشاجرات الأهلية لم يلتفتوا لإنشاء كثير من العمارات الأثرية ومع
ذلك فإن القصر والهيكل اللذين هما من آثار هذه العائلة بمدينة
أبوليسادون أجمل العمارات الموجودة بالديار المصرية ومن آثار هذه
العائلة أيضاً الهيكل المعروف بهيكل شونس الكائن على جنوب الكرنك
قريباً من الطريقة الكبيرة المصفوف عليها القنايل الكبيرة المصورة الرأس
على شكل الكبش وهذا الهيكل وإن كان يرى عليه في جميع أجزائه
عناوين ملوك العائلة الحادية والعشرين مكتوبة في خاناتهم السلطانية
عليها فنعلم أنه من إنشاء ملوك الدولة الرميسية ومن آثارها أيضاً
اللوح الحجري الذي أهداه بر يس المقدم ذكره إلى خزانة الكتب السلطانية
بمدينة باريس وأصل استخراجها من هيكل شونس هذا وهو أثر مفيد
تتعلق به الرغبات من وجوه كثيرة منها ما حكى فيه بالاستناد لنفس الدولة
الحاكمة حين ذلك من قصة حادثة تاريخية رسمية وقعت في ذلك العصر

مضمونها ان أحد الملوك المصريين المذكورين لقي في بعض أسفاره ببلاد
الميزوبوتاميا (الجزيرة بين دجلة والفرات) وكانت في ذلك الوقت من
الاعمال التابعة لسلطنة الفراعنة إحدى بنات الملوك بتلك الجهات فتزوج
بها ثم مضى على ذلك بعض سنوات وكان فرعون رمسيس جالساً في قصره
بمدينة طيبة وإذا ببعض الخدم أخبره بأن رسولا قد حضر من طرف والد
زوجته يلتمس منه ان يرسل اليه طبيباً حاذقاً ليعالج أختاً لزوجته أصابها داء
أعجز الاطباء فبعث معه طبيباً مصرياً وكانت ابنة الملك التي هي أخت زوجة
فرعون مصر مصابة بداء عصبي وكانوا يتوهمون على حسب اعتقاد أهل ذلك
العصر انها صرعاها بعض الجن فتلبس بها بحيث لا يفتر عنها فلما وصل اليها
الطبيب المبعوث من لدن فرعون رمسيس أفرغ وسعه في علاجها فلم يرفع
قال اللوح الجري الذي هو الراوى لهذه القصة ولم يخرج الجن منها فرجع
الطبيب الى الديار المصرية وبنت الملك على حالها من العلة المتكسنة منها
وكان ذلك لخمس عشرة سنة خلون من حكم الملك رمسيس المذكور ثم بعد
ذلك بأحدى عشرة سنة يعنى في عام ستة وعشرين من حكمه وفد على ملك
مصر رسول آخر وأقاده من طرف الملك حليفه بأنه لا يشفى ابنته من علتها
الامباشرة علاجها بنفس أحد الآلهة المعبودين بمدينة طيبة فأجابه ملك
مصر في هذه المرة كالاولى وبعث اليه الاله المسمى شونس فطالت مدة ذهابه
واستغرقت مسافة سنة وستة اشهر حتى وصل الاله طيبة هذا الى بلاد الجزيرة
وعزم على الجن فخرج من بدن ابنة الملك وعادت للصحة كما كانت ولكن لم تقه
الى هذا الحد هذه القصة المكتوبة بقلم التصوير على ذلك اللوح الجري
المحفوظ بخرانة الكتب السلطانية بمدينة باريس بل اثبت فيها على الاثر

ما يفيد ان ملك الجزيرة لما عرف من فضيلة هذا الاله ما جربه من ان مجرد
حضوره يشق وحيامن الامر اض على هذا الوجه العجيب والمنهج المعجز
الغريب خاطر بنفسه على معاداة صهره فرعون مصر مع ما هو عليه من
الشوكة القوية وصمم على ان أمسكه في قصره فأقام الاله شونس مأسورا
بيلاد الجزيرة ثلاث سنوات وتسعة أشهر ثم بعد تلك المدة تراءى لملك الجزيرة
المذكور رؤيا منامية كأن الاله المحبوس طار الى مصر على صورة باز من
الذهب وفي وقت طيرانه أصيب الملك بعللة فجائية فأمر بإطلاق الاله
المذكور في الحال ورجع الى محله كما كان من الهيكل المعتد به بمدينة طيبة
في سنة ٣٣ من حكم الملك رمسيس والى هنا انتهت هذه الحكاية بالمعنى
ولعل ملك الجزيرة توهم ما هاله من أمر هذا الحلم فتطير منه ورأى فيه اندارا
بما يقع له على الحقيقة كما يفهم ذلك من المبادرة بالأمر بإطلاقه في الحال

(ما يتعلق بالعائلة الملوكية الحادية والعشرين)

مشايخ الديانة المصريون الذين كانوا قد تغلبوا على سرير المملكة وتعب عنهم
بملوك العائلة الحادية والعشرين انما اتوا عمارة الهيكل الكائن بين الكرنك
والاقصر وعليه توجد اسماءهم مكتوبة وأما العائلة الملوكية المعاصرة لهم
من ملوك الدولة المصرية الحقيقية فان لها آثارا يبعث بعض جهات خصوصا
بجهة سان وقد عثرنا لها على بعض تيجان ابنية وبعض صفائح من الذهب
محفوطة في ضمن المحفوظات بخزانة الآثار القديمة ببولاق دللتنا على أسماء
بعض ملوك مستجدين من ملوك هذه العائلة الملوكية

ما يتعلق

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثانية والعشرين

ذكر القسيس ما ينتون في تاريخ مصر أسماء الملوك التسعة الذين أصلهم من تل بسطة من ضمن ملوك هذه العائلة وتحققت انساب بعضهم أيضاً باستكشافهم من الكتابات القديمة على الصنم المصور بصورة ما كان يعبده قدماء المصريين من الاله المدعوق بالنيل وهو موجود بخزانة المتحف والمستغريات بمدينة لوندريه وبكتابات قديمة وجدت أيضاً على أحد الحيطان الخارجة من الكرنك وفي ضمن النصوص النفيسة التي ظفرنا بها من منذ اثني عشرة سنة بقبر معبود المصريين المسمى ايس (وهو العجل) بجهة سفارة وهي محفوظة في مجلة الاشياء النفيسة المكتناة بخزانة المتحف والمستغريات بقصر لورده بمدينة باريس ولا يعرف لهذه العائلة الملوكية عمارة جسيمة تنسب اليها ولا آثار عظيمة انشأتها بالديار المصرية لغاية الآن ولا شك انه باستمرار عملية الحفر بناحية تل بسطة التي كانت كرسى مملكة ملوك هذه العائلة لا بد وان تظفر لها على بعض آثار عمارات كانت قد احدثتها تشييد هذه المدينة

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثالثة والعشرين

كانت مدة هذه العائلة الملوكية على الديار المصرية عصر فتن واختلال كما دل على ذلك ما هو مسطر من سيرة الحوادث التي وقعت في ذلك العهد بتمامها على لوح من حجر الصوان استكشفناه في اثناء اعمال الحفر الجارية على يدنا في هذه المدة الاخيرة بجيبيل البرقل وهو من انشاء ملوك الدولة

الايثيوبية (الزنجية) وليس من اعمال الفراعنة المصريين الاصليين فليتبه
لذلك والذي يستنتج منه هو ان طائفة الكوشيين (الزنج) لما احدثوا
لاقتسامهم مملكة مخصوصة تدينوا بدين المصريين واستعملوا طريقة كتابتهم
واتخذوا لغتهم فقد كان تمدن الايتوبيين متولدا عن تمدن قدماء المصريين
بدليل ما يتضح لنا من حال هذا اللوح الحجري المذكور حيث انه مع كونه دلنا
على ان الايتوبيين كلفوا المصريين بغائلة غلبتهم عليهم ارانا في مرآة هذه
الحادثة أيضا أشبه شيء بنهر رجوع على منبعه بالعصيان وانما قلنا بأن مدة
العائلة الملوكية الثالثة والعشرين كانت على مصر عسركت واختلال لانها
كانت في تلك المدة متوزعة بين جملة عائلات ملوكية متشعبة على غير عهود
والعائلات الملوكية الاصلية أو ردمتها القسيس ما يتون في جدول الملوك
الذي أثبتته في آخر تاريخ مصر ما تراءى للحكومات المصرية فيما بعد بالطريقة
الرسمية انه هو العائلة الملوكية الحقيقية وأسقط ما سوى ذلك وملوك تلك
العائلة عبارة عن ثلاثة أصلهم من مدينة سان واتضح لنا من اللوح الحجري
الذي وجدناه بقبر معبود قدماء المصريين المسمى ايبس بجهة سقارة عائلة
ملوكية أخرى وقفنا منها على حقيقة ثلاثة ملوك أيضا كعائلة مدينة سان
المذكورة وهي التي كانت مستقرة الدولة بمدينة منفيس ومن اللوح الحجري
المستخرج من جبل البرقل اهتدينا أيضا إلى كون بعض اقاليم من الديار
المصرية كانت في أثناء تلك المدة في قبضة بعض ملوك طوائف متفرقين
ليسو من ذكرهم المؤرخ ما يتون ولا من وردوا باللوحة الحجري الذي وجد
بقبر ايبس

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الرابعة والعشرين

صرح المؤرخ مايتون بأن هذه العائلة الملوكية لم تكن الاعبارة عن ملك واحد وهو الملك بوكوريس لا غير وقد بقي اسمه الذى كان يعرف به عند المصريين على اسلوب لغتهم مدة مديدة مجهولاً حتى عثرنا عليه مكتوباً على بعض أحجار من قبر معبود المصريين المدعوايس وهذا هو غاية ما ظفرنا به من العلامات الاثرية الدالة على وجود هذا الملك لغاية الآن وليس لنا دليل على ان الايتوبيين لم يستولوا فى عصره على الاقاليم الجنوبية من الديار المصرية

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الخامسة والعشرين

فى مدة هذه العائلة كانت قدمت الغلبة لطائفة الكوش على المصريين ومن ثم فلا غرابة اذا كنا قد وجدنا أسماء ملوك هذه العائلة مثبتة على الآثار ببلاد السودان وبمصر معاً ولم يذكروا القسيس مايتون سوى ثلاثة ملوك لا غير والظاهر ان مامشى عليه المؤرخ المصرى هو ما كان يترامى للمصريين فى هذه المادة فان الوارد بالالواح الحجرية التى وجدت بقبر ايس هو ان الملك ايساماتيكوس الذى هو أول ملوك العائلة السادسة والعشرين اعقب على سرير المملكة المصرية الملك تهراكه الذى هو ثالث ملوك العائلة الخامسة والعشرين المذكورة ولكن اذا كان الايتوبيون قد اتخذوا لانفسهم مجلات تاريخية كما صنع المصريون فلا بد وان يوجد فيها اسم ملك رابع وهو زوج الملكة الايتوبية الموجود لها تمثال بمخزنة

الا ثمار الخديوية بيو لاق وهو المسمى بيا نجي خلف تهر اكه على اقاليم الصعيد
 بوقت ان كان المملوك المصريون الاثنا عشر المتحالفون مقسمين فيما بينهم
 باقى الديار المصرية فى ذلك العصر ولكن الملك ايساماتيكوس وان كان قد صعد
 على كرسى المملكة المصرية بعد انكسار الملك تهر اكه بمخمس عشرة سنة
 لم يعبا بمن كان موجودا باقاليم الصعيد من شردمة الملك السودانى المزاحم له
 واعتبر نفسه هو الملك الاصلى من ابتداء اليوم الذى انقطع فيه حكم ثالث
 مملوك الدولة الايتوية

(ما يتعلق بالعائلة المملوكية السادسة والعشرين)

كانت مدة العائلة المملوكية السادسة والعشرين من تاريخ الديار المصرية
 هى العصر الذى اخذ فيه اليونان فى زيادة التردد على شواطئ النيل واخذ
 ذكر مصر اكثر من حينئذ فى كتبهم ولذلك كان يوجد فى الكتب اليونانية
 المتداولة بايدى الناس تعداد مملوك العائلة المملوكية السادسة والعشرين
 على وجه الضبط المستوفى ولا صعوبة ايضا فى الحصول على اسماء مملوك هذه
 العائلة من تاريخ مصر تأليف القسيس مايتون وقد ورد فى صلب الاواح
 الحجرية التى وجدت بقبرايدس بيان جميع الآثار والعمارات التى حدثت
 فى عصر المملوك المسمى باسم ايساماتيكوس فمن ذلك ما كان المصريون
 يحافظون على تقييده بالطريقة الرسمية من عنوان قبر كل عمل يعبدونه
 فى ضمن لوح من الحجر يوضع معه فى قبره اذامات وكانت جميع قيودات هذه
 العناوين تقرى على صيغة واحدة فكانوا يثبتون بها تاريخ مولد العمل
 وتاريخ وفاته ومدة عمره بالسنة والشهر واليوم من تاريخ حكم الملك الحاكم

ولا يخفى على أحد منفعة مثل هذه الفوائد إذا صار الوقوف عليها بالنسبة لتاريخ مصر فاتها إذا كنا قد نظرنا بأحد هذه العناوين منصوصا فيه على أن أحد العجول المعبودة للمصريين باسم ايبس ولد لثلاث وخمسين سنة من حكم أحد الملوك وماتت لست عشرة سنة من حكم ملك آخر وإن عمره كان سبع عشرة سنة مثلا فلا نستفيد من ذلك عدة فوائد

(أولا) أن الملكين الواردين فيه قد أعقب أحدهما الآخر في الوجود الزماني (ثانيا) أن أولهما كانت مدة حكمه أربعين سنة ومدة حكم الثاني لا أقل من ست عشرة سنة وبمقابلة جميع ملوك العائلة السادسة والعشرين واحد بعد واحد على ما وجد بقبر ايبس من عناوين العجول المعبودة للمصريين في تلك المدة يتحصل لنا الوقوف على حقيقة مرتبة كل منهم من حيث وجوده الزماني بالنسبة لمن عدا من ملوك عائلته وعلى صحة مدة إقامة العائلة بتمامها على سرير المملكة المصرية وغير ما وجد للعائلة السادسة والعشرين المذكورة من الآثار بقبر ايبس بناحية سقارة لم يعثر لها على عظيم شيء من الآثار والعمارات في غير ذلك من الجهات وانما عثرنا لها فقط على جملة قبور جميلة بجهة العاصيف من مدينة طيبة تتميز عن غيرها بما فيها من السعة وحسن افراغ التصاوير التي هي محلاة بها وكذلك يوجد بعض آثار متفرقة لبعض الملوك الذين جلسوا على كرسي المملكة المصرية في ذلك العصر ببحر اسوان ومحطة الحمامات ومدينة طيبة وجهة ابيدوس وسقارة ولم يكن السبب في قلة الآثار والعمارات المأثورة عن ملوك العائلة الملوكية السادسة والعشرين أنهم كانوا أقل حرصا على تخليد ذكركم بذلك من جميع ملوك العائلات الملوكية المصرية وانما في ذلك العصر كانت

قد تحوت دائرة القطن المصري بتمامها الى جهة الشمال من وادى النيل
وحيث كان ملوك هذه العائلة قد جعلوا مدينة صا الحجر مركزى دولتهم بتلك
الناحية صارت هى مركز قوتهم ومصرف همهم واحداثوا فيها العمارات
الكثيرة وأثروا بها الآثار الكبيرة فانه يفهم من شهادة المؤرخ هيرودوت
ان مدينة صا الحجر كانت قد صارت فى عصر ملوك العائلة السادسة
والعشرتين من أبهى مدن الديار المصرية احدث فيها الملك ابريس هيكل
لم يكن دون أنفخ العمارات المصرية بوجه من الوجوه وشيد لها الملك
اموزيس بابا كبيرا من أغرب الابنية وأعجب العمارات يفوق بكثير على
سائر الابواب التى من نوعه من حيث الارتفاع وزيادة الاتساع والعناية
باتضاب احجاره من أجود الاحجار وأكبرها ووضع عليه من الصور والتماثيل
الهائلة ما يفوق الحدود فى العظمة وكبر الحجم وعمما يوجد بمدينة صا الحجر من
الآثار العظيمة تماثيل هائل ارتفاعه خمسة وسبعون قدما تطير الموجود من
آثار الملك اموزيس بمدينة منفيس ولم يقتصر هذا الملك على تشييد الابواب
فقط بل كان قد احضر قطعاً من الاحجار فائقة الحد فى كبر الحجم بقصد تصليح
عمارة نفس الهيكل الموجود بتلك المدينة بعضها من حجر طرم وأكبرها
حجما من حجر اسوان وأغرب ما يرى بمدينة صا الحجر من الآثار القديمة
معبد صغير متخذ من قطعة حجر واحدة كان قد نقله فرعون اموزيس من
جبال جزيرة ايلقشتين الى صا الحجر وقام بنقله من تلك الجهة الفان من العمال
فى السفن على النيل مسافة ثلاثة أشهر وطوله من الخارج اثنا عشر مترا على
عرض سبعة أمتار فى ارتفاع أربعة أمتار وزنته مع ما فيه من التفريغ من
الداخل نحو أربع مائة وثمانين ألف كيلو غرام (وقدر الكيلو غرام ٣٢٠
درهما

درهما تقريرا) واذا كان الحال كما توضح فلا شك فيما حكاه المؤرخ
هيرودوت من درجة العظمة التي كانت قد ارتقت اليها مدينة صالجر
بعناية ملوك العائلة السادسة والعشرين واتضح أن ملوك هذه العائلة
صنعوا بكرسي دولتهم هذه نظير ما كان قد صنعه من قبلهم عشرة قرون من
الزمن ملوك العائلتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة بمدينة طيبة ولكن
أخفت هذه المدينة العظيمة يد المحدثان وأخلت منها الكون بالكلية
غوائس الزمان وما كان لها من الاشتهار في دقات وفاتح القنون والصنائع
وقبل الاعتبار في دقات أخبار القدن والبدائع لم يبق منه الآن سوى
اطلال مختلطة وآثار خرابات محتبطة اذا واطبنا على اعمال الكشف
والتفحص في موضعها وأطلنا الحفر في محل موقعها فلا أظن الحصول
على نتيجة للعثور على بعض الآثار الدالة على عظمة ملوك العائلة السادسة
والعشرين المذكورين

(ما يتعلق بالعائلة الملوكية السابعة والعشرين)

في هذه المدة كانت دولة القرم قد تغلبت على شواطئ النيل وحصل للملك
قبصوص ما حصل من خيبة الامل بانهمزام جنوده ثلاث مرات فاستشاط
غيفا وأساء السيرة في الديار المصرية وعامل أهلها معاملة اقوم المغلوبين
واستنقلت مصر وطائمه وقابلت بالكراهة شوكته ولذلك كانت هذه المدة
كلها عبارة عن فتن متوالية وقيامات أهلية متواترة لم يحصل معها
التفات لتشييد العمارات ولا لتخليد الذكر بالآثار والبنائات وانما وجد
اسم الملك قبصوص واردة على بعض ألواح حجرية مما طفرنا به في قبرائيس

بناحية سقاره وابقى الملك دارا بعض آثار تدل على مروره بمحطة الجماعات بل ابقى هيكل لا للمصريين المسمى امون بالواحات الخارجية وقد وجد اسم الملك ارتكز رئيس (او اردشير) مكتوباً في ضمن جملة عناوين ملوكية عثرنا عليها وعلى انا من ظريفين من الآثار القديمة يوجد أحدهما بالكتبخانة السلطانية بمدينة باريس والآخر بجريدة النفائس الموجودة بميدان مارمرقص مدينة البنادقة ولم يترك الفرس بأرض الديار المصرية غير ما ذكر من هذه الآثار النادرة آثاراً أخرى للدلالة على كيفية وجودهم بها خلاف ما أبقاه الملك قبصوص من الخرابات المتكومة والاطلال المتتلة أثر الغضب على المصريين وخبر سوميريه الى يوم الدين وانما وردت أسماء ملوك العائلة الملوكية السابعة والعشرين هذه بتاريخ القيسر ما يتنون

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثامنة والعشرين

والسابعة والعشرين والثلاثين

وهذه هي مدة قتل واختلال أخرى فان الديار المصرية وان كانت قد رجعت من قبضة الفرس الى أهلها الاصليين الآن أعداءها كقوا لم يزالوا على أبوابها واقفين ومع اشتغال أهلها في هذا العصر أيضاً يواغت الفشل القوية فقد أبقوا من العمارات الاثرية ما كان باهداً من هذه المدة أليق وما هو باهمج من ذلك العصر حتى فن ذلك الهيكل الكبير بجزيرة البرج على القرب من اسوان فان الملك نكتنبو الثاني من ملوك هذه المدة هو أول

من شرع في عمارته وزاد أيضا الملك نكتنبو الاول بعض زيادات في هيكل مدينة آبو والكرنك وهو الذي أتم عمارة قبر ايس بمدينة منفيس وابتنى الباب المحصن الكبير الجميل الموجود امام الابنية الموجودة تحت الارض هناك وكان كل من الملك اكوريس والملك تفرتين ممن اعتنى بتقليد العمارات الدينية بتمائله وتحليتها بتماثيله ومن آثار هذا العصر أيضا التوايت الكبيرة الجميلة المصنوعة من حجر الصوان الموجودة بمنزلة التحف والمستغريات بمدينة برلين وباريس وبالاتيقه خاتمه المصرية بيولاقي خصوصا تابوت الملك نكتنبو الاول الذي انتهى به بعض الناس واتقل الى مدينة لوندرد و مما ينبغي التنبيه عليه في هذا المحل ان الديار المصرية وان كانت قد نزلت في هذا العصر عن مرتبتها السياسية التي كانت عليها بالنسبة لغيرها من البلدان فلم يشاهد عليها في أثناء هذه المدة تطير مارقى على وجه آثار قنونها بعد غلبة اليونان عليها بسنوات قلائل من علامات سرعة الاضمحلال واعراض شدة الاعتلال

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الحاوية والثلاثين

كانت دولة القرس قد عانت في هذه المدة للاستيلاء على الديار المصرية بالناسي وليس لمملكة دولة العجم في هذه المرة الثانية ذكر التاريخ القسيس ما يتنون وأما الآثار المصرية فيكاد أن لا يكون لاحد منهم ذكر بها من أصله

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثانية والثلاثين

هذه العائلة هي الدولة المقدونية بالديار المصرية التي كان رأسها اسكندر
الأكبر والى هنا انتهت سلسلة العائلات الملوكية المصرية التي ذكرها
المؤرخ مايتون في تاريخ مصر وصار لاعتماد لنا من الآن فصاعدا
في مادة تحقيق الملوك الذين حكموا الديار المصرية وترتيبهم في مراتبهم
الزمانية الاعلى مجرد العمارات الاثرية مع ما يستأنس لها به مما يوضحها
أو يفه على ما سقط منها من نصوص الكتب اليونانية والرومانية المتداولة
بأيدي الناس وأن من هذا القبيل مصر اعى باب متخذ من حجر الصوان
وجد بجيزة ايلفتين وعليهما عنوان الاسكندر الاول والمقصورة
الجميلة التي بناها من حجر الصوان فيليبس اريدى أخوه بهيكل الكرنك
وهي الكائنة في وسط مقصورة أخرى من انشاء الملك توميس الثالث
في أحسن موضع امام المحراب من هذا الهيكل وكذلك ورد اسم اسكندر
الثاني واد الاسكندر الأكبر على انه من الملوك الحقيقيين بالديار المصرية
في ضمن بعض تصاوير من النقوش الموجودة بهيكل الكرنك والاقصر

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثالثة والثلاثين

هذه العائلة هي طائفة ملوك البطالسة ولم يل الديار المصرية من بعد العائلة
الملوكية التاسعة عشرة عائلة ملوكية أكثر منها آثارا وعمارات على شواطئ
النيل فان هؤلاء الملوك البطالسة لم يكتفوا باصلاح ما كان قد تخرّب من
الهيكل المصرية واكالم ما كان قد شرع في بنائه من قبلهم من الآثار
الاهلية بل أحدثوا معابد جديدة وهياكل أخرى عديدة كهيكل الداكه
وكلباش وديود وندور يبلاد التوبة خصوصا بجيزة العربي بالقرب

من اسوان فانهم صيروا هذه البقعة من العجب العجائب الذي يعجز العقول ويهر الالباب حتى صارت ربحاً واضح ان توصف بالانفراد بين جميع المناظر الجميلة الموجودة بسائر البلاد ومن آثارهم بالديار المصرية مدينة اومبو وعمارتها من أحسن النماذج فن العمارة القوية وان كان قد خالطها شيء من زداة الطريقة العمارية العصرية ومدينة اسنا القديمة التي لولا ما طرأ عليها من الاحتجاب بدور المدينة المستحجة لكانت تظهر في أحسن منظر وتبدو للناظر بأحسن منظر وناحية أرمنت التي لحقها الآن من الانهدام ما بلغ لنهاية القمام ومع كون الملوك البطالسة قلدوا مدينة الاسكندرية أيضاً من حلية العمارات الجسيمة والآثار الفضيحة بما لم تقف على حقيقة حاله الآن فلم يتركوا مدينة طيبة في زوايا النسيان فانهم هم الذين أنشؤا الجانب الايسر من النيل هناك الهيكل المعروف بدير المدينة والمعبد الصغير الموجود على بركة أبو وعلى الجانب الايمن شادوا الباب الكبير الموجود وحده في الجهة الشمالية من الكرنك والباب الكبير الآخر المبني على منواله الذي يميز به القادم من الاقصر الى هيكل شونس وكذلك العمارة الصغيرة الكائنة على القرب من الهيكل المذكور وأما دندره وما أدراك ما دندره فان بها الهيكل العظيم الذي هو عمارة أثرية فريدة كانت قيد شيدتها الملكة كليوباترة وأهدتها لآلهة المصريين كرامة لولدها المسمى قيصريون (أي قيصر تصغير قيصر) المرزوق لها من قيصر الروماني وأما ادفو وماذا عسى أن يقال عن ادفو خصوصاً غير ان فيها أعماراً سرار جنية من العلوم القديمة سيبدو لاهل العلم صلاحها وأبكاراً أخبار من النصوص المصرية التي لم يطالع عليها أحد

لغاية الآن وسيجلي على أهل المعارف صباحها ولعمري لقد يصدق من
يقول ان الكتابات القديمة الموجودة بها الاحياء علم الاديان وعلم وصف
البلدان فيما يتعلق بأحوال الديار المصرية في عصر الملوك البطلموسية
تقاس مسافتها بالمتن من الامتار وستكشف منها الآن على الراغبين
الاستار وكذلك نشاهد أسماء البطالسة مكتوبة على الآثار بجهة الكتاب
والموتنه (باقليم اسنا) وفي اخميم وناحية بهيت (بجوار المحلة الكبرى)
وفي غير ذلك من النواحي ويجب أن يعزى اليهم انشاء أجمل ما يوجد من
الابنية بقبر العجول التي كان يعبد ها المصريون باسم ايس بناحية سقاره
والتوايت الكبيرة الحجم التي وجدت فيه ومتى ذكرت الآثار الماثورة
عن دولة البطالسة فلا ينبغي أن تنسى القطعة التاريخية المشهورة التي
عرفت باسم حجر رشيد وهي عبارة عن قطعة حجر عثر عليها من منذ نحو
خمس وستين سنة بعض الجنود الفرنسية في أثناء عملية حفر كانوا
يشتغلون بها لانشاء بعض استحكامات على حصن بالقرب من مدينة رشيد
حين كانوا نازلين عليها فصار لهذا الحجر من الشهرة بين العلماء بقى الآثار
المصرية القديمة ما لا مزيد عليه وذلك أنه وجد مسطرا على الوجه الاصل
منه ثلاث صحائف من الكتابة القديمة اثنتان منها باللغة المصرية القديمة
مكتوبة كل واحدة منهما بطريقة من طريقي الكتابة اللتين كانتا
مستعملتين بمصر في ذلك العصر أعني كانت احدهما مكتوبة بالطريقة
الهيروجليزية التي كان يختص بعرفتها مشايخ الديانة المصريون
الاقدمون ولم يعثر من هذه الصحيفة الاعلى أربعة عشر سطرا لكون
باقها كان قد انفق لداعي كسر اعترى الحجر المذكور والصحيفة الثانية

كانت مكتوبة بخط النسخ المعتاد الذي كان مستعملا للكتابة ومعهودا
لهم وكانت هذه الصحيفة عبارة عن اثنين وثلاثين سطرا وأما الصحيفة
الثالثة فكانت مسطرة باللغة اليونانية تشتمل على أربع وخمسين سطرا
وفي هذه الصحيفة الأخيرة وجدت القائدة فاته بترجمة العبارة اليونانية
المشعولة بتلك الصحيفة استدلت على انها انما هي ترجمة الصحيفة المسطرتين
بأعلى الحجر المذكور بكيفيتي الكتابة المصرية المعهودتين وبالوقوف على
ذلك علم ان حجر رشيد هذا يشتمل على نص عبارة بلغة معلومة وهي اليونانية
يقابلها ترجمتها بلغة كانت مجهولة بوقت العثور على الحجر المذكور وهي
اللغة المصرية ومن ذا الذي ينكر الفائدة الجليلة التي تستخرج من هذه
اللقطة أليس ان التوصل من المعلوم للمجهول هو من الاساليب العقلية
التي لا يناقضها عقل مستقيم ولا ينكرها ذوق سليم وبذلك فقد ادركت ان
شهرة حجر رشيد المذكور الذي لم يزل فائزا بها لغاية يومنا هذا انما هي
لكونه كان مفتاح سر الكتابة المصرية القديمة بعد ان مكثت المدة المديدة
والاعصار العديدة وهي من الاسرار المقفلة والمشكلات المعضلة ولا
تظن مع ذلك انه قد حصل التوصل لقراءة الكتابات الهيروغليفية من أول
وهلة بالسهولة بل قدح العلماء في ذلك أزيدة فكارهم مدة عشرين سنة
ولم يحصلوا على نتيجة حتى ظهر الفاضل شامبوليون المقدم ذكره ولغاية
ظهوره كان العلماء يرون ان كل حرف من الحروف الهيروغليفية كان
عبارة عن اشارة لمداول مخصوص أعني ان كل حرف منها يدل على معنى
تام يستقل بالمفهومية فكان فضل شامبوليون ان أثبت ان الكتابة
المصرية انما هي بعكس ما زعموا وتشتمل على علامات دالة في الحقيقة على

أصوات أي انها عبارة أخرى تشتمل على حروف هجائية تتركب منها الكلمات فانه لما لحظ متلانه في أي موضع وجد فيه اسم بطليموس من الاصل اليوناني بجبر رشيد المذكور وقف نظره فيما يقابله من الاصل المحرر باللغة المصرية على بعض علامات منصرة في برواز يضاوى الشكل فاستنبط من ذلك

(أولا) ان اسماء الملوك في طريق الكتابة المصرية الهيروجليفيه كانت يتصدىجزها لتظهر الناظرين توضع في داخل ما هو أشبه بحرز مخصوص سماه بماعناه الخانة الملوكية أو العنوان السلطاني

(ثانيا) ان العلامات المطروقة داخل هذا الحرز يقتضى أن تكون اسم بطليموس حرفا بحرف لا محالة وبذلك نتج له الحصول على خمسة حروف هي الباء والطاء واللام والميم والسين التي يتركب منها هذا الاسم بقطع النظر عن حروف العلة المتخللة فيما بينها وكان شامبوليون قد لحظ أيضا من صحيفة كتابة بالخط اليوناني منقوشة على إحدى المسلات بجزيرة البربي القرية من اسوان ان صورة خانة ملوكية مكتوبة بها يقتضى أن تكون عنوان الملكة قليوبطره فقال في نفسه اذا صحت ما وقفت عليه من قراءة لفظ بطليموس بجبر رشيد لزم ان نجد كلاما من الحروف الثلاثة التي هي الباء واللام والطاء في اسم قليوبطره المكتوب على المسلة المذكورة لضرورة دخولها في تركيب هذا الاسم أيضا فكان الامر كما تصوره واستحصل من هذا الاسم أيضا على حرفين حادتين وهما القاف والراء ثم بواسطة توفيق جميع الحروف التي تيسرت لشامبوليون من لفظ بطليموس وقليوبطره على خانات أخرى من عتالو ين الملوك المصريين الواردة

الواردة ببعض الآثار وكانت أولا غير تامة استحصل على أكثر الحروف
الهجائية الاخرى المترتبة منها كلمات اللغة المصرية ولم يتردد في النطق
بها ومن وقت ان تحقق عنده ذلك أقام على وجه التحقيق انه قد حصل
على معرفة حروف الهجاء المصرية ولكن بقي عليه شيء آخر وهو معرفة
نفس اللغة المصرية اذ ماذا يفيد النطق بالفاظ مع جهل المعاني التي هي
موضوعة لها وعند هذه العقدة أبدى القاضل شامبوليون من اسرار
الاقتراح وغوص عقل نوع الانسان ما صعد به الى أعلى اوج العرفان
وذلك أنه أدرك بما استحصل عليه من حروف الهجاء التي استتبها من
أسماء الملوك ثم وفقها على كلمات اللغة المصرية انه انما يتحصل من قراءتها
الفاظ من اللغة المعروفة بالقبطية وان اللغة القبطية وان كانت غير
متداولة كاللغة اليونانية الا أنها ليست بصعبة المأخذ ولا متعسرة التناول
فان اللغة المصرية هي عين اللغة القبطية مكتوبة بطريقة الكتابة
الهيروجليفيه وان شئت التعبير بعبارة أخرى أصح من هذه قلنا ان اللغة
القبطية ان هي الا عبارة عن اللغة الفرعونية القديمة مكتوبة بالحروف
اليونانية كما صرحنا بذلك في غير هذا الموضع واذا كان الامر كما ذكرنا بقي
من صنيع شامبوليون في هذه المادة يسهل ادراكه فانه هكذا بطريق
الاستدلال بعلامات على علامات أخرى سلك أسلوب الترقى من المعلوم
للمجهول حتى ابتدع فن معرفة أحوال الديار المصرية الذي هو عبارة عن
قراءة الكتابات المصرية المسطرة على الآثار القديمة بالطريقة
الهيروجليفيه وصار هذا الرجل الشهير اقوى شارح لهذا العلم النفيس
وكان هذا هو نتيجة الآثار المعروفة بمجمر رشيد حيث بواسطته صارت

الآن الآثار المصرية ليست من المواد التي يتعلق بها مجرد الرغبة في القرية الحالية عن المنفعة وتنزلت به الديار المصرية القديمة في منزلتها الحقيقية من المنازل التاريخية بين سائر البلدان المعروفة من قديم الزمان وان شئت أن تعرف ما صارت اليها عاقبة حجر رشيد المذكور قلنا تيمم الفائدة سيرته بالاختصار انه لما اتقل بعد استكشافه لمدينة الاسكندرية وقع بعد ذلك بأشهر في يد طائفة الانكليز في جملة آثار مصرية اخرى استلبوها من العساكر الفرنسية وبيعوا وقت ان أخرجوهم من الديار المصرية واستولوا عليها برهة من الدهر كغيرهم من الملل الاجنبية وبقي مع جملة الآثار المذكورة هو الاصل الاصيل المبني عليه اساس خزانة التحف والمستغربات بمدينة نولندره

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الرابعة والثلاثين

في هذا العهد كانت الدولة المصرية والسلطنة الفرعونية التي كان قد أسسها الملك مينيس قد صارت الى حيز العدم بعد ان تم لها خمسة آلاف وأربعمائة سنة من سالف القدم وأصبحت لاتعدين أقطار العالم الابصفة أحد الاقاليم التابعة للدولة الرومانية نعم في أثناء هذه المدة احدث عمال دولة رومة بعض عمارات بمدينة الاسكندرية منها عمود يونية او يونيوس (المعروف الان بعمود السوارى) واختط سلطان رومة المسمى اديان او اديانوس مدينة كاملة سماها اتونوه باسم نديمه المسمى اتونوس (بالهل المعروف الآن بناحية الشيخ عباده بأقليم المنيا) وبني لنديمه المذكور فيها مقبرا نفيسا كقبور قدماء الملوك ووضع على مقدمه القنايل الكبيرة

الكبيرة والمسلات المقطرة التي احداها موجودة الا ان بعدئذ رومة
تعرف بالمسلة البربرية وأتم ملاطين الرومانيين ما كان قد شرع فيه
البطالسة من الآثار والعمارات بناحية كلباش وندور والداكة
ويزيرة البري بقرب اسوان وبجهة اسنا وادفو وأرمنت وندره الا أنه
من خلال هذه الرفاهية الظاهرية وهينة النعمة الصورية لازالت تنائر
من أحوال الديار المصرية في تلك المدة علامات الانحطاط والاختلال
وتظاهر على وجهها مع ذلك حقيقة سوء الحال واخشوشنت رقة القنون
والصنائع المعهودة عن مصر المملوك الخوفين والقراعة الاوزور تازانين
والتوميسين والرميسين والابساما تيكوسين وتلاشت سائر امور
المصريين وتبدلت عوائدهم وأخلاقهم وتغيرت لغتهم وطريقة كتابتهم
وأصبحت مصر كشخ اصيب بداء الهرم فلم نهض ولم يكن كما كان أولا
في عصر شبابه كسبع يتقضى بل صار يعيش مضطرب الاقدام ليلاقي يومه
الاخر حتى جاء سلطان القسطنطينية طيودوسيس فأتت عليها الهلاك
وأدخلها في خراب اس الغابر ويتم الغرض المقصود لنا من وضع هذا
التذييل خلف كتابنا هذا اذا كان المطلع عليه قد علم علم اليقين وتمكن
في ذهنة غاية التمكن بما أبدينا فيه من التفاصيل الدقيقة والبيانات
المفصلة عن عين الحقيقة ان تاريخ الديار المصرية وان كان طويلا المدة
يحترقه حوادث متنوعة الاحوال والعدة الا أنه كثير الفائدة كبير الفائدة
وان السيرة المصرية هي بتسمية التاريخ الحقيقي أصدق وبالغاية بها
أحق . وانه ليس في سائر بلاد العالم بلدة هي من الديار المصرية بكثرة
الآثار الدالة على صحة تاريخها أعتميانا ولا أتم برهاننا تم

يقول معزهم من اللغة القرطاساوية الى العربية الفقير عبد الله أبو السعود
 أقننى المترجم بقلم الترجمة المرتب بعناية خديو مصر الآن بديوان عموم
 المدارس المصرية تم في أقرب وقت ترجمة وطبعها وعم ان شاء الله فاعنة
 ونفعا هذا المختصر المسمى قناسة أهل العصر من خلاصة تاريخ مصر
 ولعمري لقد رق طبعا وراق وازدانت به ثمرات الاوراق بعون الله الاعز
 الاكرم وبعباية سعادة أقننىنا اسمعيل باشا خديو مصر الاعظم في أواخر
 ذى الحجة سنة ١٢٨١ من الهجرة المحمدية بدار الطباعة الكبرى المصرية
 الكائن ببولاق مصر المحمية تعلق الدائرة السنية تحت نظار من عليه
 لسان الصدق يثني حضرة حسين بك حسنى وما سبق الوعد به في أواخر
 الخطبة من ضم بعض زيادات اليه قد تأخر في هذه الطبعة الاولى اجراء
 مقتضاه ولم يتيسر استيفاء لمقتضيات اقتضته وموانع منعه وحيث كان
 العود لهذا الكتاب عدة مرات بالطبع مأمولا نظرا لكونه في المستقبل
 بعون الله يزاد اقبالا وقبولا وعلى حسب عموم الحاجة اليه ودوام
 التعويل في التعليم بالمدارس المصرية عليه فان شاء الله تعالى في الطبعة
 الثانية على طول أيام سعادة الخديو أطال الله أيامه ووالى بالعز والعناية بمثل
 هذه الفوائد العامة أعوامه يضم اليها ما يفيد بهجة وجمالا

ويزيده منفعة وكمالا وأول الغيث قطر

واستقبال الشهر ريدر والحمد لله

على كل حال والكامل

يقبل الكمال

تم

To: www.al-mostafa.com